

تَهْدِيَةٌ
سَيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة والعشرون
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



مؤسسة الرسالة
وطى المصيبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت - لبنان
للطباعة والنشر والتوزيع

Al-Resalah
PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax: 815112-319039 Fax: 818615-P.O.Box: 117460
Email: Resalah@Cyberia.net.lb

تَهْدِيَةٌ
سَيِّدِ ابْنِ هِشَامٍ

عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونُ

مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

نورٌ وهَّاجٌ أَفْضَى إلى ظلمات الجهل والوثنية فانجابت كما ينجاب الغمام، وهَدَى من الله أرسله إلى هذه الإنسانية الضَّالَّة فانتشلها من ضيعةٍ وانتاشها من هلاك، وأنقذها مما كانت تتخبط فيه من دياجير الظلام وعقابيل الضلال.

كانت حياته ﷺ صفحةً عريضةً من صفحات الجهاد لإنقاذ هذه البشرية، ومثلاً صادقاً من مُثُل البرِّ والمرحمة، وسيرةً عالية سامية في معاملة الخالق ومعاملة المخلوق، تلمع أضواء هذه السيرة في كتاب الله الذي يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وفي آفاق الكتب الوثيقة التي خَطَّها العلماء منذ القدم، متضمَّنةً نفحاتٍ من هذا العطر، وممَّضاتٍ من ذلك الإشراق.

صلى الله عليه وسلَّم، ورضيَ وأنعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ والسيرة

لم يعرف التاريخ في جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسائرة لطبيعة الحياة العربية، ففيه مفاخر الأباء والأجداد، من بطولة ومن كرم ومن وفاء، وفيه الأخبار تدور حول الأنساب والأحلاف، وفيه ما صنعوا من حديث يذكر تاريخ البيت وسدنته، وزمزم وانبعائها، وأنباء جرهم وأمراء قريش، وسد مأرب الذي انبثق فتفرق القوم إثره في البلاد، وما كان من أخبار الكهان وأسجاعهم، ونحو ذلك مما يصور حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية.

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى، وتلك الأنباء تؤثر، ثم وجدوا في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاب بالنبوة، ومن حياة الرسول الأولى ونشأته الكريمة، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين والمشركين والنصارى واليهود، مادة غزيرة النبع الله، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود، مادة غزيرة النبع واسعة الأفاق، فتداولوا بينهم تلك الأخبار من طريق الرواية كذلك، وكان القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الأصحاب، سجلاً حافلاً لتلك الحياة الجديدة.

كان القرآن مكتوباً، ولكن الحديث النبوي ظل دهنراً طويلاً في منأى عن الكتابة، لا يعرفه الناس إلا رواية موثقاً بها، ولم يجرؤ أحد أن يكتب الحديث بصفة عامة، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه».

وكانت الحكمة في هذا ظاهرة، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول الكتاب، وواضح أن هذا الأمر إنما كان يقصد به المحافظة على هذا الغرض الكريم، وكان بلا ريب مؤقتاً بنزول القرآن.

وظل الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبدالعزيز، الذي ولي الخلافة من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١. ويذكرون أنه ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث، فخار

اللَّه له، وأذن لأبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث فدون ما كان يحفظه، في كتاب بعث به إلى الأمصار. وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة، وتوفي سنة ١٢٠.

كما أمر عمر بن عبدالعزيز أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، شيخ مالك، أن يدون حديث رسول الله، فصنع في ذلك كتاباً.

واستمر المسلمون من بعد ذلك يؤلفون في الحديث، لا تتقيد كتبهم بنهج خاص في التنسيق والترتيب، بل يجمعونها كما يتفق لهم، وقد يصنف أحدهم كتاباً في باب خاص من أبواب التشريع، ثم تدرج التصنيف فالفينا هم ييؤبون كتب الحديث ويفردون من ذلك أبواباً خاصة لأخبار الرسول ﷺ يذكرون ما كان من أمر ولادته ورضاعه وما بعدها إلى البعثة، ثم يفصلون أحواله بعد ذلك في مكة، من دعوته قريشاً إلى دين الله، وصبره على إيذائهم له ولأصحابه، ويتناولون أخبار الغزوات والسرائيا وما أشبه ذلك من أمور الجهاد.

وانطلق المؤرخون في سبيل آخر يؤلفون في التاريخ كتباً عامة، وقد ينحصر أحدهم تاريخاً لحياة الرسول الكريم، يشبعون بذلك ميولهم الدينية الخاصة، التي ترى في الرسول - لا ريب - قدوة المسلمين، وهدى المهتدين.

مؤلفو السير:

فكان أول كتاب السيرة عروة بن الزبير بن العوام (٩٢)، وأبان بن عثمان (١٠٥)، ووهب بن منبه (١١٠)، وشرحبيل بن سعد (١٢٣)، وابن شهاب الزهري (١٢٤)، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (١٣٥).

وقد بادت كتب هؤلاء جميعاً، لم يبق منها إلا أشلاء متناثرة في بطون كتب التاريخ كتاريخ الطبري، وإلا قطعة من كتاب وهب بن منبه محفوظة في مدينة هيدلبرج بألمانيا. ثم جاءت طبقة من المؤلفين كان أشهر رجالها موسى بن عقبة (١٤١) ومعمر بن راشد (١٥٠)، ومحمد بن إسحاق (١٥٢).

وطبقة أخرى كان منها زياد البكائي (١٨٣)، والواقدي صاحب المغازي (٢٠٧)، وابن هشام (٢١٨)، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠).

سيرة ابن إسحاق:

وكان أشهر هذه الكتب وأعلاها مقاماً وأشدها وثوقاً، سيرة محمد بن إسحاق^(١) التي ألفها في أوائل أيام العباسيين. يروون أنه دخل على المنصور ببغداد، وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومك هذا. فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب، فقال له: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره.

وألقي الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين.

عن جماعة من المصريين، ثم رحل إلى الكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد حيث ألقى عصاه ووافته منيته فيها سنة ١٥٢ وفيه يقول ابن عدي: «لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ، ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق.

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله المدني القرشي، مولى قيس بن محزومة بن المطلب بن عبد مناف. كان جده يسار من سبي عين التمر، بلدة غربي الكوفة على طرف البرية، افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ فجيء به إلى المدينة، وولد حفيده محمد فيها سنة ٨٥ وأمضى بالمدينة ثوب شبابه ورحل إلى البلدان الإسلامية، وكانت رحلته إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ فحدث

سيرة ابن هشام

وقد جاء بعده ابن هشام^(١) فروى لنا هذه السيرة مهذبة منقحة بعد تأليف ابن إسحاق بنحو نصف قرن، بوساطة رجل واحد، هو زياد البكائي^(٢).

ولم يكن كتاب ابن إسحاق الذي رواه ابن هشام بهذا القدر الذي بين أيدينا اليوم، فإن ابن هشام تناول جوانب ابن إسحاق بكثير من التحرير، والاختصار، والإضافة، والنقد أحياناً، والمعارضة بروايات أخر لغيره من العلماء كذلك. وقد ساق في صدر السيرة بعض منهجه لرواية ذلك الكتاب.

ونحن لا نشك مع ذلك أن ابن هشام كان ملتزماً جانب الأمانة والحرص في رواية كتاب ابن إسحاق، لم يبدل منه كلمة واحدة، ولم يزد كلمة ليبيان الخطأ أو شرح الغامض أو معارضة الروايات إلا صدرها بقوله «قال ابن هشام».

وأما الاختصار فإنه كان المقصد الأساسي في روايته للسيرة، فحذف ما كان قبل تاريخ إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، منذ بدء الخليقة، وكذا حديث ابناء إسماعيل، والأخبار التي ليست من السيرة في شيء - فيما كان يراه هو - وحذف الأشعار الكثيرة التي كان يشك في مبلغ روايتها من الصحة.

والمتعقب لأصل السيرة من رواية ابن هشام يلمح في ذلك طابع الحرص الشديد

(١) البكاء من بني عامر بن صعصعة. قدم زياد إلى بغداد وحدث بها بالمغازي عن محمد بن إسحاق، وبالفرائض عن محمد بن سالم، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها في خلافة هارون سنة ١٨٣. وكان ابن هشام يقدر هذا الشيخ حق قدره، فيقول في صدر كتابه «وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته».

(٢) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. كان منشؤه بالبصرة، ثم نزل مصر واجتمع به الإمام الشافعي، وتناشدا من أشعار العرب الشيء الكثير. وصنف ابن هشام سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق كتاباً في أنساب حمير وملوكها. وكتاباً في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب. توفي بالفسطاط سنة ٢١٨. (٢) هو الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الملك بن الطفيل البكائي العامري الكوفي. والبكائي نسبة إلى بني

والأمانة الصارمة، التي كانت سمة العلماء المسلمين في تلك العصور القديمة.

منزلة سيرة ابن هشام:

ومهما يكن من شيء فإن كتاب ابن إسحاق كان العمدة لقراء السيرة منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا، ولا تكاد تجد رجلاً أوغل في دراسة سيرة الرسول إلا وكتاب ابن إسحاق إمامه الأول في ذلك.

وقد عرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد عهد باسم «سيرة ابن هشام» لما أنه كان راوياً ومهذباً. يقول ابن خلكان: «وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق، وهذبها ولخصها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس، والمعروفة بسيرة ابن هشام».

وقد لقيت هذه السيرة من الدارسين والشارحين عناية صادقة، شرحها أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي^(١) (٥٨١) شرحاً مسهباً في كتابه المسمى «الروض الأنف».

وجاء بعده أبو ذر الخشني^(٢)، فتصدى للكتاب فشرح غريبه، وكتب شيئاً من النقد في كتابه «شرح السيرة النبوية» الذي نشره الدكتور برونله.

وصنع بدرالدين محمد بن أحمد العيني شرحاً لها سماه «كشف اللثام»، في شرح سيرة ابن هشام، فرغ منه سنة ٨٠٥.

ومن ناحية أخرى نجد آخرين قد عنوا باختصار السيرة، ومنهم برهان الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي، اختصرها وزاد عليها بعض ما كان ينقصها في كتاب جعله ثمانية عشر مجلساً، سماه «الذخيرة»، في مختصر السيرة» أتم تأليفه سنة ٦١١. وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، اختصرها في كتاب سماه «مختصر سيرة ابن هشام» فرغ منه سنة ٧١١.

ومن نظمها شعراً أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن سعيد الدميري الديري وكانت وفاته سنة ٦٦٣. وأبو بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣. وقد سمي كتابه «الفتح القريب»، في سيرة الحبيب»، وهو في بضع عشرة ألف بيت.

(١) ثلاثة حيث توفي بها ٥٨١.

(٢) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الجبالي الخشني، نسبة إلى خشين، وهي قرية بالأندلس، وقبيلة من قضاة. ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٦٠٤.

(١) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ابن أصبح الخثعمي السهيلي الأنديلي المالقي. وسهيل: واد بالأندلس من كورة مالقة. عاش حياته في الأنديلس إذ ولد بها سنة ٥٠٨ وأقام بمراكش أعواماً

تهذيب سيرة ابن هشام:

وقد كنت في صدر الشباب أحاول المرة بعد الأخرى أن أقرأ هذا الكتاب الجليل من مبتدئه إلى منتهاه، فكان يصُدُّني عن ذلك ما كنت أجده في ذلك التأليف من اضطراب واستطراد يكُدُّ الذهن ويجلب السّامة، فلا أقرأ منه إلا أجزاء متناثرة أراها كالرياض في صميم الفلاة، يغريني بقراءتها ما يجتذِبني من جمال القول وجلال الغاية.

والحق أنني كنت أجِد في تلاوة السيرة شيئاً مما كنت أجِد في تلاوة الكتاب الكريم وحديث الرسول من تعبد صادق وخشوع خاضع. ولعل سرّاً دفيناً كان ينزع بي إلى معاودة تلك التلاوة، أن والذي رحمه الله كان ممن ألفوا في السيرة، صنع في ذلك موجزاً سماه «تلخيص الدروس الأولية»، في السيرة المحمدية، وجعله في ثلاثين فصلاً، وظل ذلك الكتاب دهرًا طويلاً لا يدرس سواه في المعاهد الدينية، إذ كان من برامج الدراسة فيها درس خاص يسمى «درس السيرة».

ولكنني مع ذلك لم أوفق لقراءة الكتاب كله، لما ذكرت من اضطراب التأليف وشيوع الاستطراد. فقارئ السيرة تعترضه فصول طوال في أساء أسارى بدر، وأساء خيل المسلمين ببدر، وجريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن الأنصار، ومن استشهادهم يوم بدر، ومن قتل به من المشركين، وما قيل من الشعر في يوم بدر، وأشباه ذلك من الأمور السردية، ومن الأشعار المسهبة والأنساب المطوّلة، والاستطرادات اللغوية، وطائفة من تفسير كتاب الله مما لا يدخل في صميم السيرة وإن كان يحوم حولها. وشيء آخر هو السند الذي تصدر به معظم فقار السيرة، مما ليس له قدر إلا عند الناقلين من العلماء.

فحاولت في هذا «التهذيب» أن استخلص لباب هذا التأليف لأقدمه إلى القارئ في ثوب جديد يستسيغ النظر فيه، ولا تنقطع به السبيل في تلاوته، مع الحرص التام على نص الكتاب، بحيث يستطيع القارئ أن يقتبس منه ويستشهد به معزّوًّا إلى أصله الأول، فإني لم أبدل حرفاً واحداً من نص الكتاب؛ لاني راعيت فيه أمانة الاداء، وراعت باطراد أن أنسب إلى ابن هشام ما هو له، بأن أنص على ذلك في صدر كلامه، أو أجعله وحده في حاشية الكتاب معزّوًّا إليه، طبقاً لما يقتضيه التأليف. وأما سائر النصوص فهي نصوص ابن إسحاق من رواية ابن هشام. ولم أذكر من الأسناد إلا ما هو ضروري لإقامة النص، مما رواه ابن إسحاق أو ابن هشام منسوباً إلى قائله.

وقد عنيت أن أضبط تلك النصوص جميعاً، وأن أفسر منها ما يحتاج إلى توضيح، معتمداً في ذلك على شراح السيرة، وكتب الآثار واللغة المعتمدة.

وأما بعد فإن التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل، ووصلةصالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم.

وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير، وأنت إذا قرأت الأصل، ولست بمطيقه، اقتضاك هذا من الوقت أشهراً معدودات.

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعا، كما أحسبه فيما قدمت للعلم من مجهود ضئيل، أردت به فيما أردت رضوان الله ورضوان الرسول.

مصر الجديدة في ربيع الثاني ١٣٩٦ . إبريل ١٩٧٦ .

عبد السلام هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الرَّكْبِيِّ
مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام :

هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شَيْبَةً) بن هاشم (واسم هاشم عمرو) بن عبد مناف (واسم عبد مناف المغيرة) بن قُصَيٍّ (واسم قصي زيد) بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مدركة (واسم مدركة عامر) بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان بن آدَم بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يَعْرُب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزر) ابن ناحور بن ساورغ بن راعوب بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن مُلْك بن مُتَوْشَلَخ بن أَخْنُوخ (وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون) بن يَرْز بن مهليل بن قَيْن بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ .

قال ابن هشام :

وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن وَلَد رسول الله ﷺ من وَلَدِهِ واولادهم لأصلابهم الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي^(١) .

(١) هو شيخ ابن هشام وتلميذ ابن إسحاق ، واسمه زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي توفي سنة ١٨٣ .

والبكاء : بطن من بني عامر بن صعصعة .

بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه، بمبلغ الرواية له، والعلم به.

سياقة النسب من ولد إسماعيل

وَلَدَ إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلاً: نابئاً، وقيدر، وأذبل، وميشا، ومسمعا، وماشي، ودما، وأذر، وطيا، ويطور، ونبش، وقيدم.

فولد نابت بن إسماعيل يشجب بن نابت، فولد يشجب يعرب، فولد يعرب تيرح، فولد تيرح ناحور، فولد ناحور مقوم، فولد مقوم أدد، فولد أدد عدنان.

فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل.

فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، وعك بن عدنان.

فصارت عك في دار اليمن. وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم، فصارت امدار واللغة واحدة. والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار، وقضاة، وقنص، وإياد. فأما قضاة فتيامنت إلى حمير بن سبأ، وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد، وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

رؤيا ربيعة بن نصر

وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هائلة وفضع بها، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عاتفاً^(١)، ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هائلة وفضعت بها، فأخبروني بها وتأويلها. قالوا له: اقضصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيط وشق، فإنه ليس أحد أعلم منها، فبها يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما فقدم إليه سطيط قبل شق، فقال له: إني قد رأيت رؤيا هائلة وفضعت بها فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. قال: أفعُل، رأيت حمة، خرجت من

(١) العائف: الذي يزجر الطير، يتكهن بأسمائها وأصواتها ومروها.

ظُلْمَة ، فوقعت بأرض تَهْمَة ، فأكلت منها كلُّ ذات جُمجمة ^(١) !

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟

فقال : أحلفُ بما بين الحَرَّتَيْن من حَشَش ، لتَهبطن ارضكم الحبش . فليملكنَّ ما بين
أَيِّنَ إلى جُرَش ^(٢) !

فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظٌ موجه ، فمتى هو كائن أو في زماني
هذا أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من سِتِّين أو سبعين ، يمضين من السنين !

قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضعِ وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين .

قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرم بن ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبيُّ زكي ، يأتيه الوحيُّ من العليِّ ! قال : وعن

هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى
آخر الدهر !

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرين ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه
المسيئون .

قال : أحقُّ ما تخبرني ؟

قال : نعم ، والشَّفَق والغسق ، والفَلَق إذا أَسَق ، إنَّ ما أنبأتكَ لَحَقَّ .

ثم قدم عليه شِقٌّ فقال له كقوله لسطيح ، وكَتَمَ ما قال سطيح لينظر أيتَفَقان أم
يختلفان .

قال : نعم ، رأيتُ حُمَّة ، خرجت من ظُلْمَة ، فوقعت بين روضة وأكَمَة ، أكلت منها
كل ذات نَسَمَة .

فلما قال له ذلك عرف أنها قد اتَّفقا ، وأن قولها واحد ، إلا أنَّ سطيحاً قال : «وقعت
بأرض تَهْمَة ، فأكلت منها كل ذات جُمجمة» وقال شق :

(٢) أي جرش : بلدان في اليمن

(١) الحمة : القطعة من النار . تهمة : منخفضة

«وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران!

فقال له الملك: وأبيك يا شقُّ إن هذا لنا لغاظ موجه فمتى هو كائن؟ أفي زمني أم

بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنفذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشدَّ

الهوان!

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني ولا مدني^(١)، يخرج عليهم من

بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق

والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزى فيه الولاة، ويُدعى فيه من السماء بدعوات،

ويسمع منها الاحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات!

قال: أحقُّ ما تقول؟ قال: إي وربَّ السماء والأرض، وما بينها من رفع وخفض،

إن ما أنبأتك به لحقُّ ما فيه أمض^(٢).

فوقع في نفس ربيعة ما قالوا، فجهز بيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم

إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة.

استيلاء أبي كرب تَبان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تَبان أسعد، أبي كرب.

وكان أبوه تَبان أسعد قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فلم يَجْ

أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فقديهما مرة أخرى وهو مُجمع

لإخراجها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلة،

(١) المدني: المقصر في الامور، او من يتبع خسيبها. (٢) أي ما فيه شك أو باطل.

فاقتتلوا. ففزَعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونهم بالنهار وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ^(١) فيعجبه ذلك منهم ويقول: واللَّهِ إِنْ قَوْمَنَا لَكِرَامٌ !

فبينما تُبْعُ على ذلك من قتالهم إذ جاءه خَبْرَانِ من أحبار يهود عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّكَ إِنْ آبَيْتَ إِلَّا مَا تَرِيدُ حَيْلَ بَيْنِكَ وَبَيْنَهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ عَلَيْكَ عَاجِلَ الْعُقُوبَةِ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: هِيَ مُهَاجِرٌ نَبِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكُونُ ذَارَهُ وَقَرَارَهُ !

فتناهى عن ذلك ورأى أن لها علماً، وأعجبه ما سمع منها، فانصرف عن المدينة واتبعها على دينها.

وكان تُبْعُ^(٢) وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجّه إلى مكّة وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ وَأُمَيْجٍ^(٣) أتاه نفرٌ من هُذَيْلِ بْنِ مَدْرِكَةَ فقالوا له: أَيُّهَا الْمَلِكُ، الْآ نَذْلُكَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ دَائِرٍ أَغْفَلْتَهُ الْمُلُوكُ قَبْلَكَ، فِيهِ اللُّؤْلُؤُ وَالزُّبُرُجْدُ وَالْيَاقُوتُ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؟ قَالَ: بَلَى. قالوا: بَيْتٌ بِمَكَّةَ يَعْبُدُهُ أَهْلُهُ، وَيَصَلُّونَ عِنْدَهُ !

وإِنَّمَا أَرَادَ الْهَذَلِيُّونَ هَلَاكَهُ بِذَلِكَ، لَمَّا عَرَفُوا مِنْ هَلَاكِ مَنْ أَرَادَهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَبَعَى عِنْدَهُ.

فلما أَجْمَعَ لَمَّا قَالُوا أَرْسَلْ إِلَى الْخَبَرَيْنِ فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَا لَهُ: مَا أَرَادَ الْقَوْمُ إِلَّا هَلَاكَ وَهَلَاكِ جَنْدِكَ، مَا نَعْلَمُ بَيْتاً لِلَّهِ اتَّخَذَهُ فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ غَيْرَهُ وَلَثْنٌ فَعَلْتَ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ لِيَهْلِكَ وَلِيَهْلِكَ مِنْ مَعِكَ جَمِيعاً ! قَالَ: فَمَاذَا تَأْمُرَانِي أَنْ أَصْنَعَ إِذَا أَنَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ؟ قَالَا: تَصْنَعُ عِنْدَهُ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ: تَطُوفُ بِهِ وَتَعَظَّمُهُ وَتَكْرِمُهُ، وَتَحْلُقُ رَأْسَكَ عِنْدَهُ، وَتَذِلُّ لَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْتُمَا مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَا: أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَيْتُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ لَكُمَا أَخْبَرْنَاكَ، وَلَكِنْ أَهْلُهُ حَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْأَوْثَانِ الَّتِي نَصَبُوهَا حَوْلَهُ، وَبِالدَّمَاءِ الَّتِي يَسْقُونَ عِنْدَهُ، وَهُمْ نَجَسٌ أَهْلُ شَرْكَ !

فَعَرَفَ نُصَحَهَا وَصَدَقَ حَدِيثَهَا، فَقَرَّبَ النَّفَرَ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَنَحَرَ عِنْدَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَيَّامٍ يَنْحَرُ بِهَا لِلنَّاسِ وَيُطْعِمُ أَهْلَهَا، وَيَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ.

(١) أمج: بلد من أعراس المدينة.

(٢) قرى الضيف يقريه: أضافه وأطعمه.

(٣) هو تيان أسعد والد أبي كرب.

وأري في المنام أن يكسو البيت، فكساه الخصف^(١)، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصلات^(٢).

وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، والآن يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثالة^(٣). وجعل له باباً ومفتاحاً.

ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده والحبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيها دخل فيه؛ فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

وكانت نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه: تأكل الظالم ولا تضر المظلوم.

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران، بمصاحفهما في أعناقهما متقلدتيهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه. فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذمرهم^(٤) من حضرهم من الناس وأمرهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير. وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما. فأصفت^(٥) عند ذلك حمير على دينه.

فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

فلما ملك ابنه حسان بن تبيان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا بأرض البحرين كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخاً له يقال له عمرو. وكان معه في جيشه. فقال له: اقتل أخاك حسان ومملكتك علينا وترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رعين الحميري فإنه ناه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذورعين:

ألا من يشتري سهراً بنومٍ سعيد من يبيت قريراً عين
فلما حمير غدرت وخانت فمعذرة الإله لذي رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها، ثم أتى بها عمراً فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك. ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه إلى اليمن.

فلما نزل عمرو بن تبيان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل

(١) الخصف: جمع خصفة، وهو كساء غليظ جداً.

(٢) الملاء: جمع ملاءة، والوصلات: ثياب بمانية.

(٣) المثالة: خرقه الخائف.

(٤) ذمره: لومه وحضه.

(٥) أصفتوا: اجتمعوا.

الاطباء والحزاة^(١) من الكُفَّان والعَرَّافين عَمَّا به، فقال له قاتل منهم: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا قَتَلَ رَجُلٌ قَطُّ أَخَاهُ أَوْ ذَا رَحِمِهِ بَغْيًا، عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلْتَ أَخَاكَ عَلَيْهِ، إِلَّا ذَهَبَ نَوْمُهُ وَسُلْطَ عَلَيْهِ السَّهَرُ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ جَعَلَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ أَمَرَهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَّانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذَوْرَعَيْنُ: إِنَّ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةً. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي دَفَعْتُ إِلَيْكَ. فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا فِيهِ الْبَيْتَانِ، فَتَرَكَهُ وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ نَصَحَهُ.

وهلك عمرو، فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا.

فوثب عليهم رجلٌ من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له: «الْحَنِيْعَةُ يَنْوُفُ ذُو شَنَاثَرٍ»، فَقَتَلَ خِيَارَهُمْ وَعَبَثَ بَبُيُوتِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ.

وكان لحنيعة امرأ فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فبعث إلى زُرْعَةَ ذِي نَوَاسِ ابْنَ تُبَّانٍ اسْمُهُ، أَخِي حَسَّانَ - وَكَانَ صَبِيئًا صَغِيرًا حِينَ قُتِلَ حَسَّانُ، ثُمَّ شَبَّ غَلَامًا وَسِيمًا ذَا هَيْئَةٍ وَعَقْلٍ - فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُهُ عَرَفَ مَا يَرِيدُهُ مِنْهُ، فَأَخَذَ سَكِينًا حَدِيدًا لَطِيفًا، فَخَبَّاهُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَنَعْلَهُ ثُمَّ أَتَاهُ، فَلَمَّا خَلَا مَعَهُ وَثَبَ إِلَيْهِ، فَوَاتَبَهُ ذُو نَوَاسِ فُوجَاءً^(٢) حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَمْلِكَنَا غَيْرُكَ، إِذْ أَرَحْتَنَا مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ.

فَمَلَكُوهُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ حَمِيرٌ وَقِبَائِلُ الْيَمَنِ، فَكَانَ آخِرَ مَمْلُوكِ حَمِيرٍ. وَهُوَ صَاحِبُ الْأَخْدُودِ، فَأَقَامَ فِي مَمْلَكَةٍ زَمَانًا.

وكان بنجران^(٣) بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام، أهلُ فضلٍ واستقامة، لَمْ رَأْسُ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نَوَاسٍ بِجُنُودِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ. وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ وَالْقَتْلِ، فَخَذَّ لَهُمُ الْأَخْدُودَ^(٤)، فَحَرَّقَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَقَتَلَ بِالسَّيْفِ وَمِثْلِهِمْ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا.

فَفِي ذِي نَوَاسٍ ذَلِكَ وَجُنْدِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارَ ذَاتَ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وَيُقَالُ: كَانَ فِيْمَنْ قَتَلَ ذُو نَوَاسٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، رَأْسُهُمْ وَإِمَامُهُمْ.

(١) الحزاة: جمع حاز، وهو الذي يزرع الطير ويستدل بأصواتها ومرورها وأسمائها.
(٢) وجاء: ضربه بالسكين ونحوها.
(٣) بنجران: مخلاف من غاليين اليمن.
(٤) الأخدود: حفرة مستطيلة غامضة في الأرض.

غلبة الحبشة على اليمن

وأقلت منهم رجلٌ من سبأ يقال له: «دوس ذو ثعلبان» على فرسٍ له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده، فأخبره بما بَلَغَ منهم. فقال له: بعدت بلادك منا، ولكني ساكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك. وكتب إليه يأمره بنصره، والطلب بثأره. فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط، ومعه في جنده «أبرهة الأشرم».

فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان، وسار إليه ذو نواس في حير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه. فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر، ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحاضح البحر^(١) حتى أفضى به إلى غمره^(٢) فادخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن فملكها.

نزاع أرياط وأبرهة

فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحدٍ منها طائفة منهم، ثم ثار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تغنيها شيئاً، فابرز إليّ وأبرز إليك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده. فأرسل إليه أرياط: انصفت. فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حربة له، وخلف أبرهة غلام له يقال له «عتودة» يمنع ظهره، ورفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه^(٣) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه، وعينه وشفته، فبذلك سمي «أبرهة الأشرم». وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله. وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

(١) الضحاضح: الماء اليسير الذي لا غرق فيه.

(٢) الغمر: الماء الكثير يغرق فيه.

(٣) يافوخ: وسط الرأس.

قصة أصحاب الفيل

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(١) بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثُلهَا في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيتُ لك أُنْثَا الملك، كنيسة لم يُبْنَ مثُلهَا للملكِ كان قبلك، ولست بمبتته حتى أصرف إليها حجَّ العرب !

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النِّسَاء^(٢) فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعده فيها^(٣)، ثم خرج فلحق بأرضه.

فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنعَ هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجَّ العرب إليه بمكة، لما سمع قولك «أصرف إليها حجَّ العرب» غضب فجاء فقعده فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل.

فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنَ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتَهَيَّأت وتجهَّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العربُ فأعظموه وفطَّعوا به، وراوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيتَ الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له: «ذو نَفَر»، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نَفَر وأصحابه، وأخذ له ذو نَفَر فأتى به أسيراً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيْل بنُ حبيب الخثعمي في قبيلِ خثعم: شَهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نُفَيْل أسيراً. فخلَّى سبيله وخرج معه يدله، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب، في رجالٍ من ثقيف، فقالوا له: أُنْثَا الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحر نبعث معك من يدلك عليه. فتجاوز عنهم.

انستنا شهراً، آخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة. فيحل لهم المحرم. فذلك الإنساء.

(٣) أي أحدث.

(١) هي اسم الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب.

(٢) النسَاء: جمع ناسيء، وهم الذين كانوا ينسؤون الشهور، أي يؤخرونها، كانوا إذا صدروا من منى يقوم رجل منهم من كثانة فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، ولا يرد لي قضاء! فيقولون: صدقت،

فبعثوا معه «أبا رغال» يدلّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغنم^(١)، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجعت قبره العرب. فهو قبره الذي يرجم الناس بالمغنم.

فلما نزل أبرهة المغنم بعث رجلاً من الحبشة يقال له «الأسود بن مفضود» على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة فقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم. فإن هو لم يرذ حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب: واللّه ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمته، وإن يخل بينه وبينه فواللّه ما عندنا دفع عنه. فقال حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن «ذي نقر». وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له: يا ذا نقر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نقر: وما غناء رجل أسير يدين ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً، ما كان عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسارسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي. فبعث ذو نقر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب غير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له عليه وأنفعه عنده بما استطعت فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة^(٢)، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته. فأذن له أبرهة.

(١) المغنم: موضع قرب مكة في طريق الطائف. (٢) العير، بالكسر: قافلة التجارة.

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريه، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك. فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرُدَّ عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلّمتني: أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جثت لهدمه لا تكلّمني فيه ؟ ! قال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ الإبل، وإن للبيت ربّاً سيمنعه ! قال: ما كان ليمنع مني ! قال: أنت وذلك.

ورَدَّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شَعَف الجبال والشُعاب^(١)، تحوُّفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش^(٢). ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هُمَّ إن العبد يَدُّ نَعُ رحلَه فامنعَ حِلالك^(٣)
لا يَغْلِبَن صليبهم ومِحَالهم غَدُوا مِحَالِك^(٤)
إن كنت تاركهم وقب لَتُنْصَا فأمراً ما بَدالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة، وهياً فيله، وعبئ جيشه، وكان اسم الفيل «عموداً»، وأبرهة مجمعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجها الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام ! ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشدد حتى اصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطَّبَرَزِين^(٥)، فأدخلوا محاجنَ لهم في مِرَاقه فبزغوه بها فأبى^(٦)، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهرول، ووجَّهوه

(١) التحرز: التمتع والتحصن، شعف الجبال:

(٤) المحال، بالكسر: الشدة والقوة.

رؤوسها، الشعاب: المواضع الخفيفة بين الجبال.

(٥) الطبرزين: آلة معققة من حديد.

(٢) معرة الجيش: شدته.

(٦) المحجن: عصا معوجة قد يجعل فيها حديد.

(٣) الحلال: جمع حلة، بالكسر، وهم القوم المجتمعون

والمراق: أسفل البطن، بزغوه: أدموه.

ويروى: «رحالك».

إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١)، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجله، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، ليس كلهم أصابت. وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده فمات.

قال ابن إسحاق:

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان ممّا يعذ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

ذكر ولد نزار بن معد

فولَدَ (نزار) بن معدٍ ثلاثة نفر^(٢): مضر، وربيعة، وأنمار.

فولد (مضر) رجلين: إلياس، وعيلان.

فولد (إلياس) ثلاثة نفر: مدركة، وطابخة، وقمعة.

فولد (مدركة) رجلين: خزيمه، وهذيل.

فولد (خزيمه) أربعة نفر: كنانة، وأسد، وأسدة، والهون.

فولد (كنانة) أربعة نفر: النضر^(٣)، ومالك، وعبد مناة، ومليكان.

فولد (النضر) رجلين: مالك، ويخلد.

فولد (مالك) بن النضر فهر بن مالك.

فولد (فهر) أربعة نفر: غالب، ومحارب، والحارث، وأسد.

فولد (غالب) رجلين: لؤي، وتيم.

فولد (لؤي) أربعة نفر: كعب، وعامر، وسامة، وعوف.

فولد (كعب) ثلاثة نفر: مرة، وعدي، وهصيص.

(١) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو طائر اسود والبلسان: الزرازير.

(٢) قال ابن هشام: النضر قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي.

ويقال فهر بن مالك هو قريش.

(٣) زاد ابن هشام رابعاً، هو إياد بن نزار.

فولد (مرة) ثلاثة نفر: كلاب، وتيم، ويقظة.
 فولد (كلاب) رجلين: قَصِي، وزُهرة.
 فولد (قَصِي) أربعة نفر: عبد مناف، وعبد الدار، وعبد العُزَّى، وعبد قَصِي.
 فولد (عبد مناف) أربعة نفر: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل.

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام:

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة: العباس، وحزمة، (وعبد الله)، وأبا طالب، والزبير، والحارث، وحجلا، والمقوم، وضراراً، وأبا لهب واسمه عبد العُزَّى، وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة.

والدا رسول الله ﷺ

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله.

وأُمّه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأُمّها برة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قَصِي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك النضر.

فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً، من قبل أبيه وأمه، ﷺ، وشرف وكرم، ومجد وعظم.

حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر^(١) إذ أتى فأمر بحفر زمزم.

قال عبد المطلب:

إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قلت: وما طيبة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر المذنونة. فقلت: وما المذنونة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال:

(١) الحجر: حجر الكعبة. وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام.

احفر زمزم، قلت: وما زمزم؟ قال: لا تُنَزَفُ أبداً ولا تُدْمُ^(١)، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفَرث والدم^(٢)، عند نَفْرة الغراب الأعصم^(٣).

فلَمَّا يُنَّ له شأنها ودُلَّ على موضعها، وعَرَف أنه قد صَدِيقُ غدا بمَعولِه ومعه ابنه الحارث، ليس له يومئذٍ ولد غيره، فحفر فيها، فلَمَّا بدا لعبد المَطْلَب الطَّيَّ^(٤) كَبَر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصَتْ به دونكم. فقالوا له: فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيم. قال: نَعَمْ - وكانت بأشراف الشام^(٥) - فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظلموا حتى ايقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت. قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم وآروه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحدٍ أيسرُ من ضيعة ركب جميعاً. قالوا: نَعَمْ ما أمرت به. فقام كل واحدٍ منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز. فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينتظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكَبُر عبد المطلب وكَبُر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم. ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلم إلى الماء فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. فجاءوا وشربوا

(١) لا تدم: لا توجد قليلة الماء.

(٢) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قربة

النمل ونفرة الغراب، ولم ير الفَرث والدم. فبينما هو

كذلك فرت بقرة من جازرها، فلم يدركها حتى

دخلت المسجد الحرام، فتحرها في الموضع الذي

رسم، فسال هناك الفَرث والدم، فحفر عبد المطلب

حيث رسم له.

(٣) الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٤) الطي: الحجارة تطوى بها البشر.

(٥) أي ما ارتفع من أرضها.

واستَقُوا ثم قالوا: قد واللّه قُضِيَ لكَ علينا يا عبد المطلب، واللّه لا نخاصمكَ في زمزم أبداً. إن الذي سقاكَ هذا الماء بهذه القلاة هو الذي سقاكَ زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً!

فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخرّوا بينه وبينها.

نذر عبد المطلب ذبح ولده

وكان عبد المطلب بن هاشم، قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم، لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتّى يَمْنَعُوهُ لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على «هبل»^(١) وكان هبل على بئر في جوف الكعبة. وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وكان عند هبل قداح سبعة، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه «العقل»، إذا اختلفوا في العقل^(٢) من يحمّله منهم، ضربوا بالقداح السبعة؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج حمّله. وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه، يُضرب به في القداح. وقدح فيه «لا»، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر. وقدح فيه «منكم»، وقدح فيه «مُلصق»، وقدح فيه «من غيركم»، وقدح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً، أو يدفنوا ميتاً، أو شكوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل، وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قرّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحقّ فيه. ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب. فإن خرج عليه «منكم» كان منهم وسيطاً^(٣)، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «مُلصق» كان على منزلته فيهم، لا نسب له ولا حلف، وإن خرج فيه شيء مما يعملون به «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتّى يأتوه به مرة أخرى، يتتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

(١) اسم صنم.

(٢) العقل: الدية.

(٣) وسيط: خالص النسب.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه. وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله أصغر بني أبيه^(١)، وكان أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأ فقد أشوى^(٢).

فلما أخذ صاحب القداح القداح قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه! وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز؛ فإن به عرافة لها تابع، فسألها ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها بخير، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها، وقصص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به، ونذره فيه فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله. ثم قدموا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل. ثم ضربوا. فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب

(١) أي حين أراد نحره، وإلا فإن حمزة كان أصغر منه، والعباس كان كذلك أصغر من حمزة

(٢) أشوى: أبقى. ويقال: أشوى السهم، إذا لم يصب المقتل.

يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله. فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله. فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على «الإبل» فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب!

فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات. فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يُصد عنها إنسان ولا يمنع.

ذكر ما قيل لأمنة عند حملها برسول الله ﷺ

ويزعمون - فيما يتحدث الناس، والله أعلم - أن أمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث:

إنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقول: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد! ثم سميّه محمداً^(١).

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

ربيعة، كان أباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممن لهم علم بالكتاب، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك.

(١) لم يسم بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة، طمع آبائهم حين سمعوا بذكر رسول الله ويقرب زمانه، وأنه يبعث من الحجاز، أن يكون ولداً لهم، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق، ومحمد بن أبيحبة بن الجلاح، ومحمد بن حمران بن

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأُمُّ رسول الله ﷺ حاملٌ به .

ولادة رسول الله ﷺ

وُلِدَ رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل ^(١).

عن قيس بن مخزومة قال: ولدت أنا ورسول الله عام الفيل، فنحن لِدَتَانِ ^(٢).

عن حسان بن ثابت قال :

والله إني لَغَلامٌ يَفْعَةُ ^(٣)، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعتُ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ ^(٤) بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلِدَ به .

فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: إنه قد وُلِدَ لك غلامٌ فأتاه فانظر إليه . فأتاه فنظر إليه، وحدّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَت به أن تسمّيه .

فیزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ المراضع .

فاسترضع له امرأة من سعد بن بكر، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب .

حديث حليلة

كانت حليلة تحذث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ^(٥) ترضعه في نسوة من بني سعد، تلتمس الرضعاء ^(٦)، وذلك في سنة شهباء ^(٧) لم تُبق لنا شيئاً . فخرجت على أتانٍ لي قمرء ^(٨) معنا شارف لنا ^(٩)، والله ما تبصُّ بقطرة ^(١٠) وما ننام ليلتنا

(١) وقيل كان قبل مولده برمضان .

(٦) جمع رضيع .

(٢) لدتان: مثني لدة، وهو ترب الإنسان يولد معه .

(٧) الشهباء: المجدة البيضاء لا يرى فيها خضرة .

(٣) أي قوي قد طال قده .

(٨) الأتان: الحمارة . القمرء: التي يميل لونها إلى الخضرة .

(٩) الشارف: الناقة المسنة .

(٤) الأطمّة، بفتحين: الحصن .

(١٠) ما تبص قطرة: أي ما ترشح .

(٥) اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى .

أَجْعَ مِنْ صَبِينَا الَّذِي مَعَنَا مِنْ بَكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ، مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْذِيهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرْجَ. فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي، فَلَقَدْ أَذْمُتُ^(١) بِالرُّكْبِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضِعْفًا وَعِجْفًا^(٢) حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ، فَمَا مَنَا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَابَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدَهُ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لَذَلِكَ. فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَعِيَ إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيعًا، غَيْرِي. فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي^(٣): وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ أَخْذُ رَضِيعًا، وَاللَّهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَأَخْذُهُ! قَالَ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَه!

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتَهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ. فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّمَا لِحَافِلٌ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رَيًّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ!

قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةَ مَبَارَكَةً! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ.

ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِيَ، فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتُ بِالرُّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمْرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي: يَا ابْنَةُ أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيُحْكُ ارْبَعِي عَلَيْنَا^(٤)، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا؟! فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَهِيَ! فَيَقْلُنَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَانَا!

ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبْنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرِبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعِيَانِهِمْ: وَيَلْكُمْ اسْرْحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بَنَاتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ. فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبْنًا.

(١) أَيِ أَطْلَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسَافَةَ، لَتَمْلَهُمْ عَلَيْهَا، مَأْخُوذٌ (٣) تَعْنِي زَوْجَهَا الْخَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى.

مِنْ الشَّيْءِ الدَّائِمِ. (٤) أَيِ أَقِيمِي وَانْتَظِرِي.

(٢) الْعَجْفُ: الْهَزَالُ.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(١)، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من برسته، فكلّمنا أمه وقلت لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخاف عليه وبأ مكة. فلم نزل بها حتى ردته معنا.

فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم^(٢) لنا خلف بيوتنا إذ اتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليها ثياب بيض، فأضجعا فشقا بطنه، فهما يسوطانه^(٣)!

فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدته قائماً منتقماً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليها ثياب بيض، فأضجعاي وشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو؟

فرجعنا به إلى خباتنا وقال لي أبوه: يا حليلة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. فاحتملناه، فقدمنا به على أمه؛ فقالت: ما أقدمك به يا ظئر^(٤) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندي؟ فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه، فأدبته إليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك. فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: افتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم. قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن ليئي لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء قصور بصرى^(٥) من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لو أضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلق راشدة.

حديث شق الصدر

قال ابن إسحاق:

حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي:

(١) الجفر: الغليظ الشديد.

(٢) البهم: الصغار من الغنم، الواحدة بهمة.

(٣) يسوطانه: يضربان بعضه ببعض ويمركانه.

(٤) الظئر: المرأة ترضع ولد غيرها.

(٥) بصرى: من أعمال دمشق.

أن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك.
قال: نَعَمْ، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى أخِي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه
خرج منها نورٌ اضء لها قصور الشام، واسترَضعت في بني سعد بن بكر.

فبينما أنا مع أخ لي خلفَ بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيض،
بطستِ من ذهبٍ مملوءةٌ ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقا،
فاستخرجا منه غَلَقَةً سوداء فطرحاها، ثم غَسَلَا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم
قال أحدهما لصاحبه: زَنَّهُ بعشرة من أمته. فوزَّني بهم فوزنتهم، ثم قال: زَنَّهُ بمائة من
أمته. فوزَّني بهم فوزنتهم. ثم قال: زَنَّهُ بألفٍ من أمته. فوزَّني بهم فوزنتهم. فقال:
دعه، فوالله لو وزنته بأمته لوَزَّنها.

كفالة جده له

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كِلاءة
الله وحفظه، ينبت الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته. فلما بلغ رسول الله ﷺ ست
سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي
بن النجار تُزيره إيتاهم، فماتت وهي راجعةً به إلى مكة.

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم. وكان يُوضَع لعبد المطلب
فراشٌ في ظلِّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس
عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له. فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفَرٌ^(١) حتى يجلس
عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابني،
فوالله إنَّ له لساناً! ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.
فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانِي سنين هلك عبد المطلب، وذلك بعد الفيل بثمانِي
سنين.

كفالة عمه له

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب.
وإن رجلاً من هُلب^(٢) كان عائفاً^(٣)، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم

(١) الجفر: الغليظ الشديد.
(٢) بنو هلب: قوم مشهورون بالعيافة.
(٣) العائف: الذي يتفرس في خلقه الإنسان فيخبر بما

ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، ثم شغلّه عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام ، عليّ به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيّه عنه ، فجعل يقول ويلكم ! ردّوا عليّ الغلام الذي رأيتُ أنفأ ، فوالله ليكونن له شأن !

قصة بحيرا

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام ، فلما تمّياً للرحيل وأجمع المسير صَبَّ به ^(١) رسول الله ﷺ ، فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجنّ به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصرى وبها راهبٌ يقال له «بحيراً» في صومعةٍ له ، وكان إليه علّم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصّومعة منذ قطّ راهبٌ إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببجيرا ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً .

وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامةٌ تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتمهّصت ^(٢) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيراً نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، فآنا أحبُّ أن تحضروا كلّكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحُرّكم .

فقال له رجلٌ منهم : والله يا بحيراً إن لك لشأناً اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا : صدقت ، كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلّكم .

فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحدائنه سنّه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيراً ، ما تخلّف عنك

(٢) تمهّصت : مالت . وتذلت .

(١) أي مال إليه . ويروى «صبت به» أي تعلق .

أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فتخلف في رحلهم. فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. فقال رجل من قريش مع القوم: واللآت والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا! ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه - وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا قطُبغضهما! فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال له: سألني ما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به. قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفْتُ ليبغته شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم! فأسرع به إلى بلاده.

حرب الفجار

هاجرت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة^(١) وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان: كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم بينهم. وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. وهذا الفجار هو الفجار الأخير، وهو فجار البراض. وقبله فجارات ثلاث: أولها بين كنانة وهوازن، والثاني بين قريش وهوازن، والثالث بين كنانة وهوازن. وتفصيلها في العقد الفريد، والأغاني.

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. وهذا الفجار هو الفجار الأخير، وهو فجار البراض. وقبله فجارات ثلاث: أولها بين كنانة وهوازن، والثاني بين قريش وهوازن، والثالث بين كنانة وهوازن. وتفصيلها في العقد الفريد، والأغاني.

نزويج خديجة رضي الله عنها

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتُضاربهم إياه^(١) بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فتزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب^(٢) من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي!

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره. فلما قديم مكة على خديجة بما لها باعت ما جاء به فأضعف^(٣) أو قريباً.

وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه. وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسيطتك^(٤) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد^(٥) فخطبها إليه فتزوجها^(٦).

(١) المضاربة: أن تعطي مالاً لغيرك يتجر فيه، فيكون له سهم معلوم من الربح.

(٢) اسم هذا الراهب نسطورا.

(٣) أضعف: صار مضاعفاً.

(٤) السلطة: الشرف، من الوسط، كالعدة من الوعد.

(٥) هو خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

(٦) أصدقها ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فولدت لرسول الله ﷺ ولذَه كلُّهم، إلا إبراهيم^(١)، القاسم، وبه كان يكنى،
والطاهر والطيب^(٢)، وزينب، ورُقبة، وأم كلثوم، وفاطمة، عليهم السلام.
فأما القاسم، والطيب والطاهر، فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن
الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

حديث ورقة بن نوفل

وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها،
وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول
الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظْلانَه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا
خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا
زمانه !

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول: حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لَجِئْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجاً	هَمَّ طَالِماً بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَفٍ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفٍ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِیْطَنِ الْمَكْتَبِينَ عَلَى رَجَائِي	حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا ^(٣)
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍ	مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهَ أَنْ أَعُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا	وَيُخَصِّمُ مِنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نَوْرٍ	يَقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فِيَلْقَى مِنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً	وَيَلْقَى مِنْ يَسَالِمُهُ فُلُوجَا ^(٤)
فِيَا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم	شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوَّلَكُمْ وَلُوجَا

بنيان الكعبة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا
يهمون بذلك ليسقّفوها، ويهابون هدمها، وإنما كانت رَضاً^(٥) فوق القامة.
وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تُجَّار الروم، فتحطمت فأخذوا
خشبها فأعدوه لتسقيفها. وكان بمكة رجل قبضي نجار، فتهاى لهم في أنفسهم بعض ما

(١) أمه مارية القبطية، من «حفن» من كورة أنصنا من

صعيد مصر، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط.

(٢) الطاهر والطيب لقبان له، واسمه «عبد الله».

(٣) تني مكة، لأن لها بطاحاً وظواهر.

(٤) الفلوج: النصر والغلبة.

(٥) الرضم: حجارة منضودة من غير ملاط.

يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى لها كل يوم، فتشرق^(١) على جدار الكعبة. وكانت عما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلاّ احزألت وكشّت^(٢) وفتحت فاهاً. فبينما هي ذات يوم تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائراً فاحتطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عاملٌ رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجّع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحدٍ من الناس.

ثم إن قريشاً جزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبدمناف وزهرة ومابين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جحجهم وسهم، وشيئ الحِجر لبني عبد الدار ابن قصي ولبني أسد بن عبدالمعزي، ولبني عدي بن كعب.

ثم إنّ الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها. فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزع^(٣)! اللهم لا نريد إلاّ الخير! ثم هدم من ناحية الركنين، فترقب الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا.

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة^(٤) أخذ بعضها بعضاً.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن^(٥) فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا^(٦)، وتحالفوا وأعدوا للقتال.

(٤) جمع سنام، وهو أعلى ظهر البعير. ويروى:

وكالأسنة، جمع سنان، شبهت به في الخضرة.

(٥) يراد به الحجر الأسود، لأن موضعه في الركن.

(٦) تحاوزوا: انحاز كل قبيل منهم إلى جانب.

(١) أي تبرز للشمس.

(٢) احزألت: رفعت رأسها. وكشّت: صوتت باحتكاك

جلدها ببعضه بعض.

(٣) لم نزع: لم نخل عن دينك.

فزعّم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة، وكان عامثاً أسنّ قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا . فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رآوه قالوا: هذا الأمين، رضينا! هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ: هلّم إليّ ثوباً . فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه .

إخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود، والرهبان من النصارى

وكانت الأخبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى، فعلموا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره، لا تلقى العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله في العباد .



صفة رسول الله ﷺ

قال ابن هشام :

وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال :

كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نعت رسول الله قال : لم يكن بالطويل الممغط^(١)، ولا القصير المتردد، وكان رُبعة^(٢) من القوم، ولم يكن بالجعد القَطَط^(٣)، ولا السَّبَط، كان جَعْدًا رَجُلًا^(٤)، ولم يكن بالمظهم^(٥) ولا المكثم^(٦). وكان أبيض مُشربًا، أدهج العينين^(٧)، أهدب الأشفار^(٨) جليل المشاش^(٩) والكند^(١٠) دقيق المسربة^(١١) أجرد^(١٢) شثن الكفين^(١٣) والقَدَمين؛ إذا مشى تقلع^(١٤)، كأنما يمشي في صَبَب^(١٥)، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ﷺ خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة^(١٦)، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة^(١٧)، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة^(١٨) هابه، ومن خالطه أحبه. يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق :

وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَنَسُ الحواريُّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم، أنه قال :

- | | |
|--|---|
| (١) الممغط : الممتد. | (١٠) الكند : ما بين الكتفين. |
| (٢) الرُبعة : الذي ليس بالطويل ولا القصير. | (١١) المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة. |
| (٣) القَطَط : الشديد جموده الشعر. | (١٢) الأجرد : القليل الشعر. |
| (٤) الرجل : المسرح الشعر. | (١٣) الشثن : الغليظ. |
| (٥) المظهم : العظيم الجسم. | (١٤) تقلع : لم يثبت قدميه. |
| (٦) المكثم : المستدير الوجه في صفر. | (١٥) الصبب : ما انحدر من الأرض. |
| (٧) الأدهج : الأسود العينين. | (١٦) اللهجة : الكلام. |
| (٨) أهدب الأشفار : طويل أهدابها. | (١٧) لين العريكة : حسن العشرة. |
| (٩) المشاش : عظام رؤوس المفاصل. | (١٨) بديهة : ابتداء. |

«من أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الرَّبَّ. ولولا أَنِّي صَنَعْتُ بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعُوا أَحَدٌ قَبْلِي مَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ. ولكن من الآيَةِ بِطَرَوْا وَظَنُوا أَنَّهُمْ يَعْزُونَنِي^(١) وَأَيْضاً لِلرَّبِّ، ولكن لا بَدْ من أَنْ تَتَمَّ الكَلِمَةُ الَّتِي فِي النَّامُوسِ. إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجَانّاً - أَيِّ بَاطِلًا - فلو قد جاء المُنْحَمَتَا هَذَا الَّذِي يرسله الله إليكم من عند الرب. روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شَهِيدٌ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ أَيْضاً، لأنكم قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِي. في هذا قُلْتُ لَكُمْ لَكَيْمَا لَا تَشْكُوا^(٢)».

و«الْمُنْحَمَتَا»، بالسريانية: محمد، وهو بالرومية «الْبَرْقَلِيطُس».

البعث

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً. وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاقَ على كُلِّ نَبِيٍّ بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذَ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كُلِّ مَنْ آمَنَ بهم وصدَّقهم، فأدُّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه.

عن عائشة رضي الله عنها:

إِنَّ أَوَّلَ مَا بَدِءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفْلَقُ الصُّبْحِ. وَحَسَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوءَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ.

وعن عبد الملك بن عبيد الله:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتِدَآءَهُ بِالنَّبُوءَةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسُرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ^(٣)، وَيُفَضِّيَ إِلَى شِعَابِ^(٤) مَكَّةَ وَبَطُونِ أَوْدِيَّتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ. ثُمَّ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ، وَهُوَ بِحَرَاءِ^(٥). فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

(٤) الشعب: ما انفرج بين الجبلين.

(٥) حرّاء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال.

(١) عزه يعزه: غلبه.

(٢) انظر إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٣ - ٢٦.

(٣) أي تبعد عنه.

عن عبيد بن عمير:

كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنَّت به قريش في الجاهلية^(١). فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته. حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره، ومع أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج^(٢) فيه كتاب، فقال: اقرأ. قلت ما أقرأ^(٣). قال: فَعَتَّنِي بِهِ^(٤) حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أقرأ. فَعَتَّنِي بِهِ حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ماذا أقرأ؟ فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾. قال: فقرأتها ثم انتهيت فانصرف عني، وهبت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً.

فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعتُ صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل! فوقفْتُ أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك. فما زلتُ واقفاً ما أتقدمُ أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بعثتُ خديجةً رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك. ثم انصرف عني. وانصرفْتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة، فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً إليها^(٥) فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ رسلِي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليَّ!

(١) التحنن: التبعيد واعتزال الأصنام.

(٢) ويروي: «ما أنا بقاري».

(٣) غته: عصره عصراً شديداً.

(٤) النمط: ضرب من البسط. والديباج: ثياب من

(٥) مضيفاً إليها: ملتصقاً بها مائلاً إليها.

الإبريسم.

ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشير يا ابن عمّ واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده
إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة !

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمّها، وكان
ورقة تنصّر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول
الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدّوس قدّوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنتِ
صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر^(١) الذي كان يأتي موسى^(٢)، وإنه لنبيّ هذه
الأمة، فقلّي له فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلمّا قضى رسول الله ﷺ
جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة، فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت
وسمعت. فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبيّ هذه الأمة،
ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكدّبه، ولتؤدّبه، ولتخرجه،
ولتقاتله^(٣) ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرّاً يعلمه ! ثم أدن رأسه منه فقبل
يافوخه^(٤)، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

ابتداء تنزيل القرآن

فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ . وقال الله تعالى:
﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل
الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر﴾

وقال الله تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا
منذرين * فيها يُفرق كلُّ أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ . وقال تعالى: ﴿إن
كنتم أمتمم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ وذلك ملتقى رسول
الله ﷺ والمشرّكين ببدر.

أقنوما من الأقاليم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت
المسيح واتحد به، على اختلاف بينهم في ذلك
الحلول.

(٣) الهاء في كل هذه الأفعال هي هاء السكت.

(٤) يافوخه: أم رأسه.

(١) أراد به الملك الذي جاءه بالوحي، وأصل الناموس
صاحب سر الرجل.

(٢) السهيلي: «إنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو
أقرب، لأنه ورقة كان قد تنصّر، والنصارى لا يقولون
في عيسى: إنه نبي يأتيه جبريل، إنما يقولون فيه: إن

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمِنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ، وَوَاظَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، لَا يَسْمَعُ شَيْئاً مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تَثَبَّتْهُ وَتَخَفَّفَ عَلَيْهِ، وَتَصَدَّقَهُ، وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ، رَحِمَهَا اللَّهُ !

قال رسول الله ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ ببيتٍ مِنْ قَصَبٍ^(١) لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

فترة الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى، يُقَسِّمُ لَهُ رَبِّهِ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ : مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلَاهُ . فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : مَا صَرَمَكَ فتركك، وَمَا أَبْغَضَكَ ثُمَّ أَحْبَبَكَ . ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أَي لَمَّا عِنْدِي مِنْ مَرَجْعِكَ إِلَيَّ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا عَجَلْتُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ مِنَ الْفَلَجِ^(٢) فِي الدُّنْيَا، وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ . يَعْرِفُهُ اللَّهُ مَا ابْتَدَأَهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَمَنْعَهُ عَلَيْهِ فِي يَتَمِّهِ وَعَيْلَتِهِ وَضَلَالَتِهِ، وَاسْتِنْقَاذَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِرَحْمَتِهِ . ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ، أَي لَا تَكُنْ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَّاشًا فَظًّا عَلَى الضَّعِيفِ مِنَ الْعِبَادِ اللَّهِ . ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ . أَي بِمَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ مِنَ النَّبُوَّةِ فَحَدِّثْ، أَي اذْكُرْهَا وَادْعُ إِلَيْهَا .

فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه، وعلى العباد به من النبوة سرًّا إلى مَنْ يطمئنُّ إليه من أهله .

أول الناس إسلاماً

ثم كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تعالى : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ .

وَكَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ، وَأَرَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَنْ

(٢) الفلج : الفوز والغلبة .

(١) القصب : اللؤلؤ المنحوت .

قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بني رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفها عنه. فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فأتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقته.

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت!

ثم أسلم (زيد بن حارثة) بن شُرْحَبِيل بن كعب بن عبد العزى. وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام بريق فيهم زيد بن حارثة، فدخلت عليه عمته خديجة، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمه، أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك. فاخترت زيدا فأخذته، فراه رسول الله ﷺ عندها فاستوهمه منها فوهبته له، فاعتقه وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه.

ثم أسلم (أبو بكر بن أبي قحافة)، واسمه عتيق، واسم أبي قحافة عثمان. فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه، أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله. وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه.

فأسلم بدعائه عثمانُ بن عفَّان، والزُّبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله . فكان هؤلاء النفر الثمانية^(١) الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلُّوا وصدَّقوا .

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم^(٢)، وعثمان بن مظعون، وأخوه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو، وامراته فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأسما بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة، وخبَّاب بن الأَرْت، وعُمَيْر بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاري، وسَلِيط بن عمرو، وعِيَّاش بن أبي ربيعة، وامراته أسما بنت سلامة، وخُنَيْس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وجعفر بن أبي طالب، وامراته أسما بنت عُميس، وحاطب بن الحارث، وامراته فاطمة بنت المجلَّل، وأخوه حطَّاب، وامراته فُكَيْهة بنت يسار، ومعمار بن الحارث، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزمهر، وامراته رملة بنت أبي عوف، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله، وعامر بن فهيرة، وخالد بن سعيد بن العاص، وامراته أمينة بنت خلف، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وصُهَيْب بن سنان الرومي^(٣) .

الجهر بالدعوة

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً^(٤) من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به .

ثم إن الله عزَّ وجلَّ أمر رسوله ﷺ أن يصدعَ بما جاءه منه ، وأن يبايدي^(٥) الناسَ بأمره وأن يدعوَ إليه . وكان بين ما أخفى رسولُ الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاثُ سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فاصدعْ بما تؤمرُ وأعرض عن المشركين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

(١) هم علي ، وزيد ، وأبو بكر ، ومن أسلم على يديه .
(٢) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام ، وكانت داره على الصفا ، حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا
(٣) صهيب عربي ، ولكن الروم سبته صغيراً فنشأ فيهم فصار الكن ، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه . وفي الحديث : «صهيب سابق الروم» .
(٤) جمع رسل بالتحريك ، وهي الجماعة .
(٥) المباداة : المجاهرة .

(١) هم علي ، وزيد ، وأبو بكر ، ومن أسلم على يديه .
(٢) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام ، وكانت داره على الصفا ، حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا

المؤمنين * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٤﴾ .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلُّوا ذهبوا في الشُّعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شُعبٍ من شعاب مكة ، إذ ظهرَ عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحْيٍ بعير فشجَّه^(١) ، فكان أول دم هُريق في الإسلام .

فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردُّوا عليه حتَّى ذكر آهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خِلافه وعداوته ، إلّا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليلٌ مستخفون .

وحَدِّب^(٢) على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب ، ومنعَه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يرده عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبِهُم^(٣) من شيء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آهتهم ، وراوا أن عمُّه أبا طالب قد حَدِّب عليه ، وقام دونه فلم يُسلمه لهم ، مَثَى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا ، يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبَّ آهتنا وعاب ديننا وسفَّه أعلامنا وضلَّل آباءنا ، فلما أن تكفَّه عنا ، وإما أن تحلِّيَ بيننا وبينه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردَّهم رداً جميلاً ، فأنصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شرَّي^(٤) الأمر بينه وبينهم حتَّى تباعدَ الرجال وتضاغنوا ، وأكثرَت قريشُ ذكرَ رسول الله ﷺ بينها ، فتذامروا فيه^(٥) ، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشُّوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك ستاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنَّا قد استنبيناك من ابن أخيك فلم تنهَ عنا ، وإنَّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أعلامنا ، وعيب آهتنا ، حتَّى تكفَّه عنا ، أو نُنَازله وإياك في ذلك حتَّى يهلك أحد الفريقين .

فبعثَ إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا

(١) اللحي : العظم الذي فيه الأسنان . شجَّه : كسر .

(٢) يعتبهم : يرضيهم .

(٣) شرى : استطار وتفرق .

(٤) أي حضَّ بعضهم بعضاً .

(٥) أي عطف ورق .

وكذا - للذي كانوا قالوا له - فأتيت علي وعلى نفسك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعنه فبدأ^(١) أنه خاذله ومُسليمه، وأنه قد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته! ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهذ^(٢) فتى في قريش وأجمله، فخذَه فلك عقله^(٣) ونصرتَه، واتَّخذَه ولداً فهو لك، وأسلمَ إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرَّق جماعة قومك وسفَه أعلامهم^(٤) فنقتله، فإنما هو رجل برجل! فقال: والله لبس ما تسوموني^(٥)! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً! فقال المطعِم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك، وجهدوا على التخلُّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً! فقال أبو طالب للمطعِم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك؟

فحقَّب الأمر^(٦)، وحميت الحرب، وتناذرت القوم، وبأذى بعضهم بعضاً. ثم إن قريشاً تذاَمروا^(٧) بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب.

وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون، في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون.

(١) أي رأي جديد.

(٢) أي أشد وأقوى.

(٣) العقل: الدية.

(٤) أي عقولهم.

(٥) أي تكلفوني.

(٦) حقَّب أمرهم: فسد.

(٧) تذاَمروا: حض بعضهم بعضاً.

قول الوليد بن المغيرة في القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وإقم لنا رأياً نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهَّانَ، فما هو بمزممة^(١) الكاهن ولا سبعة، قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنفة ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّارَ وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم^(٢).

قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس. قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق^(٣)، وإن فرعه لجناة^(٤)، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. ففترقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَيْنَ شُهُوداً * وَمَهْدَتْ لَهُ تُمَهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾.

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم، للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم

(١) الزممة: كلام خفى لا يسمع.

(٣) العذق، بالفتح: النخلة.

(٢) كان الساحر يعقد خيطاً ثم ينفث فيه

(٤) الجناة: ما يجنى.

معه منهم، فأغروا به سفاءهم فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُبادٍ^(١) لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص:

حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط! سَفَهُ أعلامنا، وَسَبُّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم!

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أستمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح^(٢)!». .

فأخذت القومَ كلمته حتى ما منهم رجلٌ إلَّا كأنما على رأسه طيرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة^(٣) قبل ذلك ليرفؤه^(٤) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً!

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا ما بادأكم بما تكرهون تركتموه!

فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجل واحد، وأحاطوا به بقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا - لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم - فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك.

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بجميع رذائله، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يكي ويقول: أقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله!

ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشدَّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قط!

(١) الوصاة: الوصية، أي وصية بالأذى.

(٢) يرفؤه: يسكنه ويهدئه.

(٣) أي مجاهر.

(٤) كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا.

إسلام حمزة

حدثني رجل من أسلم، كان واعية :

أن أبا جهلٍ مرَّ برسول الله ﷺ عند الصُّفا فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ - ومولاه لعبد الله بن جُدعان في مسكني لها تسمع ذلك - ثم انصرف عنه فَعَمَدَ إلى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم .

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه^(١)، راجعاً من قَنَصٍ له^(٢)، وكان صاحب قَنَصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزُّ فتى في قريش وأشدُّه شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة^(٣) وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمدٌ أنفأ من أبي الحكم^(٤) بن هشام؟ وجده ها هنا جالساً فأذاه وسبَّه، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِذاً لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقِع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها فشجَّه شجَّةً منكراً، ثم قال: أنشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردَّ ذلك عليَّ إن استطعت.

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دُعُوا أبا عُمارة، فإنِّي والله قد سببت ابنَ أخيه سباً قبيحاً. وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّز وأمتنع، وأن حمزة سيمنعه. فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله

حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيِّداً - قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقومُ إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعلَّه يقبل بعضها، فنعطيه أيُّها شاء ويكفَّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة

(٤) أبو الحكم: كنية أخرى لأبي جهل، واسمه عمرو بن

هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.

(١) أي متقلداً إياه.

(٢) القنص: الصيد.

(٣) هي مولاة عبد الله بن جدعان.

ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(١) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّتهم به أحلامهم، وعبت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيباً^(٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطّب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع^(٣) على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه . قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني . قال : أفعل، فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكثمة بما تدعوننا إليه ﴾ . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها^(٤) فسجد، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة . يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تُصِبه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به !

قالوا : سحرَك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

(١) السطة : الشرف، من الوسط، كالعدة من الوعد .
(٢) الرتي : ما يترأى للانسان من الجن .
(٣) التابع : الصاحب من الجن .
(٤) هي قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ .

ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساء قريش

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين.

ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، وهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البختري ابن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل ابن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاصي بن وائل، ونبيه ومثبه رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم^(١)، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فبنا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً نراه قد غلب عليك بدلنا لك أموالنا في طلب الطب لك، حتى نبرئك منه أو نعوذ بك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فيبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أن ليس من الناس أحد أضيّق بلدأً، ولا أقل ماءً، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا

(١) العنت: الجور والأذى.

منهم قُصِيَّ بن كلاب، فإنه كان شيخَ صدق، ففسأهم عما تقول، أحقُّ هو أم باطل؟ فإن صدَّقوك وصنعت ما سألناك صدَّقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتمكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتمكم ما أُرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبرُ لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدِّقك بما تقول، ويُرَاجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة، يُغنيك بها عما تراك تبغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتبس المعاش كما نلتبس، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك، إن كنت رسولاً فيما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسقط الساء علينا كِسْفاً^(١) كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل».

قالوا: يا محمد، أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدَّم إليك فيعلمك ما تُرَاجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له «الرحمن»^(٢)، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أغدَرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نُهلكك أو تهلكنا! وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وهو ابن عمته^(٣). فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم

(١) جمع كسفة بالكسر، وهي القطة من الشيء.

(٢) هو مسيلة بن حبيب الحنفي، المعروف بمسيلة.

(٣) أسلم عبد الله قبل فتح مكة.

الكذاب، كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية. وكان

سألوا لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتكم من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوكم أن تأخذ لنفسكم ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتكم من الله فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وإيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنني أصدقك !

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف عنه رسول الله إلى أهله حزينا أسفاً، لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه، ولما رأى من مبادعتهم إياه .

صنع أبي جهل

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من غيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم !

قالوا: والله لا نُسَلِّمُك لشيء أبداً، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله كما يغدو، وكان بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركبتين : الركن اليماني والأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أندبتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مُتَّقِعاً لونه^(١)، مرعوباً، قد يبست يدهاء على حجره، حتى قَذَفَ الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيتُ مثل هامته، ولا مثل قَصْرته^(٢)، ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن ياكلني !

خبر النضر بن الحارث

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث فقال : يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم به بحيلة بعد، قد كان محمداً فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاء به

(١) انتقع لونه (بالبناء للمفعول) : تغير من هم أو فرح . (٢) القصرة : أصل العنق .

قلتُم: ساحر ! لا، واللّٰه ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفّثهم عُقْدَهُم، وقتلتم: كاهن ! لا واللّٰه ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهنة ونخالجهم، وسَمِعنا سجعهم. وقتلتم شاعر ! لا واللّٰه ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسَمِعنا أصنافه كلّها: هزجَه ورجزَه. وقتلتم: مجنون ! لا واللّٰه ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنونَ، فما هو بخنقَه، ولا وسوسته، ولا تخليطه. يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه واللّٰه لقد نزل بكم أمر عظيم !

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رُسُتَم وإِسْفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه باللّٰه، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة اللّٰه، خلّفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا واللّٰه يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلُم إليّ فانا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُسُتَم وإِسْفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مِنِّي ؟

وكان ابن عباس رضي اللّٰه عنهما يقول: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول اللّٰه عز وجل: ﴿ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

ثم إنهم عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كلّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين، فجعلوا يَجْسُونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مَكّة إذا اشتدّ الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفْتَن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم ويعصمه اللّٰه منهم.

وكان بلال مولى أبي بكر رضي اللّٰه عنهما، لبعض بني جُمح، مولدًا من مولديهم، وهو بلال بن رَبَاح، وكان اسم أمّه حامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. وكان أمية بن خلف بن وهب بن خُذافة بن جمح يُخرجه إذا هبت الظهيرة فيطرّحه على ظهره في بطحاء مَكّة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا واللّٰه لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفرَ بمحمد وتعبذ اللَّات والعزى ! فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحد ! ! وكان ورقة بن نوفل يمرُّ به وهو يعذّب بذلك وهو يقول أحدٌ أحد، فيقول: أحدٌ أحد واللّٰه يا بلال ! ثم يُقبل على أمية بن خلفٍ ومَنْ يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف باللّٰه لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً^(١) ! حتّى مرَّ به أبو بكر الصديق رضي اللّٰه عنه يوماً وهم

(١) أي موضع حنان، أتمسح به متبركاً.

يصنعون به ذلك، فقال لامية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى ! قال: أنت الذي أفسدته فأنيقده مما ترى ! فقال أبو بكر: أفعُل، عندي غلام أسود أجلدُ منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هوك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذَه فاعتقه.

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم: عامر بن فهيرة، وأم عُبَيْس، وزُئيرة وأصيب بصرها حين اعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ! فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ! فرد الله بصرها.

وأعتق النهدية وبنيتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدهما بطحين لها وهي تقول: والله لا اعتقكما أبداً ! فقال أبو بكر رضي الله عنه: حل^(١) يا أم فلان ! فقالت: حل ؟ أنت أفسدتها فاعتقها ! قال: فبكم هما ؟ قالت: بكذا وكذا . قال: قد أخذتهما، وهما حُرَتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال: ذلك إن شئنا.

ومر بجارية بني مؤمل، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطاب يعذّبها لتترك الإسلام. وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا ملالة ! فتقول: كذلك فعل الله بك ! فابتاعها أبو بكر فاعتقها.

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُني، إني أراك تُعتِق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل !

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حيت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة^(٢)، فيمرّ رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة ! فأمّا أمّه فقتلوا وهي تائب إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك ! لنسفهن جلمك، ولنُفيلن^(٣) رأيك، ولنضعن شرفك !

(١) قيل رايه: قبحه وخطاه.

(٢) أي تحللي من يمينك.

(٣) الرمضاء: الرمل الساخن من شدة حرارة الشمس.

وإن كان تاجراً قال: والله لنكسُدن تجارتك، ولنهلكن مالك!
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.
عند سعيد بن جبير قال:

قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويحبسونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. حتى إن الجعل^(١) ليمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتدأ منهم عما يبلغون من جهده.

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة معه امرأته ليل بنت أبي حنمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، وسهيل بن بيضاء فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة^(٢).

ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه.
فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً.

(١) الجعل: دابة سوداء كالخنفساء من دواب الأرض، (٢) قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون. قبل هو أبو جبران.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَيْنِ إلى النجاشي، فيردّهم عليهم، ليفتنوهم عن دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ثم بعثوهما إليه.

عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت: لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ، النجاشي، أمينا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذِي ولا نُسَمِّعُ شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدَيْن، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُسْتَطَرَفُ من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(١). فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار، عند خير جارٍ، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دَفَعَا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريقٍ منهم: إنه قد صَوَى^(٢) إلى بلد الملك مِنَّا غِلْمانَ سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثْنَا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كَلَّمْنَا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسَلِّمَهُم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٣) وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما. ثم كلّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صَوَى إلى بلدك منا غِلْمانَ سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثْنَا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم، لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن

(١) الأدم: الجلود.

(٢) صَوَى إليه: لجأ وأوى.

بسمع كلامهم النجاشي، فقالت بطارفته حوله: صدقاً أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله^(١)، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادني، واختاروني على من سواي، حتى أدعوه فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منها وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي من الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام - فصّدّقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشارك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا إلا نُظلم عندك أيها الملك!

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدرًا من

(١) اي لا والله.

﴿ تَهَيَّعْ ﴾ . قالت: فبكى واللّه النجاشي حتى اخضلت لحيته^(١). وبكت أسافقته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ! ثم قال لهم النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليُخْرِجَ من مشكاة واحدة^(٢) ! انطلقا، فلا واللّه لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون !

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: واللّه لآتينه غداً بما استأصل به خضراءهم^(٣) ! فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أثنى^(٤) الرجلين فينا - : لا تفعل، فإنّ لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: واللّه لأخبرنه أنهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد ! ثم غدا عليه من الغد فقال له أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا: نقول واللّه ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن !

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول^(٥).

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: واللّه ما عدا عيسى بن مريم ممّا قلت هذا العود^(٦).

فتناحرت بطارفته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نحرتم واللّه، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي^(٧)، من سبكم غريم، من سبكم غريم ! ما أجب أن لي ذبراً^(٨) من ذهب وأني أذيت رجلاً منكم ! ردّوا عليها هداياهما فلا حاجة لي بها. فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فواللّه لا أسلمك لشيء أبداً.

قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين، مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فواللّه إنا لعلّ ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فواللّه ما

(٥) البتول: العذراء المنقطعة عن الأزواج.

(٦) أي مقدار هذا العود.

(٧) ويروى: «سيوم» أي آمنون.

(٨) الذبر، بلغة الحبشة: الجبل.

(١) أي ابتلت من الدموع.

(٢) المشكاة: الكوة غير النافذة.

(٣) أي شجرتهم التي تفرعوا منها. وخضراء كل شيء.

(٤) ويروى: «أبقى».

علمتُنا حزناً حزناً قط كان أشدَّ علينا من حزنِ حزنائه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يُعرف منه. وسار إليه النجاشي وبينهما عَرَضُ النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضرُ وقِعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فانت. وكان من أحدث القوم سناً. فنفضوا له قربةً فجعلها في صدره، ثم سَبَّحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده. فوالله إنا لعلّ ذلك متوقِّعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه^(١)، وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي!

وأهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده، واستوسق^(٢)، عليه امر الحبشة. فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

إسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهما النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرَأَم ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة، حتى عازوا قريشاً^(٣).

وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر أن نصليَّ عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صليَّ عند الكعبة، وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

وكان إسلام عمر فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم بعُلهَا سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النخام - رجل من قومه من بني عدي بن كعب - قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه^(٤).

وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمرُ

(١) لمع بثوبه: رفعه وحركه ليراه غيره.

(٢) أي غلبوهم.

(٣) استوسق: اجتمع.

(٤) الفرق: الخوف.

يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجالٍ ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها، وسبّ آئتها، فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلمنا وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما^(١).

فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه^(٢)، وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها ﴿طه﴾ يقرئها إياها. فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في تخدع لهم^(٣) أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهيئمة^(٤) التي سمعتُ؟ قالوا له: ما سمعتُ شيئاً. قال: بلى والله، لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه! وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وأماناً بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك! فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما كان صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتباً^(٥) - فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي. وحلفت لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يسها إلا الطاهر^(٦)! فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة

(١) إنما أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ، خشية عليه، وإيذاء فاطمة وزوجها أمّون من ذلك أمراً.

(٢) أي عارفاً بالكتابة.

(٣) الختن: زوج البنت أو الأخت.

(٤) المختدع: بيت صغير داخل البيت الكبير.

(٥) الهيئمة: صوت كلام لا يفهم.

(٦) أي عارفاً بالكتابة.

(٧) الختن: زوج البنت أو الأخت.

(٨) المختدع: بيت صغير داخل البيت الكبير.

نبيّه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب! فالله الله يا عمر!

فقال له عند ذلك عمر: فذلّني يا خبابُ على محمد حتى آتية فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفرٌ من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمّد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضربَ عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشّحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وفزعُ فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشّحاً بالسيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: إذن له. فأذن له الرجل ونهضَ إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْرته^(١) أو بمجمع رداءه، ثم جَبَذَ به جبذةً شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة^(٢). فقال عمر: يا رسول الله، جئتُك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله!

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرةً عرفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عرّوا في أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، وعرفوا أنها سيمعان رسول الله ﷺ ويتصفون بها من عدوهم.

قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكّرتُ أي أهل مكة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتية فأخبره أنني قد أسلمت. قال: قلت أبو جهل. فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إليّ أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أخي^(٣)، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدّقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به!

خبر الصحيفة

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن

(٣) كانت أم عمر حنمة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل بن هشام.

(١) الحجزة: موضع شد الإزار.

(٢) القارعة: الداهية.

النجاشي قد مَنَعَ من لجأ إليه منهم، وإن عمر قد أسلم فكان هو وحزبة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان الإسلامُ يفسو في القبائل، اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلَّ بعض أصابعه.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش فظاهروهم. وكان يقول بعض ما يقول:

يَعْدُنِي مُحَمَّدٌ أَشْيَاءُ لَا أَرَاهَا، يَزْعُمُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَاذَا وَضَعَ فِي يَدَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ؟ ثُمَّ يَنْفُخُ فِي يَدَيْهِ وَيَقُولُ: تَبًّا لَكُمَا، مَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئاً مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جُهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سراً، مستخفياً به من أراد صلَّتْهم من قريش.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يَمْزُونَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيُخَاصِمُونَهُ، وَجَعَلَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِي قَرِيشٍ بِأَحْدَاثِهِمْ وَفِيمَنْ نَصَبَ لِعِدَاوَتِهِ مِنْهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ سُمِّيَ لَنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي عَامَةِ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ مِنَ الْكُفَّارِ.

فكان مِّنْ سُمِّيَ لَنَا مِنْ قَرِيشٍ مَّنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَمَهُ أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما حربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعنا! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

(١) وقيل: إن سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا، فصعد عليه وقال: يا صباحاه! فلما اجتمعوا إليه قال رأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بالوادي تريد أن

وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية وحمالة الخطب، لأنها كانت تحمل الشوك فتطره على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر، فأنزل الله تعالى فيها:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي يَدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أم جميل، حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر^(١) من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني! والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه! ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج، كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه وكثره^(٢)، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾.

والعاص بن وائل السهمي، كان خباب بن الارت، صاحب رسول الله ﷺ، قتيلاً يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها له، حتى كان له عليه مال، فجاء يتقاضاه، فقال له: يا خباب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة، أو ثياب أو خدم! قال خباب: بلى. قال: فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب، حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله مني ولا أعظم حقاً في ذلك. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أُلْتُغِيَ الْغَيْبُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾.

ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له: والله يا محمد لتتركن سب أهلتنا أو لنسبن إهلك الذي تعبد! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب أهتهم

(١) فهر: حجر في مقدار ملء الكف.

(٢) الهمز: أن يشتم الرجل علانية، ويكره عنه عليه ويغمر به، واللمز: أن يعيبه سراً.

وجعل يدعوهم إلى الله .

والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رُستم الشيد^(١)، وعن إسفنديار، وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها محمد. فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿، ونزل فيه ﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . ونزل فيه: ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ آفَاقٍ انْشِيمَ ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُفْرًا قُبْشَرُهُ بِعَذَابِ الْيَمِ ﴿ .

والأخنس بن شريق بن وهب الثقفي، وكان من أشرف القوم ومن يُستَمع منه، فكان يُصيب من رسول الله ﷺ ويرد عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَلَا تَطْغَ كُلُّ خَلَابٍ مَهِينٍ ﴾ هَمَزَ مَشَاءَ بَنِيمٍ ﴿ إلى قوله: ﴿ زَنِيمٍ ﴾

والوليد بن المغيرة قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيمي القريتين^(٢) ! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وكانا متصافيين، حسناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أبيّاً، فأقى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ! وجهي من وجهك حرام أن اكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأتِه فتتلف في وجهه ! ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ وَيَوْمَ يَقُصُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إلى قوله: ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .

ومشي أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد ارفقت فقال يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم^(٣) ! ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان

(١) معناه في الفارسية الشمس، أو ضوؤها.

(٢) أرم: بلي، وصارمة.

(٣) القريتان: مكة والطائف.

هكذا، ثم يدخلك الله النار ! فأنزل الله تعالى : ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يحييها الذي أنشأها أول مرة وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾

واعترض رسول الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني، الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن أبي خلف والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذري أسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد، هلّم فلنعبّد ما تعبد، فنشرك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنّا أخذنا بحطّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحطّك منه. فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

وأبوجهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لهم بها قال : يا معشر قريش، هل تذرّون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنّا منها لتزقمنّها تزقماً^(١) ! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِن شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْنِمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ أي ليس كما يقول .

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يكلمه، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو في ذلك إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، وذلك أنّه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ . أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً، لم أخص بك أحداً دون أحد، فلا تمنعه من ابتغاه، ولا تتصدّئ به لمن لا يريده .

وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته^(٢) إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً^(٣) يستتر به منهم إذا صلى. فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، يخرج به ﷺ

(١) التزقّم: الابتلاع. (٢) البرمة: القدر من حجارة. (٣) الحجر: كل ما حجرته من حائط.

على العود، فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوارٍ هذا؟ ثم يليه في الطريق.

عودة مهاجرة الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً.

وجميع من قدم عليه من مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً.

فكان من دخل منهم بجوارٍ فيمن سُمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة. وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ودخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب - وكان خاله - وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب.

حديث نقض الصحيفة

ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاثبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش، ولم يُل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو وذلك أنه كان ابن أخي فضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبني هاشم واصلًا، وكان ذا شرف في قومه، فكان فيما بلغني يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً، قد أوقره^(١) طعاماً، حتى إذا أقبل به فَم الشعب خلَع خِطَامَه من رأسه، ثم ضَرَب على جنبه، فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بَرًّا^(٢) فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رَضِيت أن تأكل الطَّعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت، ولا يُبتاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم. أما إني لأحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً! قال: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لَقُمْتُ في نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلاً قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبعنا رجلاً ثالثاً.

(٢) البر: الثياب.

(١) أوقره: حله.

فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له : يا مطعم ، أقد رضىيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟ ! أما والله لئن أمكنتهم من هذه لتجدتهم إليها منكم سراعاً . قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدت ثانياً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثاً . قال : قد فعلت . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : أبغنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك . قال : أبغنا خامساً .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب . فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سئى له القوم .

فأتعدوا خطم الحجون^(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أهدوكم فاكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدّوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أمية عليه حلّة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أناكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية من المسجد : كذبت والله لا تشق !

قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضىينا كتابتها حيث كتبت . قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المعظم بن عدي : صدقتها ، وكذب من قال غير ذلك ، نبأ إلى الله منها ومما كتب فيها ! وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل . تُشور فيه بغير هذا المكان .

قال : وأبو طالب جالس في ناحية المسجد . فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فشلت يده فيما يزعمون .

(١) خطم الحجون : موضع . والحجون : جبل بأعلى مكة .

أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية، قال:

قدم رجلٌ من إراشٍ بابلٍ له مَكَّة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطَّله بأثمانها، فأقبل الإراشي حتى وقفَ على ناذٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية من المسجد جالس، فقال: يا معشرَ قريش، مَنْ رجلٌ يُوَدِّني^(١) على أبي الحكم بن هشام، فإني رجلٌ غريبٌ، ابنُ سبيلٍ، وقد غلبني على حَقِّي؟ فقال له أهلُ ذلك المجلس: أترى ذلك الرجلُ الجالس - لرسول الله ﷺ، وهم يهزؤون به، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يُوَدِّيك عليه!

فأقبل الإراشي حتى وقفَ على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبدَ الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقِّي لي قبله، وأنا رجلٌ غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجلٍ يُوَدِّني عليه، يأخذ لي حَقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حَقِّي منه يرحمك الله! قال: انطلقْ إليه. وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه قالوا للرجلِ مَنْ معهم: اتَّبِعْهُ فانظر ماذا يصنع؟

وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضربَ عليه بابه، فقال: مَنْ هذا؟ قال: محمد، فاخرجْ إليَّ. فخرج إليه وما في وجهه من رائحة^(٢)، قد انتقعَ لونه، فقال: أعطِ هذا الرجلَ حَقَّه، قال: نعم، لا تبرحْ حتى أعطيه الذي له. فدخلَ فخرَجَ إليه بحَقَّه فدفعه إليه.

ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال للإراشي: الحقْ بشانك. فأقبل الإراشي حتى وقفَ على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي بحَقِّي.

قال: وجاء الرجلُ الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب. والله ما هو إلا أن ضربَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحه، فقال له: أعطِ هذا حَقَّه، فقال: نعم، لا تبرحْ حتى أخرجَ إليه حَقَّه، فدخلَ فخرجَ إليه بحَقَّه فأعطاه إياه!

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعتَ قط! قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضربَ عليَّ بابي وسمعتُ صوته فملتُ رُعْباً

(٢) أي بقية روح.

(١) يُوَدِّني: يعينني.

ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قَصْرته، ولا أنبياء لفحلٍ قط، والله لو آبيت لأكلني !

حديث الإسراء

ثم أُسرِي برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(١)، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها.

فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول:

أتى رسول الله ﷺ بالبراق، وهي الدابة التي كانت تُحْمَل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرهما في منتهى طرفها، فُحْمِل عليها، ثم خرج به صاحبه، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى، في نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصل بهم. ثم أتى بثلاثة أنبياء: إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. فقال رسول الله ﷺ: فسمعت قائلاً يقول حين عُرِضْتُ علي: إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هُديت وهديت أمته. قال: فأخذت إناء اللبن فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديت وهديت أمتك يا محمد !

قال ابن إسحاق: وحُدِّث عن الحسن أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست فأخذ بعضدي، فقامت معه، فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يُحْفَز^(٢) بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأقامهم رسول الله ﷺ فصل بهم، ثم أتى بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر، فقال له جبريل: هُديت للفقرة وهديت أمتك يا محمد، وحُرِّمَت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح

(٢) يحفز: يدفع.

(١) قال السهيلي: قيل كان قبل الهجرة بعام.

غدا على قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس: هذا والله الإمر^(١) البين! والله إن العيرَ لتَطْرُدُ^(٢) شهراً من مكة إلى الشام مدبرةً، وشهراً مُقبلةً، أفذهب ذلك محمدٌ في ليلةٍ واحدةٍ ويرجع إلى مكة!

قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة! فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بل، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس. فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يُعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه! فهذا أبعد مما تُعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال: يا نبي الله فصِّفه لي، فإني قد جئتُه. فقال رسول الله ﷺ: فزُفِعَ لي حتى نظرتُ إليه. فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت، أشهد أنك رسول الله. حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق. فيومئذ سَمَّاهُ «الصديق».

عن سعيد بن المسيّب، أن رسول الله ﷺ رصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رماهم في تلك الليلة فقال:

أما إبراهيم فلم أر رجلاً أشبه قط بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه^(٣). وأما موسى فرجل آدم طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى^(٤) كأنه من رجال شنوءة^(٥). وأما عيسى بن مريم فرجلٌ أحمر بين القصير والطويل، سَبَطَ الشعر كثير خيلان الوجه^(٦)، كأنه خرج من ديماس^(٧)، تحال رأسه يقطر ماءً، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي.

قصة المعراج

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس، أتَيْتُ بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يُمَدُّ إليه ميتكم عينيهِ إذا حُضِرَ، فأصعدني صاحبي فيه

(١) الإمر، بكسر الهمزة: العجيب المنكر.

(٢) العير: النافلة، تطرد طرداً: تهرى وتسرع.

(٣) شنوءة: قبيلة من الأزد.

(٤) أقنَى: جمع خال، وهو الشامة السوداء.

(٥) الخيلان: وهو الشامة السوداء.

(٦) آدم: أسمر. الضرب: الخفيف اللحم. الجعد:

(٧) ديماس، بكسر الدال، وفتحها: الحمام.

حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحَفْظَةِ، عليه مَلَكٌ من الملائكة يقال له إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يَدَيَّ كُلِّ ملك منهم اثنا عشر ألف ملك - يقول رسول الله ﷺ حين حَدَّثَ بهذا الحديث: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ - فلما دخل بي قال: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا محمد. قال: أو قد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعني بخير وقاله.

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرّض عليه أرواحُ بني آدم فيقول لبعضها إذا عُرِضَتْ عليه خيراً وُسْراً به، ويقول: روح طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ من جسد طَيِّب. ويقول لبعضها إذا عُرِضَتْ عليه: أَفْ! وَيَعْبَسُ بوجهه ويقول: روح خبيثة خَرَجَتْ من جسد خبيث. قلت: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تعرّض عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِهِ فإذا مَرَّتْ به روح المؤمن منهم سرَّ بها وقال: روح طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ من جسد طَيِّب! وإذا مَرَّتْ به روح الكافر منهم أَفَفْ^(١) منها وكرهها وساء ذلك، وقال: روح خبيثة خَرَجَتْ من جسد خبيث!

ثم رأيت رجالاً لهم مَشَافِرُ^(٢) كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ، في أيديهم قِطْعٌ من نار كالْأَفْهَارِ^(٣)، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلُمًا.

ثم رأيت رجالاً لهم بطونٌ لم أر مثلاً قط، بسبيل آل فرعون^(٤) يَمْزُورُونَ عليهم كالإبل المهبومة^(٥) حين يُعْرَضُونَ على النار، يطشونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ الرِّبَا.

ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحمٌ سمين طَيِّبٌ، إلى جنبه لحمٌ غثٌ منتن^(٦) يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن.

ثم رأيت نساءً معلقاتٌ بثُدُنِهِنَّ، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أَدْخَلْنَ على الرِّجَالِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ.

(١) أي قال: أف، تضجرأ.

(٢) المشر: شفة البعير.

(٣) الأفهار: جمع فهر، حجر في مقدار ملء الكف.

(٤) آل فرعون، لهم في الآخرة أشد العذاب.

(٥) المهبومة: العطاش.

(٦) الغث: الضعيف المهزول.

ثم أضعدي إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا.

ثم أضعدي إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب.

ثم أضعدي إلى السماء الخامسة، فإذا فيها كهلاً أبيض الرأس واللحية، عظيم العنثون^(١)، لم أر كهلاً أجمل منه، قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران.

ثم أضعدي إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجلٌ آدم طويلٌ أقي، كأنه من رجال شنوءة، فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران.

ثم أضعدي إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهلاً جالسٌ على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور، يدخله كلُّ يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جاريةً لَعِساء^(٢)، فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني ورأيتها. فقالت: لزيد بن حارثة.

فبشَّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم صاحبٌ كان لكم، سألتني: كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم. فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجعْ إلى ربِّك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعتُ فسألتُ ربِّي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعتُ فسألتُ ربِّي فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال مثل ذلك، فرجعتُ فسألتُ فوضعه عني عشراً، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلِّما رجعتُ إليه قال: فارجع فاسأل. حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يومٍ وليلة. ثم رجعتُ إلى موسى فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعتُ ربِّي وسألته، حتى استحيتُ منه، فما أنا بفاعل.

(٢) اللعساء: التي يضرب لون شفنها إلى السواد قليلاً.

(١) العنثون: اللحية.

فَمَنْ أَدَاهُمْ مِنْكُمْ إِيْمَانًا بِهِمْ وَاحْتِسَابًا لَهُمْ، كَانَ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً.

وفاة أبي طالب وخديجة

ثم إِنَّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَأَبَا طَالِبَ هَلَكَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، فَتَتَابَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَصَائِبُ، بِهَلْكَ خَدِيجَةَ، وَكَانَتْ لَهُ وَزِيرٌ صَدَقَ عَلَى الْإِسْلَامِ، يَشْكُو إِلَيْهَا، وَبِهَلْكَ عَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ لَهُ عِضْدٌ وَجِرْزٌ فِي أَمْرِهِ، وَمَنْعَةٌ وَنَاصِرٌ عَلَى قَوْمِهِ. وَذَلِكَ قَبْلَ مُهَاجِرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سَنِينَ.

فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قَرِيشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيَةٌ مِنْ سَفَهَاءِ قَرِيشَ، فَثَرَّ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتَّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التَّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: لَا تَبْكِي يَا بَنِيَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعُ أَبَاكَ. وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: مَا نَالَتْ مِنِّي قَرِيشٌ شَيْئًا أَكْرَهَهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ.

وَمَا اشْتَكَى أَبُو طَالِبٍ^(١) وَبَلَغَ قَرِيشًا ثِقْلَهُ، قَالَتْ قَرِيشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِنْ حَمَزَ وَعُمِرَ قَدْ أَسْلَمُوا، وَقَدْ فَشَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِي قِبَائِلِ قَرِيشَ كُلِّهَا، فَانْطَلَقُوا بِنَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَلْيَأْخُذْ لَنَا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، وَلْيُعْطِهِ مِنَّا. وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَزُّنَا أَمْرَنَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلَّمُوهُ، وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ: عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فِي رَجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى وَتَحْوَفُّنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَادْعُهُ. فَخَذَ لَهُ مِنَّا وَخَذَ لَنَا مِنْهُ، لِيَكْفَ عَنَّا وَنَكْفَ عَنْهُ، وَلِيَدْعَنَا وَدِينَنَا وَنَدْعُهُ وَدِينَهُ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ، قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيُعْطَوْكَ وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَعْطُونِيهَا تَمْلِكُونَهَا بِهَا الْعَرَبُ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَبِيكَ وَعَشْرُ كَلِمَاتٍ. قَالَ: «تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ». فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَالُوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْإِلَٰهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنْ أَمَرْتُكَ لَتَعْجَبَ! ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ، بِمَعْطِيكَمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ، فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ.

(١) اشْتَكَى: مَرَضَ. وَالشُّكُو وَالشُّكُوى وَالشُّكَاةُ وَالشُّكَاةُ: الْمَرَضُ.

ثم تفرقوا فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: واللّه يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً ! فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له: أي عمّ، فأنت فقلّها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة.

فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي، واللّه لولا مخافة السّية عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أنّي إنما قتلتها جزعاً من الموت لقتلتها، لا أقولها إلاّ لأسرك بها.

فلما تقارب من أبي طالب الموتُ نظر العباس إليه بحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فقال: يا ابن أخي، واللّه لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ! فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع.

قال: وأنزل الله تعالى في الرّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه وقال لهم ما قال وردّوا عليه ما ردّوا: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ اجْعَلِ الْاِلَٰهَةَ اِلٰهًا وَاَحَدًا اِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَاَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ اَنْ اَمْسُوْا وَاَصْبِرُوْا عَلٰى اِلْهٰتِكُمْ اِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ ﴾ - يعنون النصارى لقولهم: ﴿ اِنَّ اللّٰهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ ﴾ - ﴿ اِنْ هَذَا اِلَّا اَخْتِلَاقٌ ﴾.

ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمّد إلى نفر من ثقيف، يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرتة على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يبرط^(١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث: واللّه لا اكلمك أبداً، لئن

(١) يبرطها: ينزعها ويرمي بها.

كنت رسولاً من الله كما تقول، لانت أعظم خطراً من أن أُرَدَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن اكلّمك !

فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني . وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومُه عنه فيُذْثِرهم^(١) ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونُه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، والجؤوة إلى حائط^(٢) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف مَن كان يتبعه، فعمدَ إلى ظلِّ حُبلة^(٣) من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسولُ الله ﷺ المرأة التي من بني جُمح فقال لها: ماذا لقينا من أحاثك ؟ ! فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتي، وقلةَ حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى مَنْ تكلُّني: إلى بعيدٍ يتجهَّمُنِي^(٤)، أم إلى عدوِّ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبي^(٥) حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك !

فلما رآه ابنا ربيعة: عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رَجْمُها، فدعوا غلاماً لها نصرانياً يقال له «عَدَّاس» فقالا له: خُذْ قِطْفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ . فلما وضع رسولُ الله ﷺ فيه يده قال: باسم الله . ثم أكل، فنظر عدَّاسُ في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلامَ ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله ﷺ: ومن أيِّ البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك ؟ قال: نصراني، وأنا رجلٌ من أهل نِينَوى^(٦) . فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ! فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي ! فأكتب عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه .

(١) أذَّارَه عليه: أثَّارَه وجَراَه .

(٢) الحائط: البستان إذا كان عليه جدار .

(٣) الحبلَة: شجرة العنب .

(٤) يتجهَّمُنِي: يلقياني بالغلظة والوجه الكريه .

(٥) العتبي: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب .

(٦) نينوى: قرية بالموصل، من العراق .

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك! فلما جاءهما عدّاس قالاً له: ويلك يا عدّاس، مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيءٌ خير من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيّ! قالاً له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإنّ دينك خير من دينه!

أمر جنّ نصيين

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يش من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة^(١) قام من جوف الليل يصليّ فمرّ به نفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم - فيها ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيين^(٢)، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلّاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا.

فقصّ الله خبرهم عليه ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وإذ صرّفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن﴾، إلى قوله: ﴿ويجرّكم من عذابٍ أليمٍ﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿قلّ أوحى إليّ أنّه استمع نفراً من الجنّ﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السورة.

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

ثم قدّم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشدّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت، على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنّه نبيّ مرسل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به.

قال ربيعة بن عباد:

إني لأغلام شابّ مع أبي بنّي، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوا بي وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به. وخلفه رجلٌ أحوّل وضيء، له غديرتان^(٣)، عليه حلّة عذنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنّ هذا إنما

من الموصل إلى الشام.

(٣) الغديرة: الذؤابة من الشعر.

(١) نخلة: أحد واديين على ليلة من مكة، يقال لأحدهما

نخلة الشامية، وللآخر نخلة اليمانية.

(٢) نصيين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل

يدعوكم إلى أن تَسْلَخُوا اللات والعزى من أعناقكم، وحُلفاءكم من بني مالك بن أقيش^(١)، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه !
فقلت لأبي: من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمُّه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن إسحاق: حدثنا ابن شهاب الزهري: أنه أتى كندة في منازلهم، وفيهم سيدٌ لهم يقال له مُلَيْح، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعرضَ عليهم نفسَهُ فأبوا عليه.

وأَنَّهُ أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ وعرضَ عليهم نفسه، فقال له رجلٌ منهم يقال له «بَيْحرة بن فراس»: والله لو أتى أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب! ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرَكَ الله على من خالفكَ أَيْكونُ لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أَفَنُهِدُ^(٢) نَحورُنَا للعرب دونك، فإذا أظهرَكَ الله كان الأمرُ لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك! فأبوا عليه.

فلما صدر الناسُ رجعت بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم قد كانت أدركته السنُّ حتى لا يقدرُ أن يُوافيَ معهم المواسم، فكانوا إذا رجَعوا إليه حَدَّثُوهُ بما يكونُ في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أخذُ بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا! فوضَعَ الشيخُ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلَافٍ^(٣)، هل لِدُنَابِها من مَطْلَبٍ^(٤)! والذي نفسُ فلان بيده ما تَقَوَّلَها إسماعيليُّ قط، وإنَّها لحقٌّ، فأين رأيكم كان عنكم؟!

عن عبد الله بن كعب أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله، وعرضَ عليهم نفسَه، فلم يكن أحدٌ من العرب أقيحَ عليه ردًّا منهم.

فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كُلُّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويَعْرِضُ عليهم نفسَه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقدامٍ يقدِّم مكة من العرب، له اسمٌ وشرف، إلَّا تصدَّى له فدعاه إلى الله، وعرضَ عليه ما عنده.

(١) هم حي من الجن تنسب إليهم الإبل الأقيشية، وهي (٣) التلافي: التدارك.

إبل ليست عناقاً تنفر من كل شيء. (٤) مثل يضرب لما فات، وهو من «ذئاب الطائفة أي

(٢) نهديها: نصيرها هدفاً للرمي. ذنبه، إذا أفلت من الحيلة فطلبت الأخذ به.

قدم سويد بن صامت، أحد بني عمرو بن عوف، مَكَّةَ حاجاً أو معتمراً، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد: فلعل معك مثل الذي معي. فقال رسول الله ﷺ وما الذي معك؟ قال: نَجَلَةٌ لُقمان. فقال رسول الله ﷺ: اعرضها عليّ. فعرضها عليه. فقال له: إنّ هذا لكلامٌ حسن، والذي معي أفضل من هذا: قرآنٌ أنزله الله تعالى عليّ، وهو هُدى ونور. فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه. وقال: إنّ هذا لقولٌ حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج.

فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم.
وكان قتلُه قبل يوم بُعث^(١).

بدء إسلام الأنصار

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة^(٢) لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً^(٣).

لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمِنُ موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلّمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزّوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبياً مبعوثاً الآن قد أظلم زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم!

فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: تعلّموا والله إنّهُ للنبي الذي توعدّكم يهود، فلا يسبقنكم إليه.

فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا:

(١) بعث: موضع من نواحي المدينة، كانت فيه حرب

ميلين، ومنها ترمى جرة العقبة.

(٣) كان ذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة.

(٢) العقبة: موضع بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو

إنّا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسندّم عليهم فندعوهم إلى امرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا. وهم فيما ذكر لي ستّة نفر من الخزرج.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعّوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى

حتّى إذا كان العامُ المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلُقّوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء^(١)، وذلك قبل أن تُفترَضَ عليهم الحرب، منهم أسعد بن زُرارة، ورافع بن مالك، وعُباد بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان.

عن عبادة بن الصامت قال:

كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترَض الحرب، على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نَسْرِق، ولا نَزْنِي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتُم فلكم الجنة، وإن غشيتُم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القومُ بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمّى المقرئ بالمدينة.

كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض.

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكّة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم، مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتّى قدموا مكّة، فواعدوا رسول الله ﷺ

(١) أي على منطها. وكانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال.

العقبة، من أوسط أيام التشريق^(١) حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه. وإعزاز الإسلام وأهله.

قال كعب بن مالك :

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا^(٢) لسفرونا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟ قلنا: وما ذاك ؟ قال: رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها. فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام^(٣)، وما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها. فقلنا له: لكننا لا نفعل. فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلّى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة وقد كنا عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء، كما رأيت من خلافتكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه ؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قلنا نعم - وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه. فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قلت: نعم. فقال له البراء بن معرور: يانبي الله، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها !

قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام.

ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما

(١) أيام التشريق: ثلاثة بعد النحر، كانوا يشرقون فيها (٢) وجهنا: اتجهنا.
(٣) أي بيت المقدس. لحم الأضاحي للشمس.

فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطياً للنار غداً. ثم دعوانه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد الرسول ﷺ إيانا العقبة. فأسلم معنا العقبة، وكان نقيباً.

فمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نسلل نسلل القفا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساتنا: نسيبة بنت كعب، وأسما بنت عمرو بن عدي^(١).

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا معه عمة العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر امرأ بن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، وما ينهوه عن مخالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم!

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما تمنع منه أئمتنا^(٢)، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة^(٣)، ورثناها كابراً عن كابر!

(٢) كنوا بالأزر عن النساء، أو عن النفوس، يقال لكل منها: إزار.
(٣) الحلقة: السلاح كله.

(١) قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتن.

فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حباً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدّم الدم، والهدْم الهدْم^(١)، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمهم!

وقد كان قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس^(٢). وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجبابج^(٣)، هل لكم في مذمم^(٤) والصبا^(٥) معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: هذا أذب العقبة، هذا ابن أزيب^(٦)!

ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم. فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافا! فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم.

فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم، منكم!

فانبعث من هناك من مشركي قومتنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه! وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض.

خيمة، ورفاعة بن المنذر. قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة.

(٣) الجبابج: المنازل، منازل منى.

(٤) كان المشركون يلقبونه بذلك.

(٥) الصبا: جمع صاب، والصابي: الخارج من دينه، كانوا يسمونه من أسلم بذلك.

(٦) أذب بن أزيب: اسم شيطان.

(١) الهدم، بإسكان الدال وفتحها: إهدار الدم، أي إن طلب دمكم فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي. والهدم، بالتحريك: القبر والمزل، أي أقبر حيث تقبرون، وأنزل حيث تنزلون.

(٢) أما نقباء الخزرج السبعة فهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعباد بن الصامت.

وأما نقباء الأوس فهم: أسيد بن حضير، وسعد بن

ونفر الناس من منى، فتنطس^(١) القوم الخبر فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عباد^(٢) بأذخر^(٣)، والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقياً. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه ينشع رجليه^(٤)، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجُمته^(٥)، وكان ذا شعر كثير.

قال سعد:

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفر من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شمشاع^(٦) حلو من الرجال، فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا. فلما دنا مني رفع يده فلكني لكمة شديدة، فقلت في نفسي: والله ما عندهم بعد هذا من خير! فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي^(٧) رجل ممن كان معهم فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قلت: بلى والله، لقد كنت أجير لجئير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم بيلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. قال: ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما.

قال: ففعلتُ وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدتهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ويهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً. قالوا: ومن هو؟ قال: سعد بن عباد. قالوا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ومنعهم أن يظلموا بيلده!

قال: فخلصنا سعداً من أيديهم، فانطلق.

شروط بيعة العقبة الأخيرة

وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى. كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

(١) أي اكثروا البحث.

(٤) الجمعة: مجتمع شعر الرأس.

(٢) أذخر: موضع قريب من مكة.

(٥) الشمشاع: الطويل الحسن.

(٣) النسع: شراك يشد به الرجل.

(٦) أوى له: رق له ورحمه.

قال عبادة بن الصامت :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة ، في عُسرنا ويُسرنا ، ومُسْطَظنا ومَكْرَهنا^(١) ، وأثرة^(٢) علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

نزول الأمر بالقتال

وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفّوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه . فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه ﷺ ، وعدّبوا ونفّوا من عبده ووحدّه وصدّق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، فيها بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُكُمْ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، وإنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي لا يُفْتَنَ مؤمن عن دينه ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أي حتى يُعَبَّدَ الله لا يعبد معه غيره .

(١) المنشط : الأمر تنشط له وتخف له . وهو خلاف المكروه .
(٢) الأثرة بمعنى الاستئثار ، إشارة إلى إثارةهم المهاجرين على أنفسهم .

الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن أتبعه وأوى إليه من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللاحق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها».

فخرجوا أرسالاً^(١) وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً.

ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة، ومعه امرأته ليلي بنت أبي حنمة، ثم عبد الله بن جحش، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً.

ثم خرج عمر بن الخطاب، وعيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة، ثم تتابع المهاجرون.

هجرة الرسول ﷺ

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس وقتن، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً»، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صارت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير

(١) أي جماعات، واحدة إثر الأخرى.

بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قُصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة، ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غَدُوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزُّحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل^(١)، عليه بَت^(٢)، فوقف على باب الدار، فلما رآوه واقفاً على بابها قالوا: مَنْ الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد^(٣) سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم لسمع ما تقولون، وعسى ألا يُعَدِّمكم منه رأياً ونُصحاً! قالوا: اجل فادخل. فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا. فأجمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيراً والناطقة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم! فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلا وشكوا أن يشبوا عليكم فينزعوهم من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره...

فتشاوروا ثم قال قائل منهم^(٤): نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمتم أن يحل على

(١) جليل: مسن.

(٢) البت: كساء غليظ مربع.

(٣) السهيلي إنما قال لهم، إني من أهل نجد، لأنهم قالوا:

(٤) هو أبو الأسود ربيعة بن عامر.

لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة،

حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطاقم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما اراد، أديروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيّاً وسيطاً^(١)، فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل^(٢)، فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره!! فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيشون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعل بن أبي طالب: نم على فراشي، وتسج^(٣) بيردي هذا الحضرمي الأخضر^(٤)، فتم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

عن محمد بن كعب القرظي قال:

لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات كجنات الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدكم. وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يروونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿يس * القرآن الحكيم﴾ إلى قوله: ﴿فاغشيهاهم فمهم﴾

(١) الوسيط: الشريف.

(٣) تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

(٢) العقل: الدية.

(٤) الحضرمي: منسوب إلى حضرموت.

لا يُبصرون)، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وُضِعَ على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم أت من لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمدًا. قال: خيبيكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، ألما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مُتَسَجِياً يُرِدُّ رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً، عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له رسول الله ﷺ: لا تعجلُ لعلَّ الله يجعلُ لك صاحباً. قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ، إنما يعني نفسه حين قال له ذلك - فابتاع راحلتين فاحتسبهما في داره يعلفهما.

قالت عائشة: كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحدَ طرفي النهار، إما بُكرةً وإما عشيةً، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث! فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي اسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: أخرج عني من عندك. فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فذاك أبي وأمي! فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة. فقال أبو بكر: الصُّحبة يا رسول الله؟ قال: الصُّحبة. قالت: فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ. ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتين قد كنت أعددتُهما لهذا. فاستأجرا عبد الله بن أرقط، وكان مشركاً، يدهما على الطريق، فدفعنا إليهما راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيها بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجاً من خَوْخَةٍ^(١) لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمداً إلى غارِ ثور^(٢) فدخله، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيها نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريجهما عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمسّت بما يصلحهما^(٣).

فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه، حين فقدوه، مائة ناقة، لمن يرده عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا. فإذا عبد الله بن أبي بكر غداً من عندهما إلى مكة، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّي عليه. حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنها الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه، بيعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهم، ونسيت أن تجعل لهما عصاماً^(٤)، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فتحلّ نطاقها فتجعله عصاماً، ثم علقتها به.

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النطاق، لذلك^(٥).

فلما قرب أبو بكر، رضي الله عنه، الراجلتين إلى رسول الله ﷺ قدّم له أفضلهما ثم قال: اركب، فذاك أبي وأمي! فقال رسول الله ﷺ: إني لا أركب بعيراً ليس لي. قال: فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! قال: لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا. قال: قد أخذتها به. قال: هما لك يا رسول الله.

فركبا وانطلقا، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة موله خلفه، ليخدمهما في الطريق.

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفرٌ

(١) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب.

(٢) جبل بأسفل مكة.

(٣) ابن هشام عن الحسن البصري: «انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فلمس الغار، لينظر:

أفيه سبع أوحية؟ بقي رسول الله ﷺ بنفسه».

(٤) العصام: رباط القرية والمزادة ونحوهما.

(٥) قال ابن هشام: «وسمعت غير واحد من أهل العلم

يقول: ذات النطاقين. وتفسيره بأنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها بائنتين، فعلقت السفرة بواحد، وانطلقت بالآخر».

من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرغ أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمَةً طَرَحَ منها قرطي !

ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيق حلاً خيمتي أم معبد^(١)
 هما نزلاً بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
 ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصده

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.

قال سراقه بن مالك بن جعشم: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم. فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرؤا على أنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه. فأومأت إليه بعيني: أن اسكت. ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم! قال: لعله. ثم سكت ثم مكث قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيدت لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمي^(٢) ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره»^(٣). وكنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ المائة الناقة. فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه، فقلت: ما هذا! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي. فذهبت يدها في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه

(١) أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد: امرأة من بني كعب، نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن أرقط، فسألوها الحيا ونقرأ يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمه لا تدر، فاستأذنها أن يجليها،

(٢) أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد: امرأة من بني كعب، نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن أرقط، فسألوها الحيا ونقرأ يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمه لا تدر، فاستأذنها أن يجليها،

(٣) الأمانة: الدرع والسلاح.

(٤) أي المكتوب فيه هذه الكلمة.

من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر^(١)، فناديت القوم فقلت: أنا سراقه بن جُعشم، أنظروني أكلتمكم، فوالله لا أريكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ فقال ذلك أبو بكر. قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال: اكتب له يا أبا بكر.

فكتب لي كتاباً في عَظْم، أو في رقعة، أو في خَرْفَة، ثم ألقاه إليّ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت. فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعني الكتاب لألقاه فليقيته بالجعرانة^(٢)، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ فذنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غَرْزِهِ^(٣) كأنها جُمَّارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لي، أنا سراقه بن مالك بن جُعشم. فقال رسول الله ﷺ: يوم وفاء وبرٍّ، ادنه. فذنوت منه فأسلمت. ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجرٍ في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبدٍ حرّى أجر». ثم رجعت إلى قومي فسُقت إلى رسول الله ﷺ صدقي.

قال ابن إسحاق:

فلما خرج بها دليلهما عبد الله بن أرقط، سلك بها أسفل مكة ثم مضى بها على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَانَ، ثم سلك بها على أسفل أمّج، ثم استجاز بها حتى عارض بها الطريق بعد أن أجاز قُديداً، ثم أجاز بها من مكانه ذلك فسلكت بها الخُرَّار، ثم سلك بها لِقْفاً، ثم أجاز بها مَدْلجة لِقْف، ثم استبطن بها مَدْلجة مَحَاج، ثم سلك بها مَرَجح مَحَاج، ثم تبطن بها مَرَجح من ذي الغَضُوين، ثم بطن ذي كُشْر، ثم أخذ بها على الجَدَاجد، ثم على الأجرد. ثم سلك بها ذا سلم من بطن أعداء مَدْلجة يَعيهن، ثم على العبايد، ثم أجاز بها الفَاجَة.

قال ابن هشام: ثم هبط بها العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حَجَر^(٤)، على جملٍ له يقال له ابن الرِّداء، إلى

(١) أي غالب منتصر.

(٢) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة.

(٣) الشاعر الجاهلي.

(٤) الفرز للرحل، بمنزلة الركاب للسرّج.

المدينة، وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر عن يمينه ركوبة، حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قديم بهما قُبَاءَ على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضُّحَاءُ وكادت الشمس تعتدل.

قدوم قُبَاء

عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا:

لَمَّا سَمِعْنَا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَتَوَكَّفْنَا^(١) قَدُومَهُ، كُنَّا نَخْرُجُ إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَوَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ حَتَّى تَغْلِبَنَا الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَارَّةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَلَسْنَا كَمَا كُنَّا نَجْلِسُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ ظِلٌّ دَخَلْنَا بَيْوتَنَا. وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلْنَا الْبَيْوتَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَدْ رَأَى مَا كُنَّا نَصْنَعُ وَأَنَا نَنْتَظِرُ قَدُومَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا بَنِي قَيْلَةَ^(٢)، هَذَا جَدُّكُمْ^(٣) قَدْ جَاءَ.

فَخَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، وَأَكْثَرْنَا لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَكِبَهُ النَّاسُ^(٤) وَمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى زَالَ الظِّلُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأُظِّلَهُ فَعَرَفَنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ.

قال ابن إسحاق:

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - عَلَى كُلثوم بن هدم، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثَمَةَ. ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هدم:

إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِ كُلثوم بن هدم جالس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَزْبًا لَا أَهْلَ لَهُ، وَكَانَ مَنْزِلُ الْأَعْزَابِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على حُبَيْب بن إَسَاف. ويقول قائل: كان منزله

(١) توكفنا: الجُد: الحظ.

(١) توكفنا: استشعرناه وانتظرناه.

(٤) أي ازدحموا عليه.

(٢) هم الأنصار جميعاً، وقيلة جدة كانت لهم.

على خارجة بن زيد .

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هدم .

فأقام رسول الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس . وأسس مسجده .

قدوم المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاًها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوءاء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عباد بن نضلة، في رجالٍ من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال: خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة - لناقة - فخلّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، في رجالٍ من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد، والمذر بن عمرو، في رجالٍ من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلّوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحة، في رجالٍ من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلّوا سبيلها فانطلقت . حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار، وهم أخواله ذنبا - أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو، إحدى نسائهم - اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة، في رجالٍ من بني عدي بن النجار، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلّوا سبيلها فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذٍ مريدٌ^(١)

(١) المريد: الموضع الذي يجفف فيه التمر .

لغلامين يتيمين من بني النَجَّار - وهما في حجر معاذ بن عفراء - سهل وسهيل ابني عمرو. فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبت، فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنىها به، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت^(١) وأرزمت^(٢) ووضعت جرائنها^(٣)، فنزل عنها رسول الله ﷺ. فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المبرد: لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً

فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبي يعمل لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضْلَلُ

وارتجز المسلمون، وهم بينونه، يقولون: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة». فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار».

فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال أبو أيوب:

لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمِّي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فظهر أنت فكن في العلو، وتنزل نحن فنكون في السفل. فقال: يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت.

قال: فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُبٌّ^(٤) لنا فيه ماء، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة^(٥) لنا مالتا لحاف غيرها، نَشْف بها الماء، نخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه.

(١) تحلحلت: تحركت.

(٢) أرزمت: صوتت.

(٣) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن

(٤) الحب: الجرة، أو جرة ضخمة.

حلقها.

(٥) القطيفة: كساء له خل، أي أهداب.

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فردّه رسول الله ﷺ ، ولم أر ليده فيه أثراً ، فجئته فزِعاً فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة . قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه .

قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهل دُورِ مسُمون : بنو مظعون من بني جمح ، وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أمية ، وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب ، فإن دُورهم غُلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

الخطب والعهود بالمدينة

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدِمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنيَ له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خُطمة وواقف ووائل وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

وكانت (أول خطبة) خطبها رسول الله ﷺ - فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أما بعد ، أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم . تَعَلَّمُوا وَاللَّهُ لِيُصَعِّقَ أَحَدَكُمْ ، ثُمَّ لِيَدْعَنُ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاع ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِيهِ دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِك رَسُولِي فَيُلَغِّكَ ، وَأَتَيْكَ مَالاً وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ؟ فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ فليَنظُرَ يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَا يَرَى شَيْئاً ، ثُمَّ لِيَنظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ . فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمرةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَإِنْ بَهَا يُجْزَى الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرة أخرى فقال :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ

يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ. أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَغْلُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبَكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ^(١) وَمَصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ^(٢)، وَالصَّالِحِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمَنْ كُلُّ مَا أَوْقَى لِلنَّاسِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ. إِنْ اللَّهُ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكثَ عَهْدُهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

* * *

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادَّعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهِدَهُمْ، وَأَقْرَمَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ^(٣) يَتَعَاقِلُونَ بَيْنَهُمْ^(٤)، وَهُمْ يَقْدُونَ عَانِيَهُمْ^(٥) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو جُشْمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو النُّجَارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو النَّبَيْتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ

(١) أي الذكر وتلاوة القرآن لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣) الرِّبْعَةُ: الحال التي وجدتهم عليها الإسلام.

(٤) أي يعقل بعضهم عن بعض. والعقل: الدية. ويختار.

(٥) أي وسمى المصطفى من عبادته. (٥) العاني: الأسير.

والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مُقَرَّحاً^(١) بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداءٍ أو عقل. وألاً يحالف مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة^(٢) ظَلَمَ أو إثم أو عدوان أو فسادٍ بين المؤمنين، وإن أيدبهم عليه جميعاً، ولو كان ولدٌ أحدهم. ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافرٍ، ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة الله واحدة، يحجر عليهم أدناهم. وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصره والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم. وإن سَلِمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمنٍ في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم. وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً. وإن المؤمنين يُبَيء^(٣) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه. وإنه لا يحجر مشركٌ مאלًاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتَبَطَ^(٤) مؤمناً قتلاً عن بَيِّنَةٍ فإنه قَوْدٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٥) إلا نفسه وأهل بيته. وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما لليهود بني عوف وإن البرّ دون الإثم^(٦)، وإن مواليتهم كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا من ظلم. وإن الله على أبرّ هذا^(٧). وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وإن بينهم

(١) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

(٥) يوتغ: يهلك.

(٢) الدسيسة: العظيمة.

(٦) أي إن البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجزاً عن الإثم.

(٣) أباءه به: قتله به، جعله بواء له.

(٧) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به.

(٤) اعتبطه: قتله بلا جنابة توجب القتل.

النصرَ على من حاربَ أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم. وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين^(٢). وإن يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد رسول الله ﷺ. وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإنّ بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلحٍ يصلحونه ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه. وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنّه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كلّ أناسٍ حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم. وإنّ يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة. وإن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جازلٌ لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق:

وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل -.

تآخروا في الله أخوين أخوين». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين. وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ وعمّ رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين خصره القتال إن حدث به حادث الموت. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيّار، ومعاذ بن جبل أخويني سلمة أخوين.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخوين،

مع المسلمين، وشرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

(٢) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً، كان لليهود إذ ذاك نصيب في الغنم إذا قاتلوا

وعمر بن الخطاب وعُتبان بن مالك أخوين. وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين. وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين. والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين. وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين. وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب أخوين. ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين. وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين. وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين. وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو أخوين.

وكان حاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين. وسلمان الفارسي وأبو الدرداء أخوين. وبلال مولى أبي بكر وأبو رويحة أخوين. فهؤلاء من سُمِّي لنا، ممن كان رسول الله ﷺ وسلم أخى بينهم من أصحابه.

خبر الأذان

فلما اطمان رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدارَ والإيمان. وقد كان رسول الله ﷺ حين قديمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين موافقتها بغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ حين قديمها أن يجعل يوقاً كبوق يهود الذي يهرعون به لصلاتهم، ثم كرهه. ثم أمر بالناقوس فُنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج النداء: فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعوه إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر. أشهد ألا إله إلا الله، أشهد ألا إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة. حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح. الله أكبر، الله أكبر. لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنّا لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فآلقها عليه فليؤذن بها. فإنه أندى صوتاً منك^(١). فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في

(١) أي أعل وأرفع وأبعد مذهباً.

بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد على ذلك.

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدّمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، فصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ. فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعوذهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء^(١)، فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول!

ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه^(٢) كالثور يحمي جلده بروقه^(٣)

فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول!

وكان بلال إذا تركه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته^(٤) فقال:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بفخٍ وحولي إذ خِرّ وجليل^(٥)

وهل أردن يوماً ميةً مجنةً وهل يئنون لي شامةً وطفيل^(٦)

فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت: إنهم ليهدّون وما يعقلون من شدة الحمى. فقال رسول الله ﷺ:

«اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّيت إلينا مكة أو أشدّ، وبازك لنا في مدّها وصاعها^(٧)،

(١) الوباء: شدة ألم المرض.

(٢) الطوق: الطاقة.

(٣) الروق: القرن.

(٤) أي رفع صوته.

(٥) فخ: موضع خارج مكة، الإذخر: نبت طيب

الرائحة. والجليل: النعام.

(٦) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل

مكة على قدر بريد منها. وشامة وطفيل: جبلان

بمكة.

(٧) أي ما يكال بالمد والصاع. المد: رطلان عند أهل

العراق، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز. والصاع:

أربعة أمداد عند الحجازيين.

وانقل وباءها إلى مَهَيْعَة^(١).

تاريخ الهجرة

قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضَّحَاءُ وكادت الشمس تعتدل، لاثنتي عشرة ليلةً مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عزَّ وجلَّ ثلاث عشرة سنة، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وجهاديين، ورجب، وشعبان ورمضان، وشوالاً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم.

أول الغزوات

ثم خرج غازياً في صفر غزوة ودان على رأس اثني عشر شهراً من مقدّمه المدينة، حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يَلَقْ كيداً. فأقام بها بقية صفر وصدرًا من شهر ربيع الأول.

سرية عبيدة بن الحارث وهي أول راية عقدتها عليه الصلاة والسلام

وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رُمي يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام. ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية.

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر^(٢) من ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل ابن هشام بذلك الساحل في ثلثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.

(٢) سيف، بالكسر: الشاطئ.

(١) مهيعه: هي الجحفة، وهي ميقات أهل الشام.

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشاً^(١)، حتى بلغ بواط^(٢)، من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى.

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشاً^(٣)، فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الحبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزمهر، فصلّى عندها، فثُمّ مسجده ﷺ، وصنع له طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فموضع أثافي البُرمة معلوم هنالك، واستقى له من ماء به يقال له: المُشْتَرَب، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائق ببسار^(٤)، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله، ثم صبّ لليسار حتى هبط يَلِيل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر بالضبوعة. ثم سلك الفرش: فرش ملل، حتى لقي الطريق بصُخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، وودع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

سرية سعد بن أبي وقاص

وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص، في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخُرار من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيداً.

غزوة سفوان وهي غزوة بدر الأولى

ولم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهري على سرح المدينة^(٥) فخرج رسول الله ﷺ في طلبه^(٦) حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان.

(٤) أرض بالمدينة لعبد الله بن أحمد بن جحش.

(٥) السرح: الإبل والمواشي تسرح للرعي بالغداة.

(٦) واستعمل على المدينة زيد بن حارثة.

(١) واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

(٢) جبل من جبال جهينة، بقرب ينبع.

(٣) واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

سرية عبد الله بن جحش

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب مَقْفَلَةً من بدر الأولى، وبعث ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل «نخلة» بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله ﷺ.

فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف منهم أحد.

وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرْع يقال له: بَحْران، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتْبة بن غزوان بغيراً لهما كانا يتعقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زيباً وأدماً^(١) وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رآوه أمنوا وقالوا: عُمَارُ لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام! فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش بالغير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

(١) الأدم: الجلد.

فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سَقَطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا، وعَنَفَهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا. وقالت قريش: قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال! فقال من يرُدُّ عليهم من المسلمين مَن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهلُه أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردُّوه إلى الكفر بعد إيمانهم، فذلك أكبر عند الله من القتل. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ^(١)، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: لا تُفديكموهما حتى يَقْدَمَ صاحبانا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحببيكم! فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبد الله فلاحق بمكة فمات بها كافراً.

صرف القبلة إلى الكعبة

ويقال: صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة.

غزوة بدر الكبرى

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو

(١) الشَّقِّ: الخوف والحذر.

أربعون، منهم مخزومة بن نوفل، وعمرو بن العاص. فندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس، فحفت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك! فحذر عن ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبة، فاكتمت عني ما أحدثك به. فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث! فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره^(١) على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٢) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلققة!

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنتِ فاكتميها ولا تذكرها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان صديقاً، فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأي أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا. فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه البنية؟ قلت وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة. فقلت: وما

(١) مثل به: قام.

(٢) ارفضت: تفرقت ونفشت.

رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فستريص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه من كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير^(١) لشيء مما سمعت ! قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لأكفينكنه .

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب ، أرى أني قد فاتني منه امرؤ أحب أن أدركه منه . فدخلت المسجد فوأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر . إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرق مني أن أشاقه ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره^(٢) وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوث الغوث !

فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعاً وقالوا : أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي^(٣) . كلا والله ليعلمن غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت^(٤) قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له^(٥) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزيه عنه .

وأن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبه بن

الله بن جحش . انظر ما سبق في صفحة ١٠٨ س ٢٢

(١) الغير : المغيرة .

(٢) أوعبت : خرجت كلها للغزو .

(٣) جدعه : قطع أنفه .

(٤) لاط : احتبس واعتسك .

(٥) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد

أبي مُعيط، وهو جالسٌ في المسجد بين ظهري قومه، بمجمرَةٍ يحملها فيها نارٌ ومجمرٌ^(١) حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء. قال: قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تجهز فخرج مع الناس.

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا. فكاد ذلك بشيئهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سُرَاقَة بن مالك بن جُعشم المدلجي فقال لهم: أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه فخرجوا سراعاً.

وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان، في أصحابه، واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس ثم ردُّ أبا لُبابة من الرُّوحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللِّواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض. وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً. وكان حزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً. وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً.

فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش. ثم مرَّ على تُرَبَّان ثم على ملل ثم غَمَيس الحِمَام من مَرَيْن. ثم على صحيرات اليمام، ثم على السَّيالة، ثم على فجِّج الرُّوحاء ثم على شَنُوكَة. حتَّى إذا كان بعرق الظُّبْيَةِ لَقُوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلَّم على رسول الله . قال: أَوْ فيكم رسول الله ؟ قالوا: نعم. فسلمَ عليه. ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل إليَّ فأنا أخبرك عن ذلك، نزوتَ عليها، ففي بطنها منك سَخْلَة^(٢) ! فقال رسول الله ﷺ: مه، أفضَحشتَ على الرجل ! ثم أعرض عن سلمة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجَسَج، وهي بشر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريقَ مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَةِ يريد بدرأ. فسلك في

(١) المجمر: العود يتخبر به.

(٢) السخلة: الصغيرة من الضأن استعارها لولد الناقة.

ناحية منها حتى جزع وادياً يقال له رُحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء. ثم على المضيق، ثم انصب منه حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسيس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسّسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره. ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمها.

وأما الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(١)، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه ما خُلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله!

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين^(٢)، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم!

ثم نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه^(٣) حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ:

(١) برك الغماد: موضع باليمن.

(٢) الطائفة الأولى طائفة عبر قريش ذات التجارة

العظيمة، وفيها أبو سفيان وأبو عمرو بن العاص،

(٣) هو أبو بكر الصديق.

لا أخبركما حتى تخبراني عن أنفسنا؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك؟ قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ. وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنفسنا؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء! ثم انصرف عنه. يقول الشيخ: ما من ماء؟ أم من ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر يلتمسون الخير عليه، فأصابوا رواية^(١) لقريش، فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي. فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضر بهما، فلما أذلقوهما^(٢) قالا: نحن لأبي سفيان. فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته، ثم سلم وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما؟ صدقاً والله إنها لقريش! أخبرني عن قريش؟ قال: هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالوا: لا ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: القوم فيها بين التسعمائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبية ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(٣)!

وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، قد مضيا حتى نزلا بديراً، فأنابا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذوا شئاً^(٤) لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر^(٥) وهما يتلازمان^(٦) على الماء،

(١) الراوية: البعير يستقي عليه الماء. والمراد بها السقاة. (٤) الشن: الزق البالي.

(٢) أذلقوهما: بالغوا في ضربهما حتى أجهدهما. (٥) الحاضر: القوم النزول على الماء.

(٣) جمع فلذة، وهي القطعة. (٦) التلازم: أن يتعلق الغريم بغريمه.

والملزومة^(١) تقول لصاحبتها: إنما تأتي العيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعملُ لهم ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت. ثم خلَّصَ بينهما. وسمع ذلك عدِّي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا.

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العيرُ حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسستُ أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلِّ، ثم استقيا في شِبِّ لهما ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيانُ مناصحهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففَتَّه فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً فضربَ وجهَ غيره عن الطريق فساخَلَ بها، وترك بدرأً يبسارٍ، وانطلق حتى أسرع.

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عيرَه أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لئمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نَجَّاهُ الله فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرأً. وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوقُ كُلِّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزر ونُطعم الطعام، ونُسقي الخمر وتعزف علينا القيان^(٢)، وتسمع بنا العرب ويمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

ومضت قريشٌ حتَّى نزلوا بالعُدوة القصوى من الوادي، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً^(٣)، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لَبَّد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرايتَ هذا المنزل، أمترلاً أنزلَكَ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور^(٤) ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرتَ بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتَّى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغُورَتْ، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

(١) الملزومة: المدينة، التي عليها الدين.

(٣) الدهس: اللين لم يبلغ أن يكون رملًا.

(٢) القيان: الجواري المغنيات.

(٤) التغوير: الدفن والطمس.

وقال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبك، ثم نَلْقَى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا. وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدَّ لك حُباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير ثم بني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه.

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تَصُوبُ^(١) من العَقْنَقَل - وهو الكيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: اللَّهُمَّ هذه قريش قد أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا^(٢) وفخرها، تحادُّكَ وتكذِّبُ رسولكَ اللَّهُمَّ فنصركَ الذي وعدتني، اللَّهُمَّ أَجِنْتَهُمُ الْغَدَاةَ^(٣) !

فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتَّى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ، فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهُمْ. فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلا قُتِلَ، إلَّا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يُقْتَلْ، ثم أسْلَمَ بعد ذلك فحَسُنَ إسلامُهُ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نَجَّاني من يوم بدر!

ولما اطمأنَّ القوم بعثوا عُثَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ فقالوا: احْزُرْ^(٤) لنا أصحابَ محمد. فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتَّى أنظرَ أَلَلِقَوْمَ كَمِينٍ أو مدد؟ فضرب في الوادي حتَّى أبعد، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئاً، ولكني قد رأيت يا معشر قريش، البَلَايَا^(٥) تحمل المنايا، نواضحٌ يثرب تحمل الموت الناقع^(٦)، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، واللَّهِ ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتَّى يُقْتَلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أَعْدَادَهُمْ فما خيرُ العيش بعد ذلك! فَرَوْا رَأْيَكُمْ.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأثى عتبة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى ألا تزال تُذَكَّرُ فيها بخير إلى آخر الدهر؟

(١) أي تنحدر.

(٢) الخيلاء: الكبر والاعجاب.

(٣) أحسنهم: أهلهم، حان: هلك.

(٤) احزر: أي قدر بالحدس والظن.

(٥) البلايا: جمع بلية، وهي الناقعة أو الدابة تربط إلى قبر

الميت فلا تعلف ولا تسقى حتَّى تموت.

(٦) النواضح: الإبل يستقى عليها. الناقع: الثابت، البالغ في الإفناء.

قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(١) قال: قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفي فعليّ عقله^(٢) وما أصيب من ماله، فأب ابن الحنظلية^(٣) فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس^(٤) غيره. ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وسائر العرب: فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جثت أبا جهل فوجدته قد نثل^(٥) درعاً له من جراها فهو يَبْثُها^(٦)، فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال. فقال: انتفخ والله سحره^(٧) حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور^(٨) وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثارك بعينك، فقم فانشد خفرتك^(٩) ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمرأه واعمرأه^(١٠)! فحميت الحرب. وحقب أمر الناس^(١١)، واستوسقوا^(١٢)، على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة.

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيء الخلق - فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فاطنّ قدمه^(١٣) بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب^(١٤) رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبرّ بيمينه. وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

١١٤

(١) انظر ما مضى في سرية عبد الله بن جحش ص ١٠٨.

(٢) العقل: الدية.

(٩) أي أطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، أي

عهدهم، فقد كان جاراً لهم وحليفاً.

(٣) هو أبو جهل بن هشام. أمه من حنظلة بن مالك.

(١٠) يندب أخاه عمرو بن الحضرمي.

(٤) أي يخالف بينهم.

(١١) حقب: اشتد.

(٥) نثل: أخرج.

(١٢) استوسقوا: اجتمعوا.

(٦) يَبْثُها: يظليها بعكر الزيت، ويروى: «يبثها».

(١٣) أطنها: أطارها.

(٧) السحر: الرقة. وهذا كناية عن الجبن.

(١٤) تشخب: تسيل بصوت.

(٨) أي قليلو العدد، وأكلة الجزور نحو المائة. انظر ص

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث، ورجل آخر يقال هو عبدالله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى منادهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي. فلما قاموا ودنوا منهم فقالوا: من أنتم؟ قال عبدة: عبدة. وقال حمزة: حمزة. وقال علي: علي. قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يهل الوليد أن قتله، واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما اثبت صاحبه^(١)، وكر حمزة وعلي^(٢) بأسيا فهما على عتبة فذفعا عليه^(٣) واحتملا صاحبهما إلى أصحابه.

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يجملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنكم القوم فانضحوهم^(٤) عنكم بالنبل. ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق.

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش، فدخله ومعه أبو بكر الصديق، ليس معه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد! وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك.

وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة^(٥) وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله! هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده، على ثيابه النقع^(٦).

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام، أخو بنو سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ^(٧)، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قُتل.

(١) أثبتته: جرحه جراحة لم يقم معها.

(٢) ذفف عليه: أجهز وأسرع.

(٣) انضحوهم: ارموهم.

(٤) أي نام نومة يسيرة.

(٥) النقع: القبار.

(٦) كلمة تقال عند الإعجاب.

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفَنَةً من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شأهت الوجوه! ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: شُدُّوا! فكانت الهزيمة. فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إني عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البخثري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله. ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مُستكرهاً. فقال أبو حذيفة: أنقتل آبائنا وأخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لأحمنه السيف^(١)! فبَلَّغْتُ رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أَيْضَرْبُ وجه عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله دُعِني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق! فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة! فقتل يوم اليمامة شهيداً.

ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدرٍ من الأيام، وكانوا يكونون فيها سواء من الأيام عدداً ومَدداً، لا يَضْرِبُونَ.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يُلتَمَسَ في القتلى. قال ابن مسعود: احتزرت رأسه ثم جثت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدوِّ الله أبي جهل. فقال رسول الله ﷺ: أَلَلَّهِ^(٢) الذي لا إله غيره! - قال: وكان يمين رسول الله ﷺ - قلت: نعم والله الذي لا إله غيره. ثم أَلَقِيتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحمد الله.

ولما أمر رسول الله ﷺ أن يُطْرَحُوا في القليب طُرِحُوا، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملاها، فذهبوا ليحرِّكوه فتزايَل^(٣) لحمه فأقروه، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القليب وقف رسول الله ﷺ فسمعه أصحابه من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل - فعَدَّدَ من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جَيَّفُوا؟

(١) أي لا يمكن منه السيف. ويرى: «لأحمنه» أي (٢) أي والله.

لأضرته به في وجهه. (٣) أي تساقط.

قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني !

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر، مما جَمَعَ الناس، فُجِّعَ، فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحنُ شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخَالَفَ إليه العدو: والله ما أنتم بأحقُّ منا. والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى اكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكننا خِفْنَا على رسول الله ﷺ كَرَّةَ العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحقُّ به منا.

ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عزَّ وجلَّ على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، ثم أقبل قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيْط، والنضر بن الحارث. واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف.

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مَضِيقِ الصفراء، نزل على كَثِيبٍ بين المضيق وبين النازية، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذي تهتفوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلَعاً كالإبل المعقلة فنحرناها ! فنبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي، أولئك الملا !

حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قُتِلَ النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب. ثم خرج حتى إذا كان بِعِرْقِ الظبية قتل عُقبة بن أبي معيط، فقال عُقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد ؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري. ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم، وحين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسارى خيراً.

وكان أوّل من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله.

وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بكم،

ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم^(١) لا يارب^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء . وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال للغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أجل النحب^(٣) ! هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلني أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته . فذلك حين يقول الأسود :

أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السُّهُودُ
فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجود^(٤)
على بدرٍ سرارة بني هُصَيص وخزوم ورهط أبي الوليد
وبكى إن بكيت على عَقِيل وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكىهم ولا تسمي جميعاً وما لأبي حكيمة من نديد^(٥)

ثم بعث قريش في فداء الأسارى . فقدم بكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو ، فلما قال لهم فيه مركز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مركزاً مكانه عندهم .

وكان عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، ويدلج^(٦) لسأته فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً .

وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى : ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب ، وكان الإسلام فرق بين زينب حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي

(١) أي تؤخروا فداءهم .

(٢) البكر : الفقى من الإبل . وفي الشعر إقواء ظاهر .

(٣) لا تسمي : لا تسامي . النديد : المثل .

(٤) يدلج : يخرج .

(٥) النحب : النحيب ، وهو رفع الصوت بالبكاء .

العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوها لها أسيرها وتردُّوها عليها مالها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى فرَّقَ بينها الإسلام حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بماله له وأموال لرجالٍ من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً . فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة النساء^(١) : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : أي بُنية ، أكرمي مثواه ، ولا تخلصنَّ إليك ، فإنك لا تحلين له .

عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردُّوا عليه الذي له فإننا نحُبُّ ذلك ، وإن آيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحقُّ به . فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه . فردَّوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالذلو ، ويأتي الرجل بالشنة^(٢) وبالإداوة^(٣) حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٤) ، حتى ردُّوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً . ثم احتَمَلَ إلى مكة فأدَّى إلى كل ذي مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مالٌ لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيّاً كريماً . قال : فانا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ! والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنُّوا أنني إنما اردتُ أن آكل

(١) الصفة : السقيفة .

(٣) الإداوة : وعاء من الجلد صغير .

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٤) الشظاظ : خشبة تدخل في عروني الجوالق .

اموالكم ، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسل الله .

وكان ممن سُمي لنا من الأسارى ممن مَنَّ عليه بغير فداء أبو العاص بن الربيع والمطلب بن خنْطَب، وصَيْفِي بن أَبِي رفاعَة، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أَهْيَب بن خُذافة بن جُمَح، كان محتاجاً ذا بنات، فكَلَّم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، لقد عرفتَ مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال فامْنُنْ عليَّ. فمَنَّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه ألا يظاهرَ عليه أحداً فقال أبو عَزَّة في ذلك يمدح رسول الله ﷺ ويذكر فضله في قومه :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَسُولَ مُحَمَّدًا	بأنك حقٌّ والمليك حميد
وَأنتَ امرؤُ تدعو إلى الحقِّ والهدى	عليك من الله العظيم شهود
وَأنتَ امرؤُ بُوئتَ فينا مباءة	لها درجات سهلة وصعود ^(١)
فلإنك من حاربتَه لمحارِبٌ	شقيٌّ ومَنْ سألته لسعيدٌ

وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له. فمَنَّ رسول الله ﷺ عليه .

وجميع من شهد بدرًا من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلاً. وجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره واحد وستون رجلاً. وجميع من شهد بدرًا من الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار، من شهدها منهم ومن ضُرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً.

غزوة بني سُلَيْم بالكدر

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يبق بها إلا سبْع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيْم^(٢) فبلغ ماء من مياههم يقال له «الكدر»، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدا، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قریش .

(١) أي أنزلت فينا منزلة عظيمة .

(٢) واستعمل على المدينة حيثنذ سباع بن عرفة الغفاري، وقيل: ابن أم كلثوم .

غزوة السوق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السوق^(١) في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل^(٢) قريش من بدر، نذر ألا يس رأسه ماء من جنابة^(٣) حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له «تَيْب» من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأق حُي بن أخطب فضرب عليه بابَه، فأبى أن يفتح عليه بابَه وخافَه، فانصرف إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتزهم^(٤)، فاستأذن فأذن له فقراه^(٥) وسقاه، وبطن له من خبر الناس^(٦). ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرقوا في أصوار^(٧) من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها، فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، ونذروا^(٨) بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، حتى بلغ «قرقرة الكدر»، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث، يتخفون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السوق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر^(٩). فإقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلاً منه.

-
- (١) سميت بذلك لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم فيها السوق، فهجم المسلمون على كثير منه.
والسويق: مطحون الحنطة أو الشعير، ويؤكل ممزوجاً باللبن والعسل والسمن، أو بالماء.
(٢) الفل: المنهزمون.
(٣) كان الفسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية، كالخبيج والنكاح.
(٤) يراد بالكتر ما كانوا يجمعونه من مال بينهم، لنواظهم وما يعرض لهم.
(٥) قراه: أطلعهم القرى، وهو طعام الضيف.
(٦) بطن له من خبرهم: أعلمهم سرهم.
(٧) جمع صور، بالفتح، وهو جماعة النخل.
(٨) نذروا بهم: علموا بهم.
(٩) واستعمل على المدينة عثمان بن عفان.

غزوة الفُرْع من بَحْران

ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً^(١) حتى بلغ بَحْران : معدناً بالحجاز من ناحية الفُرْع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادي الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيلاً.

أمر بني قينقاع

كان من أمر بني قينقاع^(٢) أَنْ امرأة من العرب قدمت بِجَلَبٍ^(٣) لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي! فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي! فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال له: أرسلني! وغضب رسول الله ﷺ حتى رآوا لوجهه ظلاً^(٤)، ثم قال: ويحك أرسلني. قال: لا، والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أريعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود^(٥) تحصدهم في غداة واحدة! إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان لهم من جلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ من جلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من جلف هؤلاء الكفار ولايتهم.

ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم يتولهم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن

(١) واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

(٢) بفتح القاف وتثنية النون، شعب من اليهود.

(٣) الجلب، بالتحريك: ما يجلب للأسواق ليباع فيها.

(٤) أي العجم والعرب.

(٥) جمع ظلة، وأصلها السحابة، عني بذلك تغير الوجه

إلى السواد حين يشد الغضب.

نُصِيْبِنَا دَائِرَةً فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِيْحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءَ الَّذِينَ انْتَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ وَذَكَرَ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ بَنِي الصَّامِتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرَّيْهِ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَحَلَفَهُمْ وَوَلَايَتَهُمْ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرْدَةِ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ

وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم الذين كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له فُرات بن حيان، يدهم على ذلك الطريق.

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقبهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

غزوة أحد

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حرب، فلعلنا ندرّك منه ثأرنا بمن أصاب منا. ففعلوا.

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها^(١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن^(٢) إلتماس الحفيظة، وآلاً يفرّوا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود

(١) الأحابيش: من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من (٢) جمع ظعينة، وهي المرأة.

غيرهم.

الثقفة وخرج عمرو بن العاص برِيطَة بنت منبّه بن الحجاج .

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل يبطن السَّبْحَة ، من قنّة على شفير الوادي مقابل المدينة . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقرأ لي تدبج ، ورأيت في ذُباب^(١) سيفي ثلماً ، ورأيت أنّي أدخلتُ يدي في درع حصينة^(٢) ، فأولتها المدينة . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدْعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ! وكان رأي عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأيه في ذلك وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجالٌ من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاتّه بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنّا جَبْنًا عنهم وضعفنا ! فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجّعوا رجّعوا خائبين كما جاؤوا . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حبّ لقاء القوم ، حتّى دخل رسول الله ﷺ بيته ، فليس لأمتّه^(٣) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلي الله عليك . فقال رسول الله : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمتّه أن يضعها حتى يقتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشوط ، بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! .

فرجع بمن أتبعه من أهل النفاق والرّيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونبئكم عندما حَضَرَ من عدوّهم . فقالوا : لو نعلم

(١) ذباب السيف : حده .

أهل بيتي يقتل .

(٢) قال ﷺ : «أما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون . (٣) اللّامة : الدرع ، وقيل : السلاح .

وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من

أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعضوا عليه وأبوا إلا الإنصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغني الله عنكم نبيه.

وقال الأنصار يوم أحد: يا رسول الله، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في غُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال. وقد سرّخت قريش الظهر والكراع^(١) في زروع كانت بالصمغة^(٢) من قناة للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهي رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بني قيلة^(٣) ولما نضارب!

وتعنى رسول الله ﷺ وهو في سبعمئة رجل، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير، وهو مُعَلِّم يومئذ بشياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيل عنا بالنبل^(٤)، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت علينا لا نؤتين من قبلك. وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين^(٥) ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، أخى بني عبد الدار.

وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب، ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد رُدَّهما، فقبل له: يا رسول الله، إن رافعاً رام. فأجازه. فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعاً. فأجازه. وردَّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأسيد بن ظهير، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة.

وتعبأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وقال رسول الله ﷺ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سِمَاك بن خَرْشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يخالل عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أُعْلِمَ بعصاة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل. فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعَصَب بها

(١) الظهر: الإبل، والكراع: الخيل.

(٢) الصمغة: أرض قرب أحد.

(٣) قيلة: قبيلة من بني تميم.

(٤) النبل: الرماح.

رأسه، وجعل يتختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة: إنها لمِشِيَّةٌ يُبْعِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ.

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤق الناس من قِبَلِ راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه. فَهَمُّوا به فتواعدوه، وقالوا: نحنُ نُسَلِّمُ إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذت الدفوفَ يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

وَهَاءُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَهَاءُ حِمَاةِ الْأَدْبَارِ^(١)
ضَرْباً بِكُلِّ بَنَارٍ^(٢)

وتقول:

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ^(٣)
أَوْ تَدْبُرُوا نِفَارِقَ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ^(٤)

وكان شعار^(٥) أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أُمْتُ أُمْتُ!

فاقتتل الناس حتى حمت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتى أَمعن في الناس، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتلته وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا دَفَعَ عليه^(٦)، فجعل كل واحدٍ منها يدنو من صاحبه، فدعوتُ الله أن يجمعَ بينها، فالتقيا فاختلعا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجانة فأتقاه بدرقته فعصّت سيفه، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيفَ على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدلَ السيفَ عنها^(٧).

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أَرْطاةَ بن عبد شُرَحْبِيلَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرَّ به سباع بن عبد العزى

(١) حماة الأدبار: الذين يحمون أعقابهم.

(٢) البتار: السيف القطاع.

(٣) النمرقة: الوسادة.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) الشعار: علامة يتنادون بها في الحرب، ليعرف

بعضهم بعضاً.

(٦) دَفَعَ عليه: أجهز عليه.

(٧) قال أبو دُجانة: رأيت إنساناً يحمش الناس خشاً شديداً،

فصممت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة،

فاكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

الغُبَشَانِي، وكان يَكْنَى بِأَبِي نِيار، فقال له حمزة: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ ! وكانت أمه خَتَّانَةَ بَكَّة .

قال وحشيٌ غلام جبير بن مُطِيعٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حِمْزَةِ يَهُدُ^(١) النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُبْلِقُ^(٢) بِهِ شَيْئاً، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ^(٣)، إِذْ تَقْدُمُنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى، فَقَالَ لَهُ حِمْزَةُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ ! فَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَكَانَ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ^(٤) حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي فَعَلَّبَ فَوْقَ، وَأَمَهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِثْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةً غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَكَّثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْلَمُوا تَعَيَّنْتُ عَلَى الْمَذَاهِبِ، فَقُلْتُ: الْحَقُّ بِالشَّامِ، أَوِ الْيَمَنِ، أَوْ بَعْضِ الْبِلَادِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشْهَدُ شَهَادَتَهُ. فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرَعَهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فَلَمَّا رَأَى قَالَ: أَوْحَشِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَقْعَدُ فَحَدَّثَنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حِمْزَةً؟ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: وَيْحَكَ ! غَيْبٌ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أَرَيْتَكَ ! فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ، لَثَلَا يَرَانِي حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ ﷻ.

وقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمْثَةَ اللَّيْثِي، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ! فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَلَاءَ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالُ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ أَحَدٍ، جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنْ قَدَّمَ الرَّايَةَ. فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَنَا أَبُو الْقُصَمِ^(٥) ! فَنَادَاهُ أَبُو سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَهُوَ صَاحِبُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَنْ هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقُصَمِ فِي الْبِرَازِ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَرَزَ بَيْنَ الصُّفَيْنِ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرِبَهُ عَلِيٌّ فَصْرَعَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ

(١) يَهُدُ: يَسْرِعُ فِي قَطْعِ لَحُومِهِمْ بِسَيْفِهِ. وَرَوِي «يَهُدُ» (٤) الثَّانِي: مَا بَيْنَ أَسْفَلِ الْبَطْنِ إِلَى الْعَانَةِ.

بِالْمَهْمَلَةِ، وَمَعْنَاهَا يَرُدُّهُمْ وَيُلْكَهُمُ. (٥) الْقُصَمُ: الدَّوَاهِي، وَاحِدَتُهَا قُصْمَى. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ

رَدًّا عَلَى قَوْلِ أَبِي سَعْدٍ: أَنَا قَاصِمٌ مِنْ يَبَارِزَنِي !

(٢) مَا يَبْلِقُ: مَا يَبْقَى.

(٣) الْأَوْرَقُ: مَا لَوْنُهُ إِلَى الْغُبْرَةِ.

عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله.

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلّاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً^(١)، فيأتي أمه سلافة، فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر.

والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شذاد بن الأسود - وهو ابن شعوب - قد علا أبا سفيان، فضربه شذاد فقتله مصفاً رسول الله ﷺ: إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة. فسألوا أهله: ما شأنه؟ فستلت صاحبه عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة.

ثم أنزل الله نصرته على المسلمين وصدقهم وعده، فحسّوهم بالسيف^(٢)، حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها، مشمّرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت المرأة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وغلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل! فانكفأنا^(٣) وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم، ولم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت عقمة الحارثية فرفعته لقريش، فلاثوا به^(٤).

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خُلص إلى رسول الله ﷺ، فرث^(٥) بالحجارة حتى وقع لثيقه^(٦)، فأصيبت رباعيته^(٧)، وشج^(٨) في وجهه، وكلمت^(٩) شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص. فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم!»، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

(١) أشعره السهم: أصابه به في جسده فصار له.

(٢) حسّوهم: قتلوهم واستأصلوهم.

(٣) انكفأنا: رجعنا.

(٤) لاثوا به: اجتمعوا من حوله والتفوا.

(٥) فرث: جرح.

(٦) لثيقه: الجرح في الوجه والرأس.

(٧) الرباعية، كثمانية: السن المجاورة للأنف.

وعن أبي سعيد الخدري، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجهه^(١)، فدخلت حَلَقَتَانِ من حَلَقِ المِغْفَرِ في وجهه، ووقع رسول الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعهُ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ حتى استوى قائماً. ومضَّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخدري، الدَّم عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده، فقال رسول الله ﷺ، مَنْ مَسَّ دمي دمه لم تُصبه النار.

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: مَنْ رَجُلٌ يشتري لنا نفسه؟ فقال زياد بن السُّكْنِ في نفرٍ خمسة من الأنصار، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد، أو عمارة بن يزيد بن السُّكْنِ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة^(٢) من المسلمين، فأجهضوهم عنه^(٣)، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني. فأدنوه منه، فوسَّده قدمه فمات وخذَّه على قدم رسول الله ﷺ.

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دُجَانَةَ بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل، وهو يقول: ارم، فذاك أبي وأمي! حتى إنه ليناوطني السهم ماله نصل، فيقول: ارم به.

وكان أول مَنْ عَرَفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتِلَ رسول الله ﷺ: كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران^(٤) من تحت المِغْفَرِ، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ! فأشار إلي رسول الله ﷺ: أن أنصت.

فلما عرف المسلمون رسولَ الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام - رضوان الله عليهم - والحارث بن الصَّمَّة، ورهط من المسلمين.

فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أي محمد، لا نجوتُ إنْ نجوتُ! فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجلٌ منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهُ فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصَّمَّة فلما تناول رسول

(٣) اجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

(٤) تزهران: تلمعان.

(١) الوجنة: أعلى الخد.

(٢) الفئة: الجماعة.

اللَّهُ ﷺ الحربة من الحارث ابن الصُّمَّة، يقول بعض القوم فيها ذكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(١) عن ظهر البعير إذا انتفض بها. ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تداد^(٢) منها عن فرسه مراراً.

وكان أبي بن خلف يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إن عندي العوذ^(٣): فرساً، أعلقه كل يوم فرقاً^(٤) من ذرة، أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس. قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني.

فمات عدو الله بسرف^(٥) وهم قافلون به إلى مكة.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته^(٦) ماء من المهراس^(٧)، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعاقه فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه.

ونفض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدن^(٨) رسول الله ﷺ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينفض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنفض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: أوجب طلحة^(٩)! حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع.

وكان من قتل يوم أحد مخبريق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطير، لما كان يوم أحد قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم إن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدته، وقال: إن أصبت فما لي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله ﷺ: مخبريق خير يهود.

وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط؟ فإذا لم يعرفه

(١) الشعراء: ذباب له لدغ.

مكة.

(٢) تداد: تدحرج. (٣) العوذ: اسم فرسه.

(٦) الدرق: ترس من جلود.

(٤) الفرق، بالفتح والتحريك: مكيال يسع اثني عشر رطلاً.

(٧) المهراس: ماء بأحد، أو حجر ينقر ويحمل إلى جانب البئر ويودع فيه الماء.

(٥) سرف، بفتح فكسر: موضع على ستة أميال من (٨) بدن: أسن وضعف. (٩) أي وجبت له الجنة.

الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش.

قام الحصين بن عبد الرحمن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة^(١). فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث. فسألوه: ما جاء به؟ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت على رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني. ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: إنه لمن أهل الجنة.

وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد ارادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك؟ فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك. وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة. فخرج معه فقتل معه يوم أحد.

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، يجذعن الأذان والأنف، حتى اتحدت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً^(٢) وقلائد، وأعطت خدماً وقلائدها وقراطئها وحشياً غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة، فلاكتها^(٣) فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها^(٤).

وقد كان الحليس بن زبآن، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبي سفيان، وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب برج الرمح ويقول: ذق عَقَق^(٥)! فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بآبن عمه ما ترون لحي^(٦)! فقال: ويحك، اكتمها عني فإنها كانت زلة.

(١) أثبتته: أثقلته فلم يتحرك.

(٢) الخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال.

(٣) لاكتها: مضغتها.

(٤) لفظتها: طرحتها.

(٥) عَقَق، أي ياعاق.

(٦) أي ميتا ليست به قدرة على الانتصار.

ثم إن أبا سفيان بن حرب حين أراد الإنصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال: أُنعمتَ فعَالٌ^(١)، إن الحرب سجالٌ^(٢) يوم بيوم، أغلر هُبَلٌ^(٣) أي أظهر دينك. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه فقل: الله أعلى وأجل! لا سواء^(٤)، قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار. فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلم إلي يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: انته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر! لقول ابن قمئة لهم^(٥): إني قد قتلنا محمداً!

ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلناكم مثل^(٦)، والله ما رضيْتُ وما سخطت، وما نهيْتُ وما أمرت!

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدرٌ للعام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

ثم بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(٧) وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون. فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ: من رجلٍ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار^(٨): أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم

(١) أنعمت: بالفت، بفتح التاء خطاب لنفسه،

ويكسرهما خطاب للحرب أو الواقعة. عال: أي

ارتفع، وعالي: ارتفعي. أو فعال: اسم للفعل، كما

قالوا فجاء للفجرة.

(٢) أي مداولة، مرة هذا الفريق ومرة لذلك.

(٣) هبل: اسم صنم.

(٤) أي لا نحن سواء، لا نستوي.

(٥) أنظر ما سبق في ص ١٣٠.

(٦) المثل: التمثيل بالقتيل.

(٧) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبيهم.

(٨) هو محمد بن مسلمة الأنصاري.

عند الله إن تُخلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف^(١). قال: ثم لم أبرح حتى مات، فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجذع أنفه وأذناه، فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى: لولا أن تحزنَ صفةً ويكون سنةٌ من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ! فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغَيظه على من فعلَ بعمه ما فعلَ قالوا : والله لئن أظفرنّا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثّلها أحد من العرب .

عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوبٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ . فعفا رسول الله ﷺ، ونهى عن المثلة .

وأمر رسول الله بحمزة فسُجّي^(٢) ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أمر بالقتل يُوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت - فيما بلغني - صفة بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أباها لأبيها وأُمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي . قالت: ولم ؟ وقد بلغني أن مثل بأخي، وذلك في الله، فما أَرْضَانَا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ! فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها . فأتته فنظرت إليه واسترجعت^(٣) واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن .

وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: ادفنهم حيث صُرِعُوا .

عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتل يوم أحد قال: أنا شهيدٌ على هؤلاء، إنّه ما من جريح يُجرّح في الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة يذمّي جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك ! انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر .

(١) تطرف: تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل . (٢) سجي: غطي .

(٣) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون .

وكانوا يدفعون الاثنين والثلاثين في القبر الواحد .

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقينته حمّة بنت جحش، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له. ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها ليمكن ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها .

ومرّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلائهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى، ثم قال : ولكن حمزة لا بواكي له . فلما رجع سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، إلى دار بني عبد الأشهل، أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ . ولما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنّ وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال : ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن^(١) بأنفسكن .

ومرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحيين . قالت : أروني حتى انظر إليه . فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت كل مصيبة بعدك جلل . تريد صغيرة .

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة .

وكان يوم أحد يوم السبت، للنصف من شوال .

فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلّفي على أخوات لي سيع، وقال : يا بُنيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لرجل فيهنّ، ولست

(١) المؤاساة : التعزية والمعاونة .

بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخأف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد - وهي من المدينة على ثمانية أميال - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

وقد مرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مُسلمهم ومشرِكهم عبيَّة نصح^(١) لرسول الله ﷺ بتهامة، صَفَّقْتَهُمْ معه^(٢)، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بها، ومعبدٌ يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم. ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء^(٣)، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فقالوا: أصبنا حدَّ أصحابه، وأشرفهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكُرُّنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط، يتحرِّقون عليكم تحرقاً^(٤)، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، ونديموا على ما صنعوا، فيهم من الحق^(٥) عليكم شيء لم أر مثله قط! ويحك، ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيَّتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر. قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل ^(٦)
تُردي بأسد كرام لا تنابله	عند اللقاء ولا ميل معازيل ^(٧)
فظلْتُ عَذُوا أَظُنُّ الأرض ماثلة	لما سَمُوا برئيس غير مخذول ^(٨)
فقلت ويل ابن حربٍ من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالجيل ^(٩)

(١) عبيَّة نصحه: موضع سره.

(٢) الصفقة: الاجتماع.

(٣) الروحاء: قرية لمزينة على ليلتين من المدينة.

(٤) التحرق: الغيظ.

(٥) الحق: شدة الغيظ.

(٦) تهد: تسقط هول ما رأت. والجرد: جمع أجرد، وهو

الفرس القصير الشعر. الأبايل: الجماعات.

(٧) تردي: تسرع. التنايلة: القصار. الأميل: الذي لا

يثبت على السرج. المعزال: الذي لا سلاح معه.

(٨) العدو: مثنى سريع. سما: ارتفعوا إلينا.

(٩) تغطمطت: اهتزت. الجيل: الصنف من الناس.

إني نذيرٌ لأهل البَّسل ضاحيةٌ لكل ذي إزبةٍ منهم ومعقول^(١)
 مِن جيش أحمد لا وخشٍ قنابله ليس يُوصف ما أنذرتُ بالقليل^(٢)
 مثني ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟
 قالوا: نريد الميرة^(٣). قال: فهل أنتم مُبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحل
 لكم هذه غداً زيبياً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد
 أجمعنا السيرُ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمرَّ الراكب برسول الله ﷺ وهو بحمراء
 الأسد فأخبرته بالذي قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي
 العاص، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره بيدرثم من عليه، فقال: يا رسول
 الله، أقتلي. فقال رسول الله ﷺ: والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعتُ
 محمداً مرتين^(٤)، اضرب عنقه يا زبير! فضرب عنقه.

فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي بن سلول له مقامٌ بقومه كلَّ
 جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم
 الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: «أيها الناس، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم،
 أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزَّوه^(٥)، واسمعوا له وأطيعوا». ثم يجلس حتى إذا
 صنع يوم أحدٍ ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بشيابه
 من نواحيه وقالوا: اجلس أيُّ عدوِّ الله، لست لذلك بأهل وقد صنعتُ ما صنعتُ! فخرج
 يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلتُ بُجراً^(٦) أن قمتُ أشدُّ أمره! فلقبه رجلٌ
 من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك وملك! قال: قمتُ أشدُّ أمره فوثب عليَّ رجالٌ من
 أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلتُ بُجراً أن قمتُ أشدُّ أمره. قال: وملك أرجع
 يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما ابتغي أن يستغفر لي.

قال ابن إسحاق:

-
- (١) البسل: الحرام. والمراد قريش لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. ضاحية: أي علانية. الإربة: العقل. وكذلك المعقول.
 (٢) الوحش: رذالة الناس والأخساء منهم. والقنابل: جمع قنبلة وقنبل، وهم الطائفة من الناس ومن الخيل.
 (٣) الميرة: الطعام يجلب من بلد إلى آخر.
 (٤) وقيل: قال له: إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت. فضرب عنقه.
 (٥) التعزيز: النصر.
 (٦) البجر: الشر والأمر العظيم.

وكان يوم أحد يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيصٍ، اختبر الله به المؤمنين وعَن به المنافقين، مَن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخفٍ بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

يوم الرجيع في سنة ثلاث

قديم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عَضَلِ والقارة^(١) فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرأ من أصحابه، وهم مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق. وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة^(٢)، غدروا بهم، فاستصرخوا^(٣) عليهم هذيلأ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوههم، فأخذوا أسياфهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقدأ أبداً. فقال عاصم بن ثابت:

ما عَلَيَّ وأنا جَلَدُ نَابِلٍ^(٤) والقوسُ فيها وترُ عُنَابِلٍ^(٥)
تزلُّ عن صفحتها المعَابِلُ^(٦) الموت حق والحياة باطلُ
وكسلُ ما حَمَّ الإلهُ نازلُ^(٧) بالمرء والمرء إليه آئلُ^(٨)

ثم قاتل القومَ حتى قُتِلَ وقتل أصحاباه.

فلما قُتل عاصم أرادت هذيلُ أخذَ رأسه لبيعهوه من سُلَاقَة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر، فمنعته الذُبُرُ^(٩) فلما حالت بينه وبينهم الذُبُرُ قالوا: دَعوه حتى يُمسي فتذهب

(١) قبيلتان من الهون بن خزيمه بن مدركة.

(٢) الهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

(٣) استصرخوا: استنصروا.

(٤) الجلد: الشديد. النابل: صاحب النبل.

(٥) آئل: صائر.

(٦) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.

(٧) حم الإله: قدره.

(٨) الذبُر: الزناوير والنحل.

(٩) العنابل: الغليظ الشديد.

عنه فَنَآخِذْهُ . فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا يَمْسُ مَشْرُكَ وَلَا يَمْسُ مَشْرُكَ أَبَدًا ، تَنْجُسًا . فَكَانَ عَمْرٍو يَخْطُبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدُّبَرَ مَنَعَتْهُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَلَّا يَمْسُ مَشْرُكَ وَلَا يَمْسُ مَشْرُكَ أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ ، فَلَانُوا وَرُقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ ، فَأَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَأَسْرَوْهُمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ ، لِيُبْعِيََهُمْ بِهَا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظُّهْرَانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ^(١) ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمَ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَبْرُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالظُّهْرَانِ .

وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ ، فَقَدِمُوا بِهَا مَكَّةَ ، فَبَاعُوهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ بِأَسِيرِينَ مِنْ هَذِيلٍ كَانَا بِمَكَّةَ ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ لِعُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيَّةَ بْنِ خُلْفٍ . وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مَعَ مَوْلَى لَهُ ، يُقَالُ لَهُ نَسْطَاسٌ ، إِلَى التَّنْعِيمِ^(٢) ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ . وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ حِينَ قَدَّمَ لِيَقْتُلَ : ائْشُدْكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ ، أَتَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبَ عُنُقَهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تَصْيِيهِ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي !

يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ! ثُمَّ قَتَلَهُ نَسْطَاسٌ ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ .

عَنْ مَأْوِيَّةَ مَوْلَاةِ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إِهَابٍ - وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ - قَالَتْ : كَانَ خُبَيْبٌ عِنْدِي ، حُبَسَ فِي بَيْتِي ، فَلَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَإِنْ فِي يَدِهِ لِقِطْفًا مِنْ عَنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ ، يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَمَا أَعْلَمُ فِي أَرْضِ اللَّهِ عَنَبًا يُؤْكَلُ ، قَالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ الْقَتْلُ : ابْعَثِي إِلَيَّ بِحَدِيدَةٍ أَنْظُرَ بِهَا لِلْقَتْلِ . فَأَعْطَيْتُ غَلَامًا مِنَ الْحَيِّ الْمَوْسَى فَقُلْتُ : ادْخُلْ بِهَا عَلَى هَذَا

(١) القرآن : جبل يربط به الأسير .

(٢) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

الرجل البيت. قالت: فوالله ما هو إلا أن ولَّى الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعتُ، أصاب والله الرجلُ ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل! فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلي؟! ثم نخلَّ سبيله.

ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوَّلت جزعاً من القتل لاستكرتُ من الصلاة! فكان خبيب بن عديٍّ أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يُصنع بنا!! ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً^(١)، ولا تغادر منهم أحداً!! ثم قتلوه رحمه الله.

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حَضَرَه مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً^(٢) من دعوة خبيب. وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجعَ لجنبه زالت عنه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي على بعض الشام، فكانت تصيِّه غَشِيَّة وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل إن الرجل مصاب. فسأله عمر في قَدَمَةٍ قَدِمَهَا عليه فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عديٍّ حين قُتِل، وسمعتُ دعوته فوالله ما خطرتُ على قلبي وأنا في مجلسٍ قطُّ إلا غُشي علي! فزادته عند عمر خيراً.

قال ابن عباس: لما أُصيبَت السريَّة التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم قعدوا في أهلهم، ولا هم أدُّوا رسالة صاحبهم. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي يظهر من الإسلام بلسانه ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ وهو مخالفٌ لما يقوله بلسانه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي ذو جدالٍ إذا كلَّمك وراجعك. ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي خرج من عندك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

(١) بدداً: متفرقين.

(٢) الفرق، بالتحريك: الخوف والفرع.

يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٦﴾ أَي لَا يَحِبُّ عَمَلَهُ وَلَا يَرْضَاهُ . ﴿٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْبِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨﴾ ، أَي قَدْ شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، حَتَّى هَلَكُوا عَلَى ذَلِكَ . يَعْنِي تِلْكَ السَّرِيَّةُ .

وكان ممَّا قِيلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّعْرِ قَوْلُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَصَلْبِهِ :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَى
وَكُلُّهُمْ مُبِيدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدُ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُسْرَتِي
فَذَا الْعَرْشُ ، صَبْرِي عَلَى مَا يَرَادُ بِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا
فَلَسْتُ بِمَبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَحْشَعَا
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَا مَدَامُهَا
عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى الْفَتَيَانِ قَدْ عَلِمُوا
فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جِزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
فَيَمَّ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ
سَحَا عَلَى الصُّدْرِ مِثْلَ اللَّوْلُوِّ الْقَلِقِ (٦)
لَا فَشَلْ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا نَزِقْ (٧)
وَجَنَّةُ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِي الرَّفْقِ (٨)
حِينَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ فِي الْأَفْقِ
طَاغَ قَدْ أَوْعَتْ فِي الْبُلْدَانِ وَالرَّفْقِ (٩)

(٦) أَرْجُو : أَخَافُ .

(٧) تَرْقَا : تَسْكُنُ . السَّحْ : الصَّبْرُ .

(٨) مِنَ التَّرْقِ ، وَهُوَ التَّسْرِعُ وَالطَّيِّشُ .

(٩) الرَّفْقُ : جَمْعُ رَفْقَةٍ ، وَهُمْ الْأَصْحَابُ .

(١٠) الرَّفْقُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْمَرْجِعُ السَّهْلُ الْمَطْلَبُ .

(١) أَلْبُوا : جَمَعُوا .

(٢) أَرْصَدُوا : أَعْدَوْا .

(٣) بَضَعُوا : قَطَعُوا . يَاسُ : يَشُ .

(٤) الشَّلُو : الْجَسَدُ . الْمَزْعُ : الْمَقْطَعُ .

(٥) الْجَحِيمُ : اضْطِرَابُ النَّارِ . مَلْفَعٌ : يَشْمَلُهُ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .

حديث بئر معونة في صفر سنة أربع

فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال، وذا القعدة، وذا الحجة - وولي تلك الحجة المشركون - والمحرم، ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وكان قد قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعث من الإسلام وقال: يا محمد، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوههم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة، «المعنى ليموت»^(١) في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، منهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء، ونافع بن بديل بن ورقاء، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، في رجال مسمين من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل. فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ^(٢) عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا لن نخفر أبا براء^(٣) وقد عقد لهم عقداً وجواراً. فاستصرخ عليهم قبائل من سليم فاجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث^(٤) من بين القتل، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، يرحمه الله.

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف^(٥)، فلم ينبثهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم حول العسكر، فقالا: والله إن لهذه

(١) اعتق: أسرع. وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى (٤) الارتث: أن يجعل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد الشهادة.

(٢) استصرخهم: استعان بهم (٥) هو المنذر بن محمد بن عتبة.

(٣) نخفّره: نقض عهده.

الطَّيرَ لَشَانًا. فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ وَإِذَا الْخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ، فَقَالَ
الْأَنْصَارِيُّ لِعَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ ؟ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَخَبِرَهُ
الْخَبِيرَ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذَرُونَ عَمْرُو ، وَمَا
كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرِّجَالُ ! ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قَتَلَ .

وَأَخَذُوا عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ أَسِيرًا ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ ، وَجَزَّ
نَاصِيَتَهُ ، وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ زَعَمَ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ
بِالْقَرْقَرَةِ ^(١) مِنْ صَدْرِ قَنَاةَ ^(٢) ، أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ حَتَّى نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلِّ هُوْفِيهِ . وَكَانَ
مَعَ الْعَامِرِيِّينَ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِوَارٌ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَدْ سَأَلَهَا حِينَ
نَزَلَا : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَا : مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَأَمَهْلُهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَا عَدَا عَلَيْهِمَا ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ
أَصَابَ بِهِمَا ثُورَةٌ ^(٣) مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، فِيمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ : لَقَدْ
قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا ! ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءَ ، قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا
مَتَخَوِّفًا !

فَبَلَغَ أَبَا بَرَاءٍ فَشَقَّ عَلَيْهِ إِخْفَارُ عَامِرٍ إِيَّاهُ ، وَمَا أَصَابَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيهِ
وَجَوَارِهِ .

وَكَانَ فِيمَنْ أَصِيبَ عَامِرُ بْنُ فَهيرةَ .

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطَّفِيلِ كَانَ يَقُولُ : مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ
رَأَيْتَهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ ؟ قَالُوا : هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهيرةَ .

إِجْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ،
الَّذِينَ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقْدَ لَهَا ، وَكَانَ بَيْنَ
بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَجِلْفٌ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ
الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا : نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ .

ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بِيوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِي عَلَيْهِ

(١) فرقة الكدر: بينها وبين المدينة ثمانية برد. (٢) واد يصب في قرقرة الكدر. (٣) الثورة. الثار.

صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم .

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث^(١) النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به . وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها !

وقد كان رهطاً من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعه ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير ، أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٢) . ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه^(٣) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام . فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحكي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي التي ابتاعوها منه^(٤) ، بزهاء وفخر ما رئي مثله من حي من الناس في زمانهم .

فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه . وفي ذلك يقول :
سقوني الخمر ثم تكنفوا
عداء الله من كذب وزور
فيا للناس كيف غلبت نفسي
على شيء ويكرهه ضميري

(١) استلبثه : استبطاه . (٢) الحلقة : السلاح كله .

(٣) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٤) اسمها سلمى ، وكانت ناكحاً في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسيبها . وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غنم . فرأوا عنده سلمى فاعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم

وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت له خاصّة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أنّ سهل بن حنيف وأبا دجانة سيمّاك بن خَرْشَة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته، وما سلّط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال تعالى: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذ احتملوها. ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ وكان لهم من الله نعمة ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾، أي بالسيف. ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ مع ذلك. ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ واللينّة: ما خالف العجوة من النخل ﴿ فيأذن الله ﴾ أي فبأمر الله قطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نعمة من الله ﴿ وليخزي الفاسقين. وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ يعني من بني النضير ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، ولكن الله يسلّط رسّله على من يشاء والله على كل شيء قدير. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ﴾ ما يُوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ﴿ ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.

يقول: هذا قسم آخر فيها أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير، إلى قوله ﴿ كمثّل الذين من قبلهم ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ يعني بني قينقاع، ثم القصّة إلى قوله: ﴿ كمثّل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين. فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالدَيْن فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾.

غزوة ذات الرقاع في سنة أربع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى. ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاريّ

حتى نزل نخلًا^(١)، وهي غزوة ذات الرقاع^(٢). فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

عن جابر بن عبد الله قال:

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرقاع تمضي، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جمل هذا. قال: أنيخه. فأنيخه وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصاً من شجرة. ففعلت، فأخذها رسول الله ﷺ فَنَحَسَه بها نَحْسَاتٍ ثم قال: اركب. فركبت فخرج، والذي بعثه بالحق، يواحق ناقته مُواهقة^(٣).

وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيني جملك هذا يا جابر؟ قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعني. قلت: فسمنيه يا رسول الله. قال: قد أخذته بدرهم! قلت: لا، إذن تبني يا رسول الله. قال: بدرهمين؟ قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. فقلت: أفقد رضىيت يا رسول الله؟ قال: نعم. قلت: فهو لك. قال: قد أخذته. ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أثيباً أم بكرأ؟ قلت: لا، بل ثيباً. قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن. قال: أصبت إن شاء الله، أما إنا لو قد جئنا صراراً^(٤) أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت ثمارقها^(٥). فقلت: والله يا رسول الله ما لنا من غمارق! قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيبساً.

فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ. قالت: فدونك، فسمعت وطاعة.

(١) نخل: موضع بنجد من أرض غطفان.

رقاعاً، فقيل لها: ذات الرقاع.

(٢) إنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها رايانهم.

(٣) يواهقها: يعارضها في المشي لسرعته.

وقيل: ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات

(٤) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

الرقاع. وقيل: لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشدوا

(٥) الثمارق: جمع غمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

فلما أصبحت أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُهُ على باب رسول الله ﷺ، ثم جلستُ في المسجد قريباً منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله، هذا جملُ جاء به جابر. قال: فأين جابر؟ فدُعيتُ له فقال: يا ابن أخي، خذْ برأس جملك فهو لك. ودعا بلالاً فقال له: اذهب بجابر فاعطه أوقية. فذهبتُ معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً، فوالله ما زال ينمى عندي، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيها أصيب لنا - يعني يومَ الحرة .

وعنه أيضاً قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجلٌ امرأة رجلٍ من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُبرق في أصحاب محمد ﷺ دماً ! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: مَنْ رجلٌ يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجل آخر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله. قال: فكونا بفم الشعب. فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكها. أوله أم آخره؟ قال: بل أكفي أوله. فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي.

وأق الرجل، فلما رأى شخصَ الرجل عرف أنه ربيثة القوم، فرمى بسهم فوضعه فيه، فزرعه ووضعه فثبت فيه قائماً ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه، فزرعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه^(١) فقال: اجلس قد أثبت^(٢). فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به^(٣) فهرب.

ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله، أفلا أهبتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك. وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها.

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجباً.

(٣) نذرا به: علما به فتحرزا.

(١) أهب إهاباً: أيقظه.

(٢) أثبت: جرحه جرحاً لا يمكنه التحرك معه.

غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع

ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزل.

فأقام عليه ثمانِيَّ لَيَالٍ ينتظر أبا سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل حَجَّة^(١)، من ناحية الظهران، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عامٌ جذب، وإني راجعٌ فارجعوا.

فرجع الناس، فسمّاهم أهل مكة «جيش السويق». يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده. فأتاه مخشِيُ بن عمرو الضَّمَرِيُّ، وهو الذي كان وادّعه على بني ضمرة في غزوة ودّان، فقال: يا محمد، أجنّت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالذناك^(٢) حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان، فمرّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي، فقال وقد رأى مكانَ رسول الله ﷺ وناقته تهوى به^(٣):

قد نَفَرْتُ من رُفَقَتِي محمد وعَجوة من يثرب كالْعَنَجَد^(٤)
تهوى على دين أبيها الأتلد^(٥) قد جَعَلَتْ ماء قُدَيْدٍ موعدي^(٦)
وماء ضُجْنَانَ لها ضُحَى الغدِ

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك^(٧):

وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد وأقْبِسْ لُو وافيْتَنَا فلقِيْتَنَا
تركنا به أوصال عُتْبة وابنه وعمراً أبا جهل تركناه ثاويأ^(٨)

(٥) الدين: الدأب والعادة. الأتلد: الأقدم.

(٦) قديد: موضع قرب مكة.

(٧) قال ابن هشام: أنشدنيها أبو يزيد الأنصاري، لكعب

بن مالك.

(٨) ثاويأ: مقيأ.

(١) واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري.

(٢) المجالدة: المضاربة بالسيف.

(٣) تهوى به: تسرع.

(٤) العنجد: الزبيب الأسود.

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَبِ لَدِينِكُمْ وَأَمْرُكَمُ السَّيِّءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَلَا بِي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلُ فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بغيره شِهَاباً لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

غزوة دُومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها شهراً حتى مضى ذو الحِجَّة، وولي تلك الحِجَّة المشركون، وهي سنة أربع من مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة .
ثم غزا رسول الله ﷺ دُومة الجندل^(١)، ثم رجع قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق في شوال سنة خمس

ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود، منهم سلام بن أبي الحَقِيق النَّضْرِي، وَحَيَّي بن أَخْطَب النَّضْرِي، وَكِثَانَة بن أَبِي الحَقِيق النَّضْرِي، وهودَة بن قيس الوائلي، وأبو عَمَّار الوائلي، في نفرٍ من بني النَّضِير ونفرٍ من بني وائل - وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدَعَوْهُمْ إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَدِينَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق منه .

فَهُم الَّذِينَ أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِّ وَالطَّاعُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾ إلى قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي النبوة ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ .

فلَمَّا قالوا ذلك لقريش، سَرَّهُمْ وَنَشِطُوا لما دَعَوْهُمْ إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان، فدَعَوْهُمْ

(١) بضم الدال، وفتح: من أعمال المدينة، بينها وبينها خمس عشرة ليلة. وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في هذه الغزوة سبع بن عرفة.

إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن ربيعة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورُونَ^(١)، بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابت من الحاجة التي لا بد منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ - قال ابن هشام: اللواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب - ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من صدق أو كذب ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة، بين الجرف ورغابة، في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذي نبت نقي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء

(١) التورية: أن يستر شيئاً ويظهر غيره .

فجعلوا في الأطام^(١).

وخرج عدو الله حُيَيُّ بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعبُ بحُيَيِّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حُيَيُّ: ويحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك يا حُيَيُّ! إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلستُ بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويحك! افتح لي أكلّمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: واللّه إن أغلقت الحصن دوني إلا على جثيتك^(٢) أن أكل منها معك! فأحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جثتك بعزّ الدهر وبيع طام^(٣)، جثتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا ييارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جثتي والله بذل الدهر، وبجهامٍ قد هراق ماءه، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيُّ! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمدٍ إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حُيَيُّ بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٤) حتى سمع له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن مُعاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد بن دُليم، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا^(٥) لي لحنأ أعرفه، ولا تفتروا في أعضاء الناس^(٦)، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبت ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ. وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد! فشاعهم سعد بن مُعاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه جدّة. فقال له سعد بن عباد: دُع عنك مشامتهم، فما بيننا

(١) الأطام: الحصون، جمع اطم.

(٢) الجثيشة: طعام من البر يطحن غليظاً.

(٣) طام: ممتلئ مرتفع الأمواج.

(٤) اللحن: التعريض والإشارة في الكلام.

(٥) الحنأ أعرفه: أوهته وأضعفه.

(٦) أي يخاتله ويرواغه. وأصل المثل في البعير، يفعل به

وبينهم أَرْبَى^(١) من المشائمة . ثم أقبل سعدٌ وسعدٌ ومن معها إلى رسول الله ﷺ فسَلَمُوا عليه ثم قالوا: عضل والقارة^(٢)! أي كغدر غَضَل والقارة بأصحاب الرجيع: خبيث أصحابه - فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين!

وعظم عند ذلك البلاء واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كلُّ ظنٍّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان مُحَمَّدٌ يَعِدُّنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وحتى قال أوس بن قَيْظٍ: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو - وذلك عن ملأ من رجال قومه - فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بعضاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حربٌ إلا الرَّمْيُ^(٣) بالنبل، والحصار.

فلما اشتدَّ على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى غينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا عن معهما عنه وعن أصحابه. فجَرى بينه وبينها الصلح، حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المِراوضة في ذلك. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، امرأ تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بدُّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك، إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكألبوكم^(٤) من كلِّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرَى^(٥) أو يبيعاً، أفجِئنا أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَّا بك وبه نعطيه أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيه إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: لِيَجْهَدُوا علينا.

(٤) المكابرة: المضايقة والتشديد.

(٥) القرى: طعام الضيف.

(١) أربى: أزيد وأكثر.

(٢) انظر ما سبق في ص ١٣٨.

(٣) الرمي: الرماة بالسهام.

فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وعدُّوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد وُدٍّ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطَّاب الشاعر، تلبَّسوا^(١) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهبثوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفُرسان اليوم. ثم أقبلوا تُعَبِّقُ^(٢) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: واللَّهِ إنَّ هذه لمكيدة ما كانت العربُ تكيدُها^(٣) !

ثم تيمَّموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السُّبْحَةِ بين الخندق وسَلْعٍ، وخرج عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في نفرٍ من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثُّغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفُرسانُ تُعَبِّقُ نحوهم.

وكان عمرو بن عبد وُدٍّ قد قاتَلَ يومَ بدرٍ حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يومَ أحدٍ. فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّماً^(٤) ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: مَنْ يُبارزُ؟ فبرز له عليُّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنَّك كنت قد عاهدتَ الله ألا يدعوك رجلٌ من قريشٍ إلى إحدى خِلَتَيْنِ إلا أخذتها منه. قال له: أجل! قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك. قال له عليٌّ: لكنِّي والله أحبُّ أن أقتلك! فحجَمي عمرو عند ذلك فاقتحَمَ عن فرسه، فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٍّ، فتنازَلا وتجاولا، فقتله عليٌّ رضي الله عنه.

وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

وألقي عكرمةُ بن أبي جهل رُحْمَهُ يومئذ وهو منهزمٌ عن عمرو، فقال حسان بن ثابتٍ في

هذا:

فرُّ والسقى لنا رَحْمَهُ	لعلَّك عكرم لم تَفْعَلْ
وولَّيتَ تعدوا كعدو الظَّليلِ	سم ما إن تجور عن المعدل ^(٥)
ولم تلو ظهرَكَ مستانساً	كأنَّ قفاكَ قفا فرعل ^(٦)

(٤) المعلم: الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها

(٥) الظليم: ذكر النعام، وهو المثل في الجبن. تجوز:

تحديد، المعدل: الطريق.

(٦) الفرعل: الصغير من الضباع.

(١) أي تهبثوا له.

(٢) تعقب: تسرع.

(٣) قال ابن هشام: يقال إن سلمان الفارسي أشار به على

رسول الله ﷺ.

وكان شعار^(١) أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «حم. لا ينصرون».

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا^(٢) إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشاً وغطفاناً ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم. لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفاناً قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهروهم عليه، وبلدكم وأمواهم ونساؤهم وبغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهرة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل يبلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه. فقالوا له: لقد أشرت بالرأي!

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكنتموا عني. فقالوا: نفعل. قال: تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تهتموني. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. قال: فاكنتموا عني.

(١) الشعار: العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب. (٢) أي أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً.

قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّره ما حذّره.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر^(١)، فاعدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنأ من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى أن ضرستكم^(٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا^(٣) إلى بلادكم، وتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه!

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق! ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنأ. فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الرّيح في ليل شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيهم.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

عن محمد بن كعب القرظي قال:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتم رسول الله ﷺ بالخنديق وصلى رسول الله ﷺ هويأ من الليل^(٤)، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع -

(٣) انشمروا: انقبضوا وأسرعوا إلى بلادهم.

(٤) هويأ من الليل: قطعة منه.

(١) الخف: الإبل. والحافر: الخيل.

(٢) ضرستكم: نالت منكم.

يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجلٌ من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يَقم أحدٌ دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثُ شيئاً حتى تأتينا ! فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل، لا تَقِرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤٌ من جلسيه ؟ فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت ؟ قال: فلان ابن فلان^(١).

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدارٍ مُقام، لقد هلك الكراعُ والخفُّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئنُّ لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أُطلقَ عِقَالُهُ إلَّا وهو قائم، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إلي: «أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يصلي في مرطٍ^(٢) لبعض نسائه مَراجل^(٣)، فلما رأي أدخلي إلى رجله، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه. فلما سلَّم أخبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرفَ عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة في سنة خمس

فلما كانت الظهر، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، معتجراً بعمامة من إستبرق^(٤)، على بغلةٍ عليها رحالة^(٥)، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟

(١) في شرح المواهب: «فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت: من أنت ؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت ؟ قال: عمرو بن العاص» .
(٢) المرط: الكساء .
(٣) المراحل: ضرب من وشي اليمن .
(٤) الإستبرق: ديباج غليظ .
(٥) الرحالة: السرج .

قال: نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإنني عامدٌ إليهم فمزولٌ بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

وقدّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدروا الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى. قال: نعم، يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنثا.

وتلاحق به الناس، فأتى رجالٌ منهم من العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة» فشغلهم ما لم يكن منهم بدٌ في حربهم، وأبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عَنَفَهم به رسول الله ﷺ.

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً حتى جَهدَهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلتم تقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلًا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء

والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد أمّنونا فيها، فانزلوا لعننا نصيب من محمد وأصحابه غيرة. قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً !

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبدالمندر لنستشيره في أمرنا. فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رآوه قام إليه، الرجال، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لُبابة، أترى أن نزل على حكم محمد^(١) ؟ قال: نعم - وأشار بيده إلى حلقه - إنه الذبح^(٢).

قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدمائي عن مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله ﷺ.

ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمّده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت. وعاهدتُ الله ألا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلدٍ خنتُ الله ورسوله فيه أبداً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: تيبّ على أبي لُبابة. قلت: أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: بلى إن شئت. فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك ! .

قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده. فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

(١) وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة، أنزلوا شأس بن قيس، فكلّمه رسول الله ﷺ أن ينزلوا على

(٢) في شرح المواهب: كان أبا لُبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن دمائهم، وعرف أن رسول الله ﷺ سيذبحهم إن نزلوا على حكمه. وبهذا أشار إلى بني قريظة.

ما نزل بنو النضير، من ترك الأموال والخلفعة، والخروج بالنساء والذراري وما حملت الإبل إلا الخلفعة. فأبى رسول الله ﷺ. فقال: تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه.

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجدع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجدع.

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ. فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم مواليونا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبّل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه. فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رُفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنزق: اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب. فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطّؤوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولّاك لتحسن فيهم! فلما اكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه^(١).

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار. وأما الأنصار فيقولون: قد عمّ بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ها هنا؟ - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً - فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال سعد فإني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسي الذراري والنساء.

(١) أي ما فهمه من قوله: «أني لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم»، أن سعداً رأى قتلهم، فنعاهم، قبل موتهم.

قال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»^(١).

ثم استنزَلُوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث^(٢) ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة - التي هي سوقها اليوم - فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يُخرج بهم إليه أرسالاً^(٣)، وفيهم عدو الله حُيَّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثُر لهم يقول: كانوا بين الشامخات والتسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطنٍ لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

وأتى بحَيَّ بن أخطب عدو الله، وعليه حُلَّة له فُقَّاحِيَّة^(٤) قد شَقَّها عليه من كل ناحية قَدْرَ أَغْلَةٍ، لئلا يُسَلِّبَهَا، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لُت نفسي في عداوتك ولكنّه من يَخْذُل الله يُخْذَل! ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة^(٥) كتبها الله على بني إسرائيل. ثم جلس فُضِرْبَ عنقه.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تُحَدِّثُ معي وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قلت لها: ويلك! مالك؟ قالت: أُقتل. قلت: ولم؟ قالت: لحدِّث أحدثته^(٦). قالت: فانطلق بها فضربت عنقها.

فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى، عجباً منها، طيبَ نفسها، وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتَل.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم. عن عطية القُرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غرمًا فوجدوني لم

(٥) الملحمة: الوقعة العظيمة القتلى.

(٦) قال ابن هشام: هي التي طرحت الرحي على

خلاد بن سويد فقتلته.

(١) جمع رقيب، وهي السماء.

(٢) اسمها كيسة بنت الحارث.

(٣) أرسالاً: جماعات.

(٤) فُقَّاحِيَّة: على لون الورد هم أن يفتح:

أُنِيتَ، فخلُّوا سبيلي.

وعن أيوب بن عبد الرحمن، أن سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبليتين، وبايعته بيعة النساء - سألت رفاعَةَ ابنَ سموءل القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها^(١) وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأُمِّي، هب لي رفاعَةَ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فوهبه لها فاستحيته.

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل، بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ریحانة بنت عمرو بن خُنافة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفِّي عنها وهي في ملكه. وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليَّ وعليك. فتركها. وقد كانت حين سبها قد تعصّت بالإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سَعِيَة يبشِّرني بإسلام ریحانة. فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ریحانة! فسرّه ذلك من أمرها.

وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم، حين فرّج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تَعْمَلُونَ بصيراً﴾. والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة. وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾. فالذين جاؤوهم من فوقهم: بنو قريظة، والذين جاؤوا من أسفل منهم: قريش وغطفان. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُنَا لَكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، لقول معتب بن قشير^(٢) إذ يقول ما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا

(١) لاذ بها: التجأ إليها.

(٢) انظر ما مضى في صفحة ١٥٤.

مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١﴾ لَقَوْلُ أَوْسَ بْنِ قَيْظٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ. ﴿٢﴾ وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴿٣﴾ أَيْ الْمَدِينَةِ ﴿٤﴾ ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ ﴿٥﴾ أَيْ الرُّجُوعَ إِلَى الشَّرْكِ ﴿٦﴾ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَثُّوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ هُمَّا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أَحَدٍ مَعَ بَنِي سُلَيْمَةَ حِينَ هَمَّتْ بِالْفُشْلِ يَوْمَ أَحَدٍ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أُعْطُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿٨﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ ﴿٩﴾ أَيْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ ﴿١٠﴾ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾ أَيْ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا^(١)، ﴿١٢﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ أَيْ لِلضُّعْفِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿١٤﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿١٥﴾ أَيْ إِعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿١٦﴾ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ ﴿١٧﴾ أَيْ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تَحِبُّونَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسَابَهُ^(٢)، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ. ﴿١٨﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴿١٩﴾ قَرِيشٌ وَغُطَفَانٌ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿٢٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٢٣﴾ أَيْ لثَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ مَكَانٍ هُوَ بِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَدَقَهُمْ وَتَصَدَّقَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ يُخْتَبِرُهُمْ بِهِ، فَقَالَ: ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَمَا زَاوَاهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٥﴾، أَيْ صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَسْلِيمًا وَتَصَدِيقًا لِلْحَقِّ، لِمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: ﴿٢٦﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴿٢٧﴾ أَيْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ كَمَنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أَحَدٍ ﴿٢٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴿٢٩﴾ أَيْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿٣٠﴾ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣١﴾ أَيْ مَا شَكُّوا وَمَا تَرَدَّدُوا فِي دِينِهِمْ وَمَا اسْتَبَدَّلُوا بِهِ غَيْرَهُ ﴿٣٢﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

(١) التعذير: أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِنْ بَرِدَ أَنْ يَقِيمَ الْعُذْرَ عِنْدَ (٢) الْحِسْبَةُ: الْأَجْرُ.

مَنْ يَرَاهُ.

رحيماً. وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴿، أي قريشاً وغطفان ﴿ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً. وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴿ أي بني قريظة ﴿ من صياصيتهم ﴿ والصياصي: الحصون والأطام التي كانوا فيها ﴿ وقذف في قلوبهم الرُّعْبَ فريقاً تَقْتُلُونَ وتأسرونَ فريقاً ﴿ أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء. ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تَطْنُوها ﴿ يعني خيبر ﴿ وكان الله على كلِّ شيءٍ قديراً. .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن مُعَاذ جُرحه فمات منه شهيداً.

عن الحسن البصري قال: كان سعدٌ رجلاً بادناً، فلما حمله الناس وجدوا له خِفةً، فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لبادناً، وما حملنا من جنازةٍ أخفَّ منه ! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ له حَمَلَةً غيركم، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزَّ له العرشُ. »

وقتل من المشركين ثلاثة نفر: منبّه بن عثمان بن عبيد، أصابه سهم فمات منه بمكة. ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورَّط فيه فقتل، فغلب المسلمون على جسده، فقال رسول الله ﷺ: « لا حاجة لنا في جسده ولا بشمته » فخلَّى بينهم وبينه.

ومن بني عامر بن لؤي: عمرو بن عبد ودٍ، قتله علي بن أبي طالب.

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد، طرحت عليه رحي فشدخته شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ له لأجرَ شهيدين».

ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان، ورسولُ الله ﷺ محاصراً بني قريظة، فدفن في مقبرة بني قريظة.

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم» .

فلم تغزهم قريشٌ بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة بني الحِمْيَر

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني الحِمْيَر، يطلب بأصحاب

الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة^(١).

فخرج من المدينة^(٢) فسلك على غراب: جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مخيض، ثم على البتراء، ثم صفق^(٣) ذات اليسار فخرج على بين^(٤) ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ السير سريعاً حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان - وغران : واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له ساية - فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم لما أراد قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان. ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كروا وراح رسول الله ﷺ قافلاً.

فكان جابر بن عبد الله يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجّه راجعاً :

أيون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون. أعوذ بالله من وعشاء السفر^(٥) وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يقم بها إلا ليلي فلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، في خيل من غطفان على لقاح^(٦) لرسول الله ﷺ بالغابة^(٧) وفيها رجل من بني غفار^(٨) وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.

وكان أول من نذر بهم^(٩) سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله، معه فرس له يقوده. حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ: واصْبَحْها ! ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع، حتى لحق بالقوم، فجعل يردّهم بالنبل، ويقول إذا رمى: «خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع^(١٠)». فإذا وجّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم

(١) الغرة: الغفلة.

(٢) واستعمل عليها ابن أم مكتوم.

(٣) صفق: عدل وانصرف.

(٤) بين، بالكسر: واد قرب المدينة.

(٥) أي مشقته وشدته.

(٦) اللقاح، بكسر اللام: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

(٧) الغابة: موقع قرب المدينة من ناحية الشام.

(٨) هو ابن أبي ذر. (٩) نذر بهم: علم بهم.

(١٠) جمع راضع، والراضع: اللثيم. والمعنى: اليوم يهلك

اللثام.

عَارَضَهُمْ، فَإِذَا امْكَنَهُ الرَّمْيُ رَمَى ثُمَّ قَالَ: «خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ». فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَوْيَكُنَّا هُوَ أَوَّلَ النَّهَارِ.

وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صِيَاْحُ ابْنِ الْأَكْوَعِ، فَصَرَخَ بِالْمَدِينَةِ: الْفِرْعُ الْفِرْعُ! فَتَرَامَتِ الْخِيُولُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفِرْسَانِ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو، ثُمَّ عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ وَفُقْشٌ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ، وَمُحَرِّزُ بْنُ نُضْلَةٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَأَبُو عَيَّاشٍ عُيَيْدُ بْنُ زَيْدٍ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، ثُمَّ قَالَ: اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى الْفَكِّ بِالنَّاسِ.

وَلَمَّا تَلَاَحَقَّتِ الْخَيْلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، حَبِيبُ بْنُ عَيْنَةَ بْنُ حَصْنٍ، وَغُشَّاهُ بَرْدَةَ، ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ.

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا حَبِيبٌ مَسْجُوعٌ يَبْرُدُ أَبِي قَتَادَةَ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ وَقَالُوا: «قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعُ عَلَيْهِ بَرْدَهُ لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ.

وَأَدْرَكَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ أُوْبَاراً وَابْنَهُ عَمْرٍو بْنَ أُوْبَارٍ، وَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ، فَانْتَظَمَهُمَا بِالرَّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعاً، وَاسْتَنْقَدُوا بَعْضُ اللَّقَاحِ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ، وَتَلَاَحَقَ بِهِ النَّاسُ، فَتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْماً وَلَيْلَةً. وَقَالَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ سَرَحْتَنِي فِي مَائَةِ رَجُلٍ لَاسْتَنْقَذْتُ بَقِيَّةَ السَّرْحِ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْهُمْ الْآنَ لَيُغَبِّقُونَ فِي غُطْفَانٍ^(١).

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فِي كُلِّ مَائَةِ رَجُلٍ جُزْواً وَأَقَامُوا عَلَيْهَا. ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلاً حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةُ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبِيرَ، فَلَمَّا فَرَعَتْ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّانِي اللَّهُ عَلَيْهَا! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بَشْ مَا جَزَيْتِيهَا إِنْ حَمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكَ بِهَا ثُمَّ تَنْحَرِينَهَا! إِنَّهُ لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيهَا لَا تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

(١) يَغَبِّقُونَ: يَسْقُونَ الْغُبُوقَ، وَهُوَ اللَّبَنُ يَشْرَبُ فِي الْعَشِيِّ.

غزوة بني المصطلق^(١)

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة، في شعبان سنة ست

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه.

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كعب بن عوف، يقال له هشام بن ضبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهمي على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهمي: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبدالله بن أبي بن سلول - وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حدث - فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابب قريش^(٢) إلا كما قال الأول: سَمْنُ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعرض منها الأذل ! ثم أقبل على مَنْ حَضَرَهُ من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم ! وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم !

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مَرُّ به عَبَادُ بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها. فارتحل الناس.

وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال ولا تكلمت به ! وكان في قومه شريفاً

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع.

(٢) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين.

عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهّم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل! حدّثاً على ابن أبي بن سلول، ودفعاً عنه.

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحّت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها! فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأني صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز! ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى، وليلتهم حتّى أصبح، وصدر يومهم ذلك، حتّى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا ممسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس بالحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتّى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له بقاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح آذتهم وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بني قينقاع - وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفياً للمنافقين - مات في ذلك اليوم.

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى لله بأذنه. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمروني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرز ما كان لها من رجل أبرّ والده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: بل نترقّ به ونُحسّن صحبته ما بقي معنا.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعتفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما

واللّٰهُ لو قتلته يوم قلت لي اقلته لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال عمر : قد واللّٰهُ علمتُ لأمر رسول اللّٰهِ ﷺ أعظمُ بركةً من أمري .

وقدِم مقيس بن صُبابَة من مَكَة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسول اللّٰه ، جئتكَ مسلماً ، وجئتكَ أطلب دية أخي ، قُتل خطأ ! فأمر له رسول اللّٰه ﷺ بدية أخيه هشام بن صُبابَة ، فأقام عند رسول اللّٰه ﷺ غير كثير ، ثم غدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مَكَة مرتداً . وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس^(١) ، وقُتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين : مالكاُ وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحر ، أو أحيمر .

وكان رسول اللّٰه ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فشا قسمه في المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، زَوْج رسول اللّٰه ﷺ .

قالت عائشة : لما قسم رسول اللّٰه ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جُويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبتَه على نفسها ، وكانت امرأة حلوةً مَلّاحة^(٢) ولا يراها أحدٌ إلّا أخذت بنفسه ، فأنت رسول اللّٰه ﷺ تستعينه في كتابتها ، فواللّٰه ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها ، وعرفت أنه سيري منها رسول اللّٰه ﷺ ما رأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول اللّٰه ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قوم ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك ، فوَقَعْتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبتَه على نفسي ، فجئتكَ أَسْتَعِينُكَ على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول اللّٰه ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول اللّٰه . قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول اللّٰه ﷺ قد تزوج جُويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار ، فقال الناس أصهار رسول اللّٰه ﷺ . وأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتقُ بتزويجي إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق . فلما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها .

وعن يزيد بن رومان : أن رسول اللّٰه ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، فلما سَمِعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول اللّٰه ﷺ فأخبره أن القوم قد هُموا بقتله ومنعوه ما قَبِلَهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى

(١) قال ابن هشام : « وكان شعار المسلمين يوم بني » (٢) أي شديدة الملاحه .

المصطلق : يا منصور ، أمت ، أمت .

هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم . فبينما هم على ذلك قديم وفداهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤذي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً^(١) ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك .

فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك ، في غزوة بني المصطلق سنة ست

عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

وكان النساء إذا ذاك إنما يأكلن العُلُق^(٢) لم يهيجهنّ^(٣) اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملوني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزْعُ ظَفَار^(٤) ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمس في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحلون

(٣) الهيج : الورم . هيجه تهييجاً : ورمه .

(١) انشمر : جد وأسرع .

(٢) العلق : جمع علقه ، بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الخرز : وطفار : مدينة باليمن قرب صنعاء .
(٤) الجزع : الخرز .

الطعام .

لي البعير^(١)، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب. قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي، فوالله إنني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما راني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، طعينة رسول الله ﷺ ! وأنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلقتك يرحمك الله؟ فما كلمته. ثم قرب البعير فقال: اركبي. واستأخر عني. فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج^(٢) العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قديمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة^(٣)، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أني أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي^(٤) تمرّضني قال: كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك، حتى وجدت^(٥) في نفسي فقلت: يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني؟ قال: لا عليك.

قالت: فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نَقَهْتُ من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة.

وكنا قوماً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفَّ التي تتخذها الأعاجم، نعاها ونكرهاها، إنما كنا نذهب في فُسْح المدينة، وإما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها^(٦)، فقالت: تعس مسطح! قالت: بش لعمرك الله ما قلت لرجلٍ

(٤) اسمها زينب بنت عبد دهمان، فيها قال ابن هشام.

(٥) الوجع: الحزن.

(٦) المرط: الكساء.

(١) رحل البعير: وضع عليه الرحل.

(٢) ارتعج: تحرك واضطرب.

(٣) الشكوى: المرض.

من المهاجرين قد شهد بديراً ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(١) كبدي ، وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنية ، خفصي عليك الشأن^(٢) ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها^(٣) .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، يقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي » .

قالت : وكان كثير ذلك^(٤) عند عبد الله بن أبي بن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح وخمته بنت جحش . وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني^(٥) في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً . وأما حمّة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ! فقام سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً . فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين !

قالت : وتساوّر الناس^(٦) حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ،

(٤) كبر ذلك ، أي معظم ذلك الإثم .

(٥) المناصاة : المساواة .

(٦) تساوّر : تواءموا .

(١) يصدع : يشق .

(٢) أي هوني عليك الأمر .

(٣) أي كثروا القول فيها والعت عليها . ويروى :

« كبرن من الكبر وهو الإثم . »

ونزل رسول الله ﷺ (١) ودخل عليّ، فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى عليّ خيراً وقاله ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً، وهذا الكذب والباطل ! وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله، إنّ النساء لكثير، وإنك لقادرٌ على أن تستخلف، وسلّ الجارية فإنها تصدّقك.

فدعا رسول الله ﷺ بُريرة (٢) ليسألها، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً وقال: اصدّقي رسول الله ﷺ. فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلاّ أنّي كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله !

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة، إنه كان ما بلغك من قول الناس فاتّقي الله، وإن كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده ! فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي (٣) حتى ما أحسّ منه شيئاً، وانتظرت أبواي أن يجيئا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلّما ! وإيم الله لأنّا كنت أحقرّ في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآنٍ يُقرأ به في المساجد ويصلّى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم الله من براءتي، أو يخبر خيراً، فأما قرآن يُنزل في فوالله لنفسي أحقر عني من ذلك !

فلما لم أر أبواي يتكلمان قلتُ لهما: ألا تحييان رسول الله ﷺ ؟ فقالا: والله ما ندرى بماذا نجيبه. ووالله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام !

فلما أن استعجما عليّ (٤) استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله ممّا ذكرت أبداً ! والله إنّّي لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس والله يعلم أنّي منه بريئة لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني.

قالت: ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾. فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجّيتُ بثوبه ووَضَعْتُ له وسادةً من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ فوالله ما فرعتُ ولا باليت، قد عرَفْتُ أنّي بريئة، وأن الله عزّ وجلّ غير ظالمي. وأما أبوي فوالذي نفسُ عائشة بيده ما سُرّي عن

(١) أي من علي النخعي.

(٢) قلص: ارتفع وأمسك.

(٣) استعجم: لم ينطق.

(٤) بريرة: مولاة عائشة.

رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما، فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس .
 قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان^(١) في يوم
 شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك .
 قلت: بحمد الله !

ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم
 أمر بمسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحنّة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة،
 فضربوا حذهم .

قال ابن إسحاق، عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له
 امرأته أم أيوب، أسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنتِ يا أم
 أيوب فاعلة ؟ قالت: والله ما كنت لأفعله . قال: فعائشة والله خير منك !

قالت: فلما نزل القرآن ذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال
 تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
 مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - وذلك حسان بن ثابت
 وأصحابه الذين قالوا ما قالوا - ثم قال تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه .

ثم قال: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتْكِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاحِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا
 وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر، وكان يُنفق على مسطح
 لقربته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال
 لعائشة وأدخل علينا .

قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي
 الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُغْفَوْا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فقال أبو بكر: بلى والله إنّي لأحبُّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى
 مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه .

(١) الجمان: حب كالدر يصنع من الفضة .

لقد ذاق حسان الذي كان أهله
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وآذوا رسول الله فيها فجلبلوا
وضبت عليهم محصداً كأنها
وحنة إذ قالوا هجيراً، ومسطح^(١)
وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا^(٢)
نحازي تبقى غمموها وقضحوا
شايب قطر من ذرى المزن تسفح^(٣)

أمر الحديفة في آخر سنة ست

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً^(٤) واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا : أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدي^(٥) ، وأحرّم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان^(٦) لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٧) ، وقد نزلوا بذى طوى^(٨) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم^(٩) . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(١٠) ! ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ وإن رجلاً من بني أسلم قال : أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقاً وعراً أجراً^(١١) بين شعاب ، فلما خرجوا

- (١) المحجر: الحجر ، والقول الفاحش القبيح .
- (٢) الرجم: القول بالظن . أترحوا: أترحوا .
- (٣) المحصداً: السياط المحكمة القتل الشديدة .
- (٤) الشايب: جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر الذرى: الأعالي . المزن: السحاب . تسفح: تسيل .
- (٥) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ثيلة بن عبد الله الليثي .
- (٦) عسفان: منهل من مكة على مرحلتين .
- (٧) العوذ: جمع عائد ، وهي الحديفة التاج من الإبل .
- (٨) بذوات الألبان من الإبل لينزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً .
- (٩) كراع الغميم: موضع قرب مكة .
- (١٠) السالفة: صفحة النعق .
- (١١) الأجر: الكثير الحجارة .

منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرضٍ سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه. فقالوا ذلك. فقال: والله إنها للخطئة^(١) التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها.

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظَهري الحمض، في طريقٍ تخرجهم على ثنيةٍ المَرار، فهبط الحديبية من أسفل مكة.

فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيلُ قريشِ قَتْرَةَ الجيش^(٢)، قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش. وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المَرار بركت ناقته، فقالت الناس: خَلَّتْ^(٣) الناقة. قال: ما خلأت، وما هو لها بخُلُق، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة. لا تدعوني قريشُ اليوم إلى خُطَّةٍ يسألوني فيها صلَّةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا. قيل له: يا رسول الله، ما بالوادي ماءٌ نَزَلَ عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القُلُب^(٤) فغرز في جوفه، فجاش بالروء^(٥) حتى ضرب الناس عنه بَعَطَن^(٦).

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُذَيْلُ بن ورقاء الخزاعي في رجالٍ من خزاعة، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً عما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت.

فاتهموهم وجبهوهم^(٧) وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب.

وكانت خزاعة عِيَّةً نصح^(٨) رسول الله ﷺ، مسلمها ومشرکها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وقولوا خطئة﴾، ومعناه: (٥) جاش: ارتفع. الرواء: الكثير.
الهم حط عنا ذنوبنا.
(٦) العطن: مبرك الإبل حول الماء.
(٧) جبهه: خاطبه بما يكره.
(٨) أي خاصته وأصحاب سره.
(٢) القتر: الغبار.
(٣) خلأت: بركت ولم تنهض.
(٤) القليب: البئر.

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجلٌ غادر . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة - أو ابن زبان - وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتأهلون^(١) ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي^(٢) في قلانده^(٣) ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن تحله^(٤) ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ، إعظماً لما رأى . فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعراي لا علم لك . فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أئصد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس^(٥) ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٦) لتفضها بهم^(٧) ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٨) ، قد لبسوا جلود النمرور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنة أبداً . وإيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ! وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يدك قد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها .

ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك ! فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة . قال : أي غدر ، وهل غسلت سوءتكم إلا بالأمس^(٩) ، فكلمه رسول

(١) يتأهلون : يتعبدون ويعظمون الله .

(٦) بيضة الرجل : قبيلته وعشيرته

(٧) تفضها : تكسرها .

(٨) انظر ما سبق في صفحة ١٧٦ .

(٩) قال ابن هشام أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قبل

إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، =

(٢) عرض الوادي : جانبه .

(٣) القلادة : ما يعلق في عنق الهدى إعلماً له .

(٤) المحل : الموضع الذي ينحرفه من الحرم .

(٥) الأوشاب : الأخلاط .

اللَّهُ ﷺ بنحوٍ مما كُلِّمَ به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يرياً . حرباً .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوصلاً إلا وابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئتُ كسرى في ملكه ، وقيصراً في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيتُ ملكاً في قومٍ قطُّ مثل محمد في أصحابه ! وقد رأيتُ قوماً لا يُسلمونه لشيءٍ أبداً ، فَرَوْا رأيكم .

وإن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له : « الثعلب » ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله . ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحدٌ يميني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقى أبا بن سعيد بن العاص ، حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطفت . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتِل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتِل : لا نبرح حتى نناجز القوم .

= فتهايج الحيان من ثقيف ، بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .
فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .
فبايع رسول الله ﷺ الناس^(١) ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجذ بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة ، قد ضبا إليها^(٢) يستتر بها من الناس .
ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

أمر الهدنة (صلح الحديبية)

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا غنوة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وذب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ، قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية^(٣) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه^(٤) فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني .

فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة (٣) الدنية : الذل والأمر الخسيس .
الرضوان أبو سنان الأسدي .
(٢) ضبا إليها : لصق بها واستتر .
(٣) أي الزم أمره . والغرز للرجل ، بمنزلة الركاب .
(٤) للسر .

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب «باسمك اللهم». فكتبها.

ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ بن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقتلك، ولكن اكتب: اسمك واسم أبيك. فقال: رسول الله ﷺ: اكتب:

«هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ﷺ بن عمرو. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يرده عليه. وإن بيننا غيبة مكفوفة^(١). وإنه لا إسلال ولا إغلال^(٢). وإنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه».

فوثّبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمنا بها ثلاثاً، معك سلاح الرّاكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها.

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ؛ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا، وهم يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه^(٣)، ثم قال: يا محمد، قد لجّت القضية^(٤) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت. فجعل يثّره^(٥) بتليبيه ويحمره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرّد إلى المشركين يفتنوني في ديني! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك

(١) أصل الغيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع. مكفوفة: أخرجت على ما فيها وأقفلت. ضرب ذلك مثلاً

للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه.

(٢) لجّت القضية: تم الحكم.

(٣) بتليبيه: جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بحره.

(٤) لجّت القضية: تم الحكم.

(٥) نثره: جذبة جذباً شديداً.

وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم.

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون، وإنا دُمُ أحدهم دم كلب! ويدين عمر قائم السيف منه، يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه! ففضن الرجل بأبيه، ونفذت القضية.

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحِلِّ، وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فحره، ثم جلس فحلق رأسه، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون.

ثم انصرف رسول الله ﷺ ومن وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويؤتيك نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا﴾ أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف. يقول: محلقين رؤوسكم ومقصرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾: صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس. فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب. وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتفوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه. ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(١)

قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

(١) قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة، في

ذكر المسير إلى خيبر في المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.

عن أبي معتب بن عمرو:

أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا. ثم قال: اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. أقدموا باسم الله .

قال: وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها.

وعن أنس بن مالك قال:

كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم^(١)، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس^(٢)! فادبروا هرباً، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر^(٣)، فبني له فيها مسجد، ثم على الصهباء^(٤). ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدؤا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمجنزول رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا^(٥) يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة^(٦) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً،

(١) الساحي: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد.

(٢) الخميس: الجيش، لانتظامه خمس فرق: المينة،

(٣) العصر: موضع بينه وبين خيبر راحة.

(٤) الصهباء: ليماوتوا وينصروا.

(٥) ليظاهروا: ليماوتوا وينصروا.

(٦) منقلة: مرحلة.

ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلُّوا
بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ.

وَتَدْنَى^(١) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَمْوَالَ بِأَخْذِهَا مَالًا مَالًا، وَبِفَتْحِهَا حَصْنًا حَصْنًا. فَكَانَ
أَوَّلَ حَصُونِهِمْ افْتِتْحَ حَصْنٍ نَاعِمٍ، وَعِنْدَهُ قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، أَلْقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رَحَى
فَقَتَلَتْهُ. ثُمَّ الْقَمْوَصُ حَصْنُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ سَبَايَا مِنْهُمْ صَفِيَّةُ
بِنْتُ حُجَيْبٍ بْنُ أَخْطَبٍ - وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ - وَبَنَتْ عَمَ لَهَا،
فَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ.

وَكَانَ دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ، فَلَمَّا اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ
أَعْطَاهَا ابْنَتَيْ عَمَّهَا. وَفُتِشَتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَصُونِهِمْ مَا افْتَتَحَ، وَحَازَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا حَازَ انْتَهَوْا إِلَى
حَصْنِهِمْ: الْوُطَيْحِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ آخِرَ حَصُونِ خَيْبَرَ افْتِتَاحًا. فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِضْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

وَخَرَجَ مَرْحَبُ الْيَهُودِيِّ مِنْ حَصْنِهِمْ قَدْ جَمَعَ سِلَاحَهُ، يَرْتَحِزُ وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْيَ مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلُ مَجْرُبُ^(٢)
أَطْعُنْ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تُحَرَّبُ^(٣)
إِنْ هَمَّيْ لِلْجَمَى لَا يُقَرَّبُ

وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَأُجَابُهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْيَ كَعْبُ مَفْرَجُ الْغُمَى جَرِيءُ صُلْبُ^(٤)
إِذْ شُبْتُ الْحَرْبَ تَلْتَهَا الْحَرْبُ مَعِيَ حُسَامُ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ^(٥)
نَطَوُكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ نُعْطِي الْجِزَاءَ أَوْ يَفِيءُ النَّهْبُ
بَكَفٍّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتَبُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا
وَاللَّهِ الْمُتَوَرِّثُ النَّائِرُ. قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ. قَالَ: فَقُمْ إِلَيْهِ. اللَّهُمَّ أَعْنِهِ عَلَيْهِ.

(٤) الغمى: الشدة والكره.

(٥) العقيق: شعاع البرق.

(١) تدنى: أخذ الأدنى فالأدنى.

(٢) الشاكي السلاح: التام السلاح الحديده.

(٣) تحرب: أي مغنبة.

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية^(١) من شجر العُشر^(٢) فجعل أحدهما يلود بها من صاحبه، كلما لاذ بها اقتطع صاحبه سيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منها لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن. ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه فأتقاه بالدُرقة، فوق سيفه فيها، فعصت به فأمسكته. وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز؟ فرغم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله! قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله! فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير.

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال:

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جُهد. ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جُهد. فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفارار. فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمَد، فتقل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك!

يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح^(٣)، يهرول هرولة، وأنا خلفه يتبع أثره، حتى ركب رأيته في رَضْم^(٤) من حجارة الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. يقول اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى! فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم: الوطيح والسُلام، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم^(٥)، وأن يحقن لهم دماءهم. ففعل - وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق، ونطاة، والكتيبة، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين - فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويحلوا له الأموال، ففعل.

وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِيصة^(٦) بن مسعود، أخو بني

(١) عمرية: قديمة

(٤) الرضم: الحجارة المتجمعة.

(٢) العشر: شجر أملس ضعيف العود.

(٥) يسيرهم: يخرجهم ويجلبهم عن بلدهم.

(٣) يأنح: أي به نفس شديد من الإغياة في العدو.

(٦) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٤١.

حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف. وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أننا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيثاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية^(١)، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع. فأكرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسفها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ. فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني إنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر. فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جلتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها، أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: اللهم احفظ أبا أيوب، كما بات يحفظني!

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي فصلّى ما شاء الله عز وجل أن يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مس الشمس.

(١) المصلية: المشوية.

وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله، أخذ بنفسِي الذي أخذ بنفسك. قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾.

وكان رسول الله ﷺ، فيما بلغني، قد أعطى ابن لقيم العَبْسِيَّ حين افتتح خيبر، ما بها من دَجاجة أوداجن^(١)، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لقيم العَبْسِيَّ في خيبر:

رُمِيَتْ نَطَاطَةٌ مِنَ النَّبِيِّ بِفَيْلَقٍ شِبْهَاءَ ذَاتِ مَنَاقِبٍ وَفَقَارٍ^(٢)
وَأَسْتَيْقَنْتَ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسَطْهَا وَغِفَارٍ^(٣)
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرُو بْنِ زُرْعَةَ عُدُوَّةٍ وَالشُّقُّ أَظْلَمَ أَهْلَهُ بِنَهَارٍ^(٤)
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّبُولُ فَلَمْ تَدْعُ إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ^(٥)
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خِيْلِهِمْ مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي النَّجَارِ^(٦)
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيْمَاهُمْ فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يُنَوِّا لِفِرَارٍ^(٧)
وَلَقَدْ عَلِمْتَ لِيْغْلِيَنَّ مُحَمَّدٌ وَلِيْشَوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ^(٨)
فَرَّتْ يَهُودٌ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَى تَحْتَ الْعِجَاجِ غَمَائِمُ الْأَبْصَارِ^(٩)

قدوم جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام:

عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب قَدِمَ على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبِلَ رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيها أنا أسرُّ، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟

قال ابن إسحاق:

-
- (١) الداجن: ما يَأْلَفُ بيوت الناس، كالشاة والحمامة.
(٢) نطاة: حصن بخيبر. الفيلق: الكتية. الشبهاء: البيضاء، الكثيرة السلاح.
(٣) شيعت: فرقت. أسلم وغفار: قبيلتان.
(٤) الشق: حصن بخيبر.
(٥) الأبطح: المكان السهل.
(٦) قبيلتان من الأنصار وفي البيت إقواء.
(٧) المغفر: ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب.
(٨) ليشوين: ليقمين. أصفار: جمع صفر، وهو اسم الشهر الذي فتحت فيه.
(٩) فرت: كشفت، كما تفر الدابة عن أسنانها. وغمائم: الأبصار، أراد بها الجفون.

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية :

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، ومعيقيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على مال المسلمين، وأبو موسى الأشعري .

ومن بني أسد العزى : الأسود بن نوفل بن خويلد .

ومن بني عبد الدار بن قصي : جهم بن قيس .

ومن بني زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص، وعتبة بن مسعود .

ومن بني تميم بن مر : الحارث بن خالد بن صخر .

ومن بني جحج بن عمرو : عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بني سهم بن عمرو : حمية بن الجزء .

ومن بني عدي بن كعب : معمر بن عبد الله بن نضلة .

ومن بني عامر بن لؤي : أبو حاطب بن عمرو، ومالك بن ربيعة .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط ،

وقد كان حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين . فجميع من قديم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً . وجميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين أربعة وثلاثون رجلاً .

عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خير أقالم بها شهري ربيع وجماديين، ورجبا وشعبان، ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه .

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ،

مكانَ عمرته التي صدّوه عنها، وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهٍ وشدة.

قال ابن عباس:

صَفُّوا له عند دار الندوة، لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه^(١) وأخرج عضده اليمنى ثم قال: رحم الله امرأة أراهم اليوم من نفسه قوة! ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واروه البيت منهم واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود. ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما.

وعنه أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام. وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حُويطب بن عبد العزى في نفرٍ من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك^(٢) فاخرج عنا. فقال النبي ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأعروست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه! قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا.

فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع موله على ميمونة حتى أتاه بها بسرف^(٣) فبنى رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف إلى المدينة.

قال ابن هشام: فأنزل الله عز وجل - فيها حدثني أبو عبيدة:

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ تَتَحاً قَرِيباً﴾.

(١) اضطجع: أدخل رداءه من تحت إبطه الأيمن، وجعل طرفه على منكبيه الأيسر فبدا بذلك أحد ضيعيه. والضيع يسكون الباء: وسط العضد بلحمه.
(٢) أي الأجل الذي اتفق عليه في صلح الحديبية، وهو ثلاثة أيام.
(٣) سرف: موضع قرب التنعيم.

غزوة مؤتة^(١) في جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها^(٢) بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرًا وشهرَي ربيع. وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام، الذين أصيبوا بمؤتة، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فبعد الله بن رواحة على الناس.

فتجهز الناس ثم تهبوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما خصر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حُب الدنيا، ولا صَبَابَةٌ بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود!

فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين! فقال عبد الله بن رواحة:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَا^(٣)
أَوْ طَعْنَةً بِيْذِي حَرَّانٍ مُّجْهِزَةً بِحَرِيَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبْدَا^(٤)
حَتَّى يَقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا^(٥)

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِيٍّ وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مَشِيْعٍ وَخَلِيلٍ^(٦)

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقيين وهراء وبليّ مائة ألف منهم، عليهم رجل من بليّ ثم أحد إراشة، يقال له مالك بن رافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يُمددنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

(١) مؤتة: قرية من أرض البلقاء بالشام.

(٤) مجهزة: سريعة القتل. تنفذها: تخرقها.

(٥) الجلد: القبر. ويروي: «يا أرشد الله».

(٢) أي بالمدنية.

(٦) خلف السلام، أي كان السلام خلفاً.

(٣) الفراغ: السعة. والزبد: رغوة الدم.

فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ: يَا قَوْمَ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ، مَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَاَنْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِمَّا ظُهُورٌ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ.

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ.

فَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتُخُومِ^(١) الْبَلْقَاءَ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعٌ هِرَقْلَ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ، بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَى الْبَلْقَاءَ يُقَالُ لَهَا: مَشَارِفٌ، ثُمَّ دَنَا الْعَدُوُّ وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةٌ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبَّأَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا عَلَى مِيمَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ يُقَالُ لَهُ قُطَيْبَةُ بْنُ قَنَادَةَ، وَعَلَى مَسِيرَتِهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ.

ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَايَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَاطَ^(٢) فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ.

ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا أَلْحَمَهُ الْقِتَالُ^(٣) اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا^(٤)، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا حَبَاذَا الْجَنَّةُ وَاقْتَرَأُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ زَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَا قِيَّتُهَا ضِرَابُهَا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ:
أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَّعَتْ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَّعَتْ فَاحْتَضَنَهُ بِعُضْدِيهِ حَتَّى قُتِلَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَثَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ يَشَاءُ. وَيُقَالُ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَّعَهُ بِنَصْفَيْنِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

فَلَمَّا قَتَلَ جَعْفَرُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ التَّرَدَّدِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) التُّخُومُ: الْحُدُودُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ أَرْضٍ وَأَرْضٍ، (٢) شَاطَ: نَشَبَ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْ مَخْلَصًا.
(٣) الْحَمَةُ الْقِتَالُ: نَشَبَ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْ مَخْلَصًا.
(٤) اقْتَحَمَ عَنْهَا: رَمَى نَفْسَهُ عَنْهَا. عَقَرَهَا: ضَرَبَ وَاحِدَهَا: نَحَمَ.
(٢) شَاطَ: سَالَ دَمُهُ فَهَلَكَ.
قَوَائِمُهَا بِالسِّيفِ وَهِيَ قَائِمَةٌ.

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ • لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ
 إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرُّنَّةَ^(١) • مَا لِي أَرَاكَ تُكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً • هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ^(٢)

وقال أيضاً:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي نَمُوتِي • هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَبَتْ
 وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ • أَنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابنُ عَمٍّ له بِعَرَقٍ من لحم^(٣) فقال: شُدْ بهذا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ ! فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسَةً^(٤) ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ^(٥) فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ فَقَالَ: وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا !! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

ثم أخذ الرايةَ ثابت بن أقرم، أخو بني العَجْلَانِ، فقال: يا معشر المسلمين اصطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ. قالوا: أَنْتِ. قال: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فاصطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ وَحَاشَى بِهِمْ^(٦) ثُمَّ انْحَاذَ وَانْحِزَ عَنْهُ حَتَّى انصَرَفَ بِالنَّاسِ.

ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً». ثُمَّ صَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجْوهُ الْأَنْصَارِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ. ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً». ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سُرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَزْوَاراً^(٧) عَنْ سُرِيرِي صَاحِبِيهِ، فَقُلْتُ: عَمَّ هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: مُضَيًّا، وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْضَ التَّرَدُّدِ ثُمَّ مَضَى.»

فلما انصرف خالد بالناس أقبلَ بهم قافلاً.

ولما دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَقِيَهُمُ الصُّبَيَّانِ يَشْتَدُونَ^(٨)،

-
- (١) اجلبوا: صاحوا واجتمعوا. الرنة: صوت فيه ترجيع شبه باليكاء.
 (٢) النطفة: الماء القليل الصافي. الشنة: السقاء البالي.
 (٣) العرق: بالفتح: العظم عليه بعض اللحم.
 (٤) انتَهَسَ: أخذ منه بغمه يسيراً.
 (٥) الحطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً.
 (٦) حاشى بهم: انحاز.
 (٧) أزواراً: ميلاً وعوجاً.
 (٨) يشتدون: يسرعون في العدو.

ورسول الله ﷺ مقبلاً مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر. فأُتي بعدد الله بن جعفر فأخذته فحمله بين يديه.

وجعل الناس يَحْثُونَ على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَار! فررتُم في سبيل الله! فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكُرَار إن شاء الله تعالى.

وكان مما بُكِّي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِشَرِّبٍ أَعْسَرُ	وَهُمْ إِذَا مَا نَوْمُ النَّاسِ مُسَهَّرُ ^(١)
لَذَكَرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً	سَفُوحاً وَأَسْبَابَ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ ^(٢)
بَلَى، إِنَّ فَقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ	وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ ^(٣)
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَدُوا	شُعُوبٌ وَخُلُفَاءُ بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعِدُنَّ اللَّهَ قَتْلَى تَتَابَعُوا	بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا	جَمِيعاً وَأَسْبَابَ الْمَنِيَةِ تَخْطُرُ ^(٤)
غَدَاةٌ مَضُوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ	إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيَّةُ أَزْهَرُ ^(٥)
أَغْرُ كُضُوءَ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	أَبِي إِذَا سَيِّمَ الظَّلَامَةَ مَجْسَرُ ^(٦)
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُوسِدٍ	بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَاءٌ مُتَكَسِّرُ ^(٧)
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهَدِينَ، ثَوَابُهُ	جَنَانٌ وَمُلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ	وَقَاءً وَأَمِراً حَازِماً حِينَ يَأْمُرُ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	دَعَائِمٌ عَزْلاً لَا يَزُولُنَّ وَمَفْخَرُ
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ	رِضَامٌ إِلَى طُودٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ ^(٨)
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ	عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمَتَخَيِّرُ ^(٩)
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ	عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يَعْصُرُ ^(١٠)
بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَوَاءُ فِي كُلِّ مَازِقٍ	عَمَّاسٌ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ ^(١١)

-
- (١) تأوَّبني: عادني. أعسر: عسير. نوم الناس: ناموا.
(٢) سفوح: سائلة غزيرة.
(٣) ويرى: وبلاء وفقدان.
(٤) تخطر: أصل معناه تختال وتهتز.
(٥) ميمون النقية: مسعود الجد. ازهر: أبيض.
(٦) سيم الظلامه: حمل على قبول الظلم. المجسر: المقدام الجسور.
(٧) المعترك: موضع الحرب.
(٨) الرضام: الحجارة. الطود: الجبل. يروق: يعلو.
(٩) البهلون: السيد الوضيء الوجه.
(١٠) يعصر: يحطر.
(١١) اللأواء: الشدة. العماس: المظلم. يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب.

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمَطْهُرُ

فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعَثِهِ إِلَى مَوْتِهِ، جمادى الآخرة ورجباً.

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ عَلَى خَزَاعَةَ، وكان الذي هاج ما بين بكرٍ وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمي يومئذٍ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً، فلما تَوَسَّطَ أَرْضَ خَزَاعَةَ عَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ، فَعَدَّتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ فَقَتَلُوهُ، فَعَدَّتْ خَزَاعَةُ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ عَلَى بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنِ الدَّبِيلِيِّ: سلمى، وكلثوم، وذؤيب، فَقَتَلُوهُمْ عِنْدَ أَنْصَابِ الْحَرَمِ^(١).

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشروطهم: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده.

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدليل من بني بكر، من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن فخرج نوفل بن معاوية الدبيلي، في بني الدليل، وهو يومئذٍ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه، حتى بيَّتَ خَزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ: ماءٍ لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا^(٢) واقتتلوا، ورفدت بنو بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك! فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم^(٣)! يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون^(٤) في الحرم، أفلا تصيرون ثأركم فيه؟!

وقد أصابوا منهم ليلةً بيَّتوهم بالوتير رجلاً يقال له «منبه»، وكان منبه رجلاً مفتوداً^(٥)، خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، فقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لمت، قتلوني أو تركوني، لقد انبت فؤادي^(٦)!

(١) أنصاب الحرم: حجارة تجعل علامة بين الحل والحرم. (٤) ويروى: «لتسرقون» بالفاء.

(٢) تحاوزوا، يعني انحاز كل منهم إلى قبيلة.

(٣) أي لا إله لنوفل، نطق بها كفراً.

(٤) انبت انبتاً: انقطع.

وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبها فقتلوه.

فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع.

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق، بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عهده وعقده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهرائي الناس، فقال:

يا رب إني ناشد محمداً	جِلَفَ أبينا وأبيه الأتلا(١)
قد كنتم ولداً وكننا والدا	ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا(٢)	وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا(٣)
في قَيْلَق كالبحر تجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا(٤)
وزعموا أن لست أدعو أحداً	وهم أذل وأقل عددا
هم يبتوننا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم!

ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان(٥) من السماء فقال: إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة. وقد قال رسول الله ﷺ للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدَّ العَقْدَ ويزيد في المدة. ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه، حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بمُصَفَّان(٦)، قد بعثته

(١) ناشد: طالب ومذكر. الأتلا: القديم.

(٢) أعتد، من العتيد، وهو الحاضر.

(٣) سيم الخسف: كلف الذل. تربد: تغير إلى السواد.

(٤) كداء: موضع بأهل مكة. رصداً: جمع راصد، وهو

(٥) العنان: السحاب.

(٦) مصفان: موضع على مرحلتين من مكة.

قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدَّ العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلَ بن ورقاء قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ. قال: تسيرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا. فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد علف بها النوى! فأنى مَبْرُك راحلته فأخذ من بعرها ففتته فوجد فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً!

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال: يا بُنَيَّة، ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ. قال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّة بعدي شر!

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه فلم يرْدْ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل! ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ^(١) لجاهدتكم به!

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسن بن علي غلامٌ يدبُّ بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رجاءً، وإنِّي قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله. فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيُجِيرَ بين الناس، فيكونَ سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قال: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك: أن يُجِيرَ بين الناس، وما يُجِيرَ أحدٌ على رسول الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسن، إنِّي أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحي. قال: والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك. قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك.

(١) الذر: صغار النمل.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجزت بين الناس.

ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟

قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا؟

قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أُجيز بين الناس، ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت؟! قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بُنية، أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز. قال: فأين تريته يُريد؟ قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجذّ والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها»^(١) في بلادها. فتجهّز الناس.

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جعلاً على أن تبليغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها^(٢) ثم خرجت به.

وأق رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذّره ما أجمعنا له في أمرهم.

فخرجا حتى أدركاها بالخلقة، خليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذِّبنا، ولتُخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك!

فلما رأت الجذّ منه قالت: أعرض. فأعرض فحلّت قرونها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه فأق به رسول الله ﷺ.

(١) نبغتها، أي تفجّوها.

(٢) القرون: الضفائر.

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلا ضربت عنقه، فإن الرجل قد نافق! فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَذَهُ ﴾ إلى آخر القصة.

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وخرج لعشر مضي من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكديد، بين عسفان وأمج، أفطر.

ثم مضى حتى نزل الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سليم، وبعضهم يقول: ألفت^(١) سليم وألفت مزينه، وفي كل القبائل عدد وإسلام. وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف عنه منهم أحد.

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد غميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل.

وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به. وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق، وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتكت عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال.

(١) سبعت: بلغت سبعائة. وألفت: بلغت ألفاً.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان يُني له، فقال: واللّه ليأذنن لي أو لاأخذن
يُنِّي هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً !

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقىّ لهما، ثم أذن لهما فدخلتا عليه فأسلما، وأنشد أبو
سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال :

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد ^(١)
لكالدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى واهدي ^(٢)
هدى بي هادٍ غير نفسي ونالني	مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأي جاهدًا عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب من محمد ^(٣)
هم ما هم من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند ^(٤)
أريد لأرضيهم ولست بلائط	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد ^(٥)
فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك غيري أو عدي ^(٦)
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً	وما كان عن جراً إلساني ولا يدي ^(٧)
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	نزاع جاءت من سهام وسردد ^(٨)

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: « ونالني مع الله من طردت كل مطرد »
ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد !

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: واصباح قريش !
والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر
الدهر !

قال العباس: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى
جئت الأراك، فقلت: لعلّي أجد بعض الخطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة، يأتي مكة
فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان
وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً.

(١) أحمل راية: أي أقود الناس للحرب. خيل اللات: (٥) لائط: ملصق.
يعني جيوش الكفر والوثنية. (٦) أوعدي، من الإيعاد.
(٢) المدلج: الذي يسير ليلاً. (٧) عن جراً: أي من جراء ذلك.
(٣) أنأي: أبعد. (٤) يفند: يكذب. (٨) سهام وسردد: موضعان في بلاد عك

ويقول بُدِيل: هذه والله خُزاعة حَمَشَتها الحرب^(١) ! ويقول أبو سفيان: خُزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها !

قال فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة ! فعرف صوتي فقال: أبو الفضل ؟ قلت: نعم. قال: مالك فذاك أبي وأمِّي ؟ قلتُ: ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، واصْبَاحَ قريش والله ! قال: فما الحيلة، فذاك أبي وأمِّي ؟ قلتُ: والله لئن ظفرك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ، فاستأمنه لك.

فركب خلفي ورجع صاحبا. فجئت به كلُّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: مَنْ هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذا ؟ وقام إلي. فلما رأى أبا سفيان على عِجْز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء. فاقترحتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه.

قلتُ: يا رسول الله، انِّي قد أجرته ! ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا ينجيه الليلة دوني رجل !

فلما أكثر عمرُ في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلاً يا عباس، فلاسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباسُ إلى رحلك، فإذا أصبحت فاتني به.

فذهبتُ به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك^(٢) أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال: بآبي أنت وأمِّي. ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعدُ ! قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال: بآبي أنت وأمِّي،

(٣) حشمتها الحرب: أحرقتها وصليت بنارها.

(١) ألم يأن لك: أي ألم يحسن لك.

ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمّا هذه وآلّه فإنّ في النفس منها حتّى الآن شيئاً ! فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، قبل أن تُضرب عنقك .

قال : فشهد شهادة الحقّ فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجلاً يحبّ هذا الفخر فاجعل له شيئاً . قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابهُ فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس احبسه بمضيّق الوادي عند خطم الجبل (١) حتّى تمرّ به جنود الله فيراها .

قال : فخرجت حتّى حبسته بمضيّق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن احبسه .

ومرّت القبائل على راياتها ، كلّها مرّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي ولسليم . ثمّ تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزيّنة . فيقول : مالي ولمزيّنة . حتّى نفذت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبي فلان ، حتّى مرّ به رسول الله ﷺ في كتيّته « الخضراء » (٢) ، فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً !! قلت : يا أبا سفيان ، إنّها النبوة . قال : فنعم إذن . قلت : النجاء (٣) إلى قومك !

حتّى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبَل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت الدّسم الأحمر (٤) ، قُبِح من طليعة القوم (٥) !

قال ، ويلكم ، لا تعرّئكم هذه من أنفسكم ، فإنّه قد جاءكم ما لا قبَل لكم به ، فمن

(١) خطم الجبل : أنف يخرج منه مضيق به طريق . (٢) الحميت : زق السم . الدسم : الكثير السوداء .

(٣) ابن هشام : إمّا قبل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها . (٤) النجاء : الإسراع .

(٥) الطليعة : الذي يجرس القوم .

دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

قالوا: قاتلك الله، وما تُغني عنا دارك ؟

قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن !

فتفرق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد.

عن عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً^(١) بشقة بُرد حَبْرَةٍ^(٢) حمراء، وإنَّ رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنَّ عُشُونَهُ ليكاد يمسُّ واسطة الرجل.

وعن أساء بنت أبي بكر قالت:

ثما وقف رسول الله ﷺ بذِي طوى قال أبو قحافة لابنِهِ من أصغر ولده: أي بنيّة، اظهري بي على أبي قبيس^(٣) - وقد كُفَّ بصره - فأشرفتُ به عليه فقال: أي بنيّة ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يديّ ذلك مُقبلاً ومدبراً. قال: أي بنيّة، ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السّواد. فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي.

فانحطت به، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته، وفي عُنق الجارية طوقٌ من ورق^(٤)، فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلاً تركت الشيخَ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه !؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

فاجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم. فأسلم.

فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثَغَامَةً^(٥) فقال رسول الله ﷺ: غَيِّروا هذا من شعره.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوقَ أختي! فلم يجبه أحد، فقال: أي أختي، احتسبي طوقك فوالله إنَّ الأمانة في الناس اليومَ لقليل !

(١) الاعتجار: التعمم بغير ذؤابة.

(٤) الطوق: القلادة. الورق: الفضة.

(٢) الشقة: النصف. والحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) الثغامة: واحدة الثغام، نبت أشد ما يكون بياضاً إذا

أحبل، يشبهون به الشيب.

(٣) اظهري بي: اصعدي. أبو قبيس: جبل بمكة.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا، إلا أنه قد عهد في نفر سَمَاهم، أمرَ بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد أخو عامر بن لؤي. وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدَّ مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرَّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأنَّ الناس وأهل مكة، فاستأمن له. فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صمتُ ليقوم إليهِ بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجلٌ من الأنصار: فهلاً أومأت إليَّ يا رسول الله؟ قال: إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة^(١).

و«عبد الله بن خَطَل»: رجل من بني تميم بن غالب. إنما أمر بقتله أنه كان مُسْلِماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً^(٢) وبعث معه رجلاً وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً. فغدا عليه فقتله ثم ارتدَّ مشركاً.

وكانت له قيتان: فَرْتَي وصاحبتهما، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلها معه.

و«الحويرث بن نُقَيْد» وكان ممن يؤذيه بمكة.

و«مِقْيَس بن صُبَابَة^(٣)»: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لقتل الأنصاري الذي كان قد قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً.

و«سَارَة»: مولاة لبني عبد المطلب.

و«عكرمة بن أبي جهل».

وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة.

(١) قال ابن هشام: ثم أسلم بعد فؤاد عمر بن الخطاب (٢) المصدق: جامع الصدقات، وهي الزكوات.

بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر. (٣) انظر جبهة أنساب العرب ١٨٢.

فأما عكرمة فهربَ إلى اليمن، وأسلمت امرأتها أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم.

وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برة الأسلمي، اشتراكاً في دمه.

وأما مقيس بن صبابه فقتله ثعلبة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مقيس في قتله:

لعمري لقد أخزى ثعلبة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تحرس^(١)

وأما قيتا ابن خطل. فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها.

وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً، في زمن عمر بن الخطاب، بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب.

عن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت:

لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرأى رجلان من أحماني من بني مخزوم - وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي - قالت: فدخل عليّ بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنها! فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جث رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشع ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليّ فقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ. فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمننا من أمنت، فلا يقتلها!

عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن^(٢) في يده. فلما قضى طوافه، دعا

(١) لم تحرس: لم يصنع لها طعام الولادة، واسمه الحرس. (٢) المحجن: عود معوج الطرف، بمسكه الراكب للبعير والخرسة، بضم الخاء. أرادت شدة الزمان. في يده.

عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف^(١) له الناس في المسجد.

قال ابن إسحاق:

فحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له: صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سداثة البيت^(٢) وسقاية الحاج.

ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب.

ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أبي فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس رسول الله في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجتمع لنا الحجابة مع السقاية صل الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له. فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء.

قال هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام يستقسم بها. فقال: قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزام^(٣)! ما شأن إبراهيم والأزام! ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾.

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

(٣) الأزام: السهام التي كانوا يستقسمون بها،

يستشيرونها في أمورهم.

(١) استكفوا: استجمعوا.

(٢) سداثة البيت: خدمته.

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة. فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سميع هذا فيسمع منه ما يغيظه! فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لا تبعته! فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى!

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: قد علمت الذي قلتم. ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبارك!

قال ابن هشام:

عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (١) إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴿﴾. فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

وحدثني من أثق به من أهل الرواية أن فضالة بن عмир الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله. قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله! فضحك النبي ﷺ ثم قال: استغفر الله. ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث. فقلت: لا. وانبعث فضالة يقول:

يا أي عليك الله والإسلام	قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
بالفتح يوم تكسر الأصنام	لو ما رأيت محمداً وقبيله
والشرك يغشى وجهه الإظلام	لرأيت دين الله أضحي بيناً

قال ابن إسحاق:

وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سليم سبعمائة، ويقول بعضهم: ألف. ومن بني غفار أربعمائة، ومن بني مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

(١) زهق: اضمحل وبطل.

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءَ مِنْزَلَهَا خَلَاءَ^(١)
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسَ قَفْرُ تَعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّيَاءُ^(٢)
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالُ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ^(٣)
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ يُوَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعَثَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(٤)
إِلَى مَا الْأَشْرِيَّاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ
نُؤَلِّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ لَحَاءُ^(٥)
وَنَشْرِبَهَا فَتَشْرِكُنَا مَلُوكًا وَأَسْدًا مَا يَنْهِنُنَا اللَّقَاءُ^(٦)
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَذَاءُ^(٧)
يَنْبَازُ عَنِ الْأَعْنَةِ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ^(٨)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ^(٩)
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالَا فَاصْبِرُوا لَجَلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهَ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجَبْرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا وَرَوْحَ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(١٠)
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَّدَقُوهُ فَقُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ . قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ^(١١)

(٥) أَلْمَنَّا: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. المغت: الضرب باليد. اللحاء: السباب.

(٦) ينهننا: يزعجنا ويردنا.

(٧) النقع: الغبار. كداء: ثنية بأعلى مكة.

(٨) الأعنة: جمع عنان، وهو اللجام. الأسل: الرماح. الظماء: الدوابل.

(٩) متمطرات: مسرعات. الخمر: جمع خمار.

(١٠) ليس له كفاء: الكفء والتظير والمثيل.

(١١) عرضتها اللقاء، أي عادت أن تتعرض للقاء، فهي قادرة عليه.

(١) عفت: تغيرت ودرست. ذات الأصابع والجواء: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني ممدوح النابغة. وعذراء: قرية على بريد من دمشق.

(٢) بنو الحسحاس: حي من بني أسد. الروامس: الرياح تطمس الآثار. السباء: المطر.

(٣) النعم: المال الراعي، وأكثر ما يطلق على الإبل. والشاء: جمع شاة.

(٤) الخبيثة: الحمر المصونة المفضون بها. بيت رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة.

لنا في كل يومٍ مع معبدٍ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوافي مَنْ هجانا
ألا أبلغُ أبا سفيانَ عني
بأنَّ سيوفنا تركتكَ عبداً
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
أتهجوه ولستَ له بكفٍ
هجوتَ مباركاً برّاً حنيفاً
أمن يهجو رسولَ الله منكم
فإنَّ أبي ووالده وعرضي
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه
وبحري لا تكذِّره الذلاء

غزوة حنين في سنة ثمان، بعد الفتح

ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النضري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجُشَمُ كلها، وسعد بن بكر، وناسٌ من بني هلال وهم قليل، ولم يشهداها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهداها منهم أحدٌ له اسم.

وفي بني جشم دريد بن الصِّمة، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمُنُ برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً. وفي ثقيف سيّدان لهم. وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب. وفي بني مالك ذو الخمار سُبَّيع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحر بن الحارث. وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النضري.

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أمواهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس^(٣) اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمة في شِجار له^(٤) يُقاد به. فلما نزل قال: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم بجبال الخيل، لا حَزَنٌ ضرس^(٥) ولا سهل دَهِس^(٦)، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء^(٧)؟ قالوا:

(١) نحكم: نمنع ونكف.
(٢) الحنيف: المسلم، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل
(٣) أوطاس: الدَّهَسُ: اللين الكثير التراب.

(٤) الشِّجار: الدَّهَسُ: اللين الكثير التراب.

(٥) الضرس: الذي فيه حجارة معدة.

(٦) الدهس: اللين الكثير التراب.

(٧) يُعار الشاء: صوته.

(١) نحكم: نمنع ونكف.
(٢) الحنيف: المسلم، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل
(٣) أوطاس: الدَّهَسُ: اللين الكثير التراب.

(٤) الشِّجار: الدَّهَسُ: اللين الكثير التراب.

(٥) الضرس: الذي فيه حجارة معدة.

(٦) الدهس: اللين الكثير التراب.

(٧) يُعار الشاء: صوته.

سأق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك. ودُعِيَ له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام! مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويغار الشاء؟ قال: سَقْتُ مع الناس أموالهم ونساءهم. قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجلٍ منهم أهله وماله ليقاتل عنهم.

فأنقَضَ به^(١) ثم قال: راعي ضأنٍ واللَّه! وهل يردُّ المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلِكَ ومالك.

ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكلاب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد. قال: غاب الجُدُّ^(٢) والجُدُّ، ولو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تُغِبْ عنه كُعبٌ ولا كلاب! ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعب وكلاب، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذاك الجُدعان^(٣) من عامر، لا ينفعان ولا يضران! يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٤) بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً. ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعُليا قومهم، ثم المَقَّ الصُّبَّاء^(٥) على مُتون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك وقد أحرزتُ أهلَكَ ومالك. قال: واللَّه لا أفعل ذلك، إنك قد كبرتُ وكبر عقلُك! واللَّه لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكننَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد بن الصِّمة فيها ذكر أو رأي - فقالوا: أطعناك. فقال دريد بن الصِّمة: هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني.

يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ^(٦) أَخْبٌ فِيهَا وَأَضَعٌ^(٧)
أَقُودُ وَطَفَاءُ الزَّمْعِ^(٨) كَأَنهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(٩)

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدُّوا شُدَّةَ رجل واحد!

(١) أنقض به، من الانقضاء، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت في حلقه، يفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل.

(٢) الجُد: الشجاعة والحدة.

(٣) الجُدع: الضعيف في الحرب، كأنه الجُدع من الإبل.

(٤) البيضة: الجماعة.

(٥) جمع صابئ، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم

خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام.

(٦) الجُدع: الشاب.

(٧) الحُجب والوضع: ضربان من السير.

(٨) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذي فوق

مربط القيد.

(٩) الشاة: الوعل. الصدع: الوسط بين العظيم

والحقير.

ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي خَرْدَةَ الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن خَدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: يا أبا أمية. أيرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدوئنا غداً. فقال صفوان: أغضباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. قال: ليس بهذا بأس!

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأل أن يكفيهم حملها، ففعل.

ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم، فكانوا اثني عشر ألفاً. واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلف عنه من الناس. ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن.

عن الحارث بن مالك قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية، فسرنا معه إلى حُنين، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرَةَ خضراء عظيمة، فتنادينا من جنّات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ قُلْتُمْ - والذي نفس محمد بيده - كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. إنها السُّنَنُ، لتركبن سنن من كان قبلكم».

عن جابر بن عبد الله قال:

لما استقبلنا وادي حُنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حَطُوط^(١) إنما ننحدر فيه انحداراً، وفي عَمَاة الصُّبْح^(٢)، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شِعَابِهِ

(١) أجوف: متسع. حَطُوط: منحدر.

(٢) عَمَاة الصُّبْح: غلامه قبل أن يتبين.

وأحناؤه^(١) ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكنائبُ قد شدّوا علينا شدّة رجلٍ واحد، وانشمرَ الناس^(٢) راجعين لا يُلوي أحدٌ على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: أين أيّها الناس هلمّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله! فلاي شيء^(٣) حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلّا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

قول ابن إسحاق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفأة أهل مَكّة الهزيمة، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وإن الأزلام^(٤) لمعه في كنانته.

وصرخ جبلة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم!

وقال شيبة بن عثمان: قلت: اليوم أدرك ثاري من محمد^(٥)! اليوم أقتل محمداً! فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله، فأقبل شيءٌ حتى تغشّى فؤادي فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني.

وحديثي بعض أهل مَكّة أن رسول الله ﷺ قال حين فصلَ من مَكّة إلى حنين، ورأى كثرةَ من معه من جنود الله: لن نُغلبَ اليومَ من قلة!

عن العباس بن عبد المطلب قال:

إني لمع رسول الله ﷺ آخذٌ بحكمة^(٦) بغلته البيضاء، قد شجرتها^(٧) بها، وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس: أين أيّها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السّمة. قال: فأجابوا: لبيك لبيك!

فيذهب الرجل لشيئٍ بغيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بغيره ويخجل سبيله، فيؤمُّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ،

(١) الأحناء: الجوانب.

(٥) كان أبوه قد قتل يوم أحد.

(٢) انشمروا: انفضوا وانهزموا.

(٦) الحكمة: اللجام.

(٣) أي لشيء عظيم.

(٧) شجرها بها: وضعها في شجرها، وهو بمنع

(٤) الأزلام: السهام التي كانوا يستقسمون بها ويخضعون

للحين.

لحكمها.

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا .

وكانت الدعوى أوَّل ما كانت : يا لأنصار ! ثم خَلَصَتْ أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صَبْرًا عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه ، فنظر إلى مجتَلِد القوم ^(١) وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حَمِي الوطيس ^(٢) !

عن جابر بن عبد الله قال :

بينما ذلك الرجل من هوازن ، صاحبُ الراية ، على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هَوَى له علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانه ، فبأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضربَ عرقوبَيَ الجملِ فوقعَ على عَجْزِهِ ، ووثبَ الأنصاريُّ على الرجلِ فضربه ضربةً أَطْنُ قَدَمَهُ ^(٣) بنصف ساقه ، فأنجعف ^(٤) عن رحله ، واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله ﷺ .

والتفتَ رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ؛ وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخِذٌ بِثَقَرِ بَغْلَتِهِ ^(٥) ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابنُ أُمِّك يا رسول الله !

عن عبد الله بن أبي بكر :

أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أُمَّ سُلَيْم بنتِ مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمةٌ وَسَطُهَا يَبْرِدُ لها ، وإنها لحاملٌ بعبد الله من أبي طلحة ، ومعها جملُ أبي طلحة ، وقد خشيتُ أن يعزَّها الجمل ^(٦) ، فأدنتُ رأسه منها ، فأدخلتُ يدها في خِزَامَتِهِ ^(٧) مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أُمُّ سُلَيْم . قالت : نعم ، بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ! فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يا أُمُّ سُلَيْم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أُمُّ سُلَيْم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مِنِّي أحدٌ من المشركين يَعْجُثْته به ^(٨) . يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يا رسول الله ما تقول الرُّمِصَاءُ ^(٩) !

(١) مجتلد القوم : موضع جلادهم بالسيوف ، حيث تكون

المعركة .

(٢) الوطيس : المعركة ، وهي كلمة لم تسمع إلا من

الرسول .

(٣) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوي .

(٤) أنجعف : سقط سريعاً .

(٥) الثفر : السبر في مؤخر السرج .

(٦) يعزها : يغلبها .

(٧) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

(٨) بيعج بطنه بالسكين : شقه وخضعضه فيه .

(٩) مصغر الرمصاء : من الرمص ، وهو القذي يكون في العين .

عن أبي قتادة قال :

رأيت يومَ حنينَ رجلينِ يقتتلانِ : مسلماً ومشرکاً، وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعين صاحبه المشركَ على المسلم، فأتيته فضربت يده ففقطعتها، واعتقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدتُ ريحَ الدم، وكاد يقتلني، فلولا أن الدم نَزفه لقتلني، فسقط فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال^(١)، ومرَّ به رجلٌ من أهل مَكَّة فسلمه. فلما وضعت الحربُ أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ». فقلت: يا رسول الله والله لقد قتلْتُ رجلاً ذا سلبٍ، فأجهضني عنه القتال فما أدري مَنْ استلبه؟ فقال رجلٌ من أهل مَكَّة: صدق يا رسول الله، وسَلَبُ ذلك القَتيل عِندي، فأرضه عني مِنْ سَلْبِهِ. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا والله، لا يُرضيه منه، تَعِمِدُ إلى أسدٍ من أسدِ الله يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه؟! أرددُ عليه سَلَبَ قَتيلِهِ. فقال رسول الله ﷺ: صدق، ارددْ عليه سَلْبِهِ.

قال أبو قتادة :

فأخذتهُ منه فبعته فاشتريتُ بـمِمنه نَحْرَفاً^(٢)، فإنه لأوَّلُ مالٍ اعتقدتهُ^(٣).

قال ابن إسحاق :

فلما انهزمت هوازن استحرَّ^(٤) القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهُم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب وكانت رايتهُم مع ذي الحِمار^(٥)، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل بها حتى قُتل.

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهُم مالك بن عوف، وعسكرَ بعضهم بأوطاس، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعَ خيلُ رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبَل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه، فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم.

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية^(٦) من الطريق

(١) أجهضني عنه : شغلني وضيق علي وغلبني . (٣) اعتقدته، أي ملكته . (٤) استحر : اشتد .

(٢) المخرف : نخلة واحدة، أو نخلات يسيرة إلى عشر . (٥) ذو الحمار، هو عوف بن الربيع .

وما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة . (٦) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتحلق أخراكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون^(١) عليها، فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرك خالداً فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً^(٢).

وإن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتكنكم، وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشياء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق، فقالت للمسلمين: تعلموا والله إنى لأخت صاحبكم من الرضاعة! فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

فلما انتهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، إنى اختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك^(٣). فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال: إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتك^(٤) وترجعي إلى قومك فعلت. فقالت: تمتعني وتردني إلى قومي. فمتعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها.

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت إحداهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية.

قال ابن هشام:

وأُنزل الله عز وجل في يوم حنين: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ إلى قوله: ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

قال ابن إسحاق:

ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعراة فحُبست بها.

(١) متقصفون: مزدحمون.

(٣) توركته: حملته على وركها.

(٢) العسيف: الأجير والعبد المستعان به.

(٤) أمتك: أعطيك ما يكون به التمتع، أي الانتفاع.

غزوة الطائف في سنة ثمان

ولما قدم قلٌّ ثقيف^(١) الطائف أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال . ولم يشهد حُنيئاً ولا حصار الطائف عُروة بن مسعود، ولا غيلان بن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدَّبَابات^(٢) والمجانيق^(٣) والضُّبور^(٤).

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى الطائف:

قُضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ	وخيَّرَ ثم أجمعنا السيوف ^(٥)
نُخَيَّرَهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ	قَوَّاطِعُهُنَّ، دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنَا السُّوفَا
وَنَسْتَزِعُ الْعُرُوشَ بَيْطُنَ وَجٍّ	وَتَصْبَحُ دَارُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفًا ^(٦)

فسلك رسولُ الله ﷺ على نخلة اليمانية، ثم على قرْن ثم على المَلِيح، ثم على بُحرة الرُّغَاء من لَبَّة^(٧) فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه، ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْفَةُ، ثم خرج منها على نَحْبٍ حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها: «الصادرة» قريباً من مال رجلٍ من ثقيف، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ: إما أن تخرج وإما أن نُخَرَّبَ عليك حائطك. فأبى أن يخرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بإخراجه.

ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره^(٨) فقتل به ناسٌ من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم. فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصره بضعاً وعشرين ليلة، ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية، فضرب لهما قَبَتَيْنِ ثم صلَّى بين القَبَتَيْنِ. ثم أقام فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلَّى رسولِ الله ﷺ عمرو بن أمية بن

(١) الغل: الجماعة المنهزمون. (٢) الدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها. (٣) جمع منجنیق، وهي من آلات الحصار، يرمي بها بالحجارة الثقيلة ونحوها. (٤) الضبور: مثل رؤوس الأسفاط، يتقي بها في الحرب عند الإنصراف. (٥) الرب: الشك. أجمعنا السيوف: ارجعناها. (٦) العروش: سقف البيوت. وج: موضع بالطائف. خلوف: تغيب عنها أهلها. (٧) قرْن، ومليح، وبحرة الرُّغَاء، ولية: مواضع بالطائف. (٨) أي نصب الخيام للجنود.

وهب مسجداً، وكانت في ذلك المسجد ساريةً فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِعَ لها نقيض^(١)، فحاصروهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل^(٢).

حتى إذا كان يومُ الشُّدْحَةِ عند جدار الطائف، دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابه، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سيكك الحديد محماةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون.

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لابي بكر الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً: يا أبا بكر، إني رأيت أني أهديت لي قعبة^(٣) مملوءةً زبداً، فنقرها ديكٌ فهُرِّاقٌ ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يوماً هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

ثم إن خويله بنت حكيم السلمية، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله. أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غيلان أو حلي الفارغة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف^(٤) - فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويله؟ فخرجت خويله فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حدثتُ حَدَّثْتَنِي خويله زَعَمَتْ أنك قلته؟ قال: قد قلته. قال: أو ما أُذِنَ لك فيهم يا رسول الله؟ قال: لا. قال: أفلا أُؤْذِن بالرحيل؟ قال: بلى. قال: فأذِّنْ عمر بالرحيل.

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عبيد: ألا إن الحَيَّ مقيم.

ويقول عيينة بن حصن: أَجَلٌ وَاللَّهِ مَجْدَةٌ كَرَاماً. فقال له رجلٌ من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله؟ فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتطبخها، لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قومٌ مناكير^(٥).

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد، فأسلموا فاعتقهم

(١) النقيض: الصوت.

(٢) قال ابن هشام: «ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق».

(٣) القعبة: القدح.

(٤) أي من أكثرهن حلياً.

(٥) مناكير: ذوو دهاء وفطنة.

حدثني من أتق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف.

رسول الله ﷺ .

ولما أسلم أهل الطائف تكلم نفرٌ منهم في أولئك العبيد . فقال رسول الله ﷺ : « لا ، أولئك عتقاء الله » .

وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كَلْدَة .

وجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً : سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجلٌ من ليث .

فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَيْر بن زهير بن أبي سلمى يذكر حُنيئاً والطائف :

كَانَتْ عِلَالَةً يَوْمَ بَطْنِ حُنيئٍ	وَعَدَاةٍ أوطاسٍ وَيَوْمَ الأبرقِ ^(١)
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازُنْ جَمْعَهَا	فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ التَّمْزِقِ ^(٢)
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً	إِلَّا جَدَارَهُمْ وَبَطْنَ الحَنْدِقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمًا يَخْرُجُوا	فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِسَابِ مَغْلَقِ
تَرْتَدُّ حُسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ	شَهَاءٍ تَلْمَعُ بِالنَّيَا فِيلِقِ ^(٣)
مَلْمُومَةٌ خَضِرَاءُ لَوْ قَذَفُوا بِهَا	حَصْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَخْلِقِ ^(٤)
مَثَى الضَّرَاءِ عَلَى المَرَّاسِ كَأَنَّا	قُدْرُ تَفَرَّقُ فِي القِيَادِ وَتَلْتَقِي ^(٥)
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنْتِ	كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ المَتَرَفِقِ ^(٦)
جُذُلٌ تَمْسُ فُضُوءَهُنَّ نَعَالُنَا	مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَآلِ عَمْرُقِ ^(٧)

أمر أموال هَوَازُنَ وسبَايَاها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله ﷺ فيها ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دُحْنَا^(٨) حتى نزل الجُعْرَانَة فيمن معه من الناس ، ومعه من هَوَازُنَ سبي كثير ، وقد قال رجلٌ من أصحابه يومَ ظَعَنَ

(١) العِلَالَة : جري بعد جري ، أو قتال بعد قتال .
حُنيئٌ : تصغير حنين .

(٢) الإِغْوَاءُ : الإِضْلَالُ . والغِي : خلاف الرشد .

(٣) حُسْرَى : جمع حُسَيْر . الرجْرَاجَة : الكتبية الضخمة .

الشهَاء : البيضاء لما فيها من لعان الحديد .

(٤) مَلْمُومَةٌ : مجتمعة خضراء ، لما بها من السلاح .

حَصْنٌ : جبل بأهل نجد .

(٥) مَثَى الضَّرَاءِ : أي في استخفاء وختل . المَرَّاس :

نبات له شوك . قدر : جمع قدور ، وهي الخيل تجعل

أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت . ويروى : «قدر»

بالفاء ، وهي الوعول المسنة .

(٦) السَابِقَة : الدرع الثامة . والنهي : الغدير من الماء .

(٧) الجُدُل : جمع جدلاء ، وهي الدرع الجيدة النسج . آل

عمرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

(٨) دُحْنَا : خلاف من مخاليف الطائف .

عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم ! فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ.

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته. فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يتخف عليك، فامنن علينا من الله عليك.

وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنا في الحظائر^(١) عماتك وخالاتك وحواضنك^(٢) اللاتي كنن يكفلنك، ولو أنا ملأنا^(٣) للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته^(٤) علينا، وأنت خير المكفولين !

فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم: أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك وأسأل لكم.

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لي رسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عبيدة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لي رسول الله ﷺ. يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهتتموني^(٥).

فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض. من أول سبي أصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم.

وقال رسول الله ﷺ لوفد من هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف. فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه

(١) الحظائر: جمع حظيرة، وهي الزرب يصنع للإبل والغنم ليكنها. وكان السبي يوضع في حظائر.
(٢) حواضنك: اللاتي أرضعنك. وكان حاضنة الرسول من بني سعد بن بكر، من هوازن.
(٣) ملأنا: أرضنا. والملح: الرضاع.
(٤) العائلة: الفضل العائد.
(٥) وهتتموني: أضعفتموني.

أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل. فَأَتَى مَالِكُ بِذَلِكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّائِفِ. وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفاً عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا قَالَ فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَهَيَّئَتْ لَهُ، وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأَتَى بِهِ إِلَى الطَّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلاً فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ، فَرَكَبَهُ حَتَّى أَتَى رَاحِلَتَهُ حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ، فَرَكَبَهَا فَلَحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَدْرَكَهُ بِالْجُعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ حِينَ أَسْلَمَ:

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله	في الناس كلَّهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى	ومتى تشأَ يُخبرك عما في غد
وإلى الكتيبة عرّدت أنسابها	بالسمهريّ وضرب كلَّ مهند ^(١)
فكأنه ليثٌ على أشباله	وسط الهبأة خادر في مرصد ^(٢)

فاستعمله رسولُ اللَّهِ ﷺ على مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ: ثُمَالَةَ، وَسَلِيمَةَ، وَفَهْمَ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفاً، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو مَجْجَنَ الثَّقَفِيِّ:

هابت الأعداء جانبنا	ثم تغزونا بنو سليمة
وأنا مالِكُ بهم	ناقضاً للعهد والحرمه
وأتونا في منازلنا	ولقد كنّا أولي نعيمه

* * *

وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْسِمُ عَلَيْنَا فَيُثَنَّا مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ! حَتَّى الْجُثُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَاخْتَطَفَتْ عَنْهُ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: رُدُّوْا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بَعْدُ شَجَرٌ تَهَامَةٌ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بِخِيَالٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ فَجَعَلَهَا بَيْنَ إصْبَعِهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ فَيْتِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمْسُ، وَالْخُمْسُ مُرَدُّدٌ عَلَيْكُمْ، فَأَذُوا الْخَيْطَ وَالْمِخِيطَ^(٣)، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَاراً وَنَاراً وَشِتَاراً^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) عرّدت: أحجمت وفرت. والأنياب: سادات القوم.
 السمهري: الرمح. المهند: السيف المنسوب إلى الهند.
 (٢) الهبأة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الذي في عرينه. المرصد: المكان يرقب منه. ينعته باليقظة.
 (٣) الخياط: الخيط. والمخيطة: الإبرة.
 (٤) الشنار: إقبح العار.

فجاء رجلٌ من الأنصار بِكُتْبةٍ^(١) من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذتُ هذه الكُتْبةَ أعملُ بها بَرْدَغَةً بغيرِ لي دَبِيرٍ^(٢). فقال: أَمَا نصيبي منها فلكَ ! قال: أَمَا إِذْ بَلَغْتَ هذا فلا حاجةَ لي بها. ثم طَرَحَهَا من يده.

وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤلفةَ قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائةَ بعير، وأعطى ابنه معاوية مائةَ بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائةَ بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائةَ بعير، وأعطى سهيل بن عمرو مائةَ بعير، وأعطى حُويطب بن عبد العزى مائةَ بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي مائةَ بعير، وأعطى عيينة بن حصن مائةَ بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائةَ بعير، وأعطى مالك بن عوفِ النصري مائةَ بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائةَ بعير، فهؤلاء أصحابُ المئين.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم نَحْرمة بن نوفل الزهري، وعُمَيْر بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو وأخو بني عامر بن لُؤَيٍّ لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة. وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكْثَة خمسين من الإبل، وأعطى السهميَّ خمسين من الإبل.

وأعطى عباس بن مرداسٍ أَبَاعَرَ فسَخِطَها، فعاتب فيها رسولُ الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كانت نهاباً تلافيتها	بكرِّي على المهر في الأجر ^(٣)
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	إذا هجعَ الناسُ لم أهجع ^(٤)
فأصبح نهيي ونهبُ العبيد	يد بين عيينة والأقرع ^(٥)
وقد كنت في الحرب ذا تدبرٍ	فلم أعطَ شيئاً ولم أمتنع ^(٦)
إلا أفاضل أعطيتها	عديداً قوائمها الأربع ^(٧)
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ	يفوقان شيعي في المجمع ^(٨)

(٦) ذا تدبراً: ذا دفع عن قومي. لم أعط شيئاً، أي شيئاً طائلاً.

(٧) الأفاضل: جمع أفيل، وهو الصغير من الإبل.

(٨) شيعي، يريد به أباه مرداساً. ويروى: «شيعي»

بشديد الياء، يريد أباه وجده. ويروى: «يفوقان مرداس».

(١) الكُتْبة: ما جمع من الغزل ونحوه.

(٢) الدبر: الذي به الدبر، وهي القروح.

(٣) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. والأجرع: المكان السهل.

(٤) لم أهجع: لم أنم.

(٥) العبيد: اسم فرس العباس.

وما كنتُ دون امرئٍ منها وَمَنْ تَضَعُ اليَوْمَ لَا يُرْفَعُ
فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه . فأعطوه حتى رضي . فكان ذلك
قُطْعَ لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ (١).

عن أبي سعيد الخدري قال :

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم
يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم
الغلاة (٢) ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة
فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في
هذا الفء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم
يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ! قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول
الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الخطيرة .

فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الخطيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم
فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي
من الأنصار .

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر
الأنصار ، ما قلّة بلغتني عنكم ، وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالاً
فهذاكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بل ، والله
ورسوله آمن وأفضل (٣) !

ثم قال : ألا تحببونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله
ولرسوله المن والفضل . قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقتلتم ، فلصدقتم ولصدقتم : أتيناك
مكذباً فصدقتك ، وغدولاً فتصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك (٤) . أوجدتم يا
معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة (٥) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى

له .

(٢) الغلاة : الكلام الرديء .

(٣) الحدة : الغضب .

(٤) آمن : أكثر منه ، وهي النعمة .

(٥) أسيناك : أعطيتك حتى جعلناك كأحدنا .

(٦) اللعاة ، بالضم : البقية البسيرة .

(١) قال ابن هشام : وحديثي بعض أهل العلم أن

عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له : أنت

القاتل : فأصبح نهي ونهب العبيد بين الأقرع

وعيينة ؟ فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع

فقال رسول الله ﷺ : هما واحد . فقال أبو بكر :

أشهد أنك كما قال الله : «وما علمناه الشعر وما ينبغي

إسلامكم ! ألا تَرْضَوْنَ يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رجالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سَلَكُ الناس شعباً^(١) وسَلَكْتُ الأنصار شعباً لسَلَكْتُ شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار ؟

قال : فبكي القوم حتَّى اخْضَلُوا لحاهم^(٢)، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحِطّاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة

واستخلافه عَتَابَ بن أسيد على مكة، وَحَجُّ عَتَابَ بالمسلمين سنة ثمان . قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرَانَةِ معتمراً، وأمر ببقايا الْفِيءِ فَحُسِبَ بِمَجْنَةِ بِنَاحِيَةِ مَرِّ الظُّهْرَانِ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمْرَتِهِ انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وَخَلَّفَ معه مُعَاذُ بن جَبَل يُفَقِّهُ الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وَاتَّبَعَ رسول الله ﷺ ببقايا الْفِيءِ^(٣) .

وكانت عُمْرَةُ رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة .

قال ابن إسحاق : وَحَجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وَحَجَّ بالمسلمين تلك السنة عَتَابُ بن أسيد، وهي سنة ثمان، وَأَقَامَ أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إِذْ انصرف رسول الله ﷺ، إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كَعْب بن زُهَيْر بعد الإنصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عن الطائف كَتَبَ بُجَيْرُ بن زُهَيْرُ بن أَبِي سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوهُ ويؤذيه، وإن

يوم درهما، فقام فخطب الناس، فقال : أيها الناس
أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول
الله ﷺ درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد .

(١) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٢) اخْضَلُوها : بللوها .

(٣) قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما
استعمل النبي ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل

من بقي من شعراء قريش: ابن الزُبَيْرِ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن لم تفعل فأنجِ إلى نجاتك من الأرض.

وكان كعب قد قال:

أَلَا أَيْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فهل لك فيما قلتُ ويحك هل لكَا
فَبَيْنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرَ ذَلِكَ ذَلِكََا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا عليه ولم تُدرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ ولا قاتلٍ إِمَّا عَفَرْتَ لَعَا لَكَا (١)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رُويَةً فَأَهْلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكََا (٢)

قال: وبعث بها إلى بُجَيْرٍ، فلما أنت بُجَيْرٌ كره أن يكتمها رسول الله ﷺ، فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنه لكذوبٌ، أنا المأمون».

ولما سمع «على خُلُقٍ لَمْ تَلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ» قال: أجلْ لَمْ يَلَفْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ.

قال ابن إسحاق:

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينة، كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصُّبْحَ، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فأستأمنه. فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار،

(١) بأسف: بنادم. وقوله «لعلك» كلمة يقال للعائر، (٢) أهلك: سقاك النمل، وهو الشرب الأول، وعلك: يدعى له بها، ومعناها قم وانتعش. سقاك العلل. والعلل: الشرب الثاني.

فقال: يا رسول الله، دَعْنِي وَعَدُّوْا اللَّهَ أَضْرَبَ عَنْقَهُ ! فقال رسول الله ﷺ «دَعُهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قد جاءَ تائباً نازعاً عما كانَ عليه». فغضب كعبٌ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبُهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ:

بِأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُقَدْ مَكْبُولٌ^(١)
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمُولٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلْ قرآن فيها مواعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنَبْتُ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْقِيلُ
لِظَلٍّ يَرْعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ من الرسولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
مَا زِلْتُ أَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ مُدْرَعًا جُنْحُ الظَّلَامِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ^(٢)
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زُعْهَآ فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ^(٣)
فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمَهُ وَقِيلَ لِنَسْكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَحْدَرُهُ فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ^(٤)
يَعْدُو فَيُلْجِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشَهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ^(٥)
إِذَا يَسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٦)
مِنْهُ تَظَلُّ سُبَاعُ الْجُونَا فِرَّةُ وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَا جِيلُ^(٧)
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخَوْثِقِيَّةُ مُضْرَجُ الْبِزِّ وَالْدَّرْسَانُ مَاكُولُ^(٨)
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْنَدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُولُ^(٩)

- (١) البين: الفراق، وبانت: ذهبت وفارقت. وسعاد: اسم صاحبه. ومتبول: هالك، والتبل، بفتح فسكون، هو الهلاك وطلب الثأر. ومتيم: معبد مذلل. ويروي «متيم عندها لم يجزه».
- (٢) مدرعاً: لباساً. والمراد شمول الظلام له.
- (٣) أي قوله هو قول الحق.
- (٤) الضيغم: الأسد. ضراء الأرض: ما وارك من شجر ونحوه. محدر الأسد: أجمته وغابته. عثر: موضع مشهور بالأسد. الغيل: الأجمة.
- (٥) يلحم: يطعم اللحم. معفور: ممرغ في العفر، وهو
- التراب. خراديل: قطع.
- (٦) يساور: يواثب. مقلول: مكسور منهزم.
- (٧) الجو: اسم موضع. والأراجيل: الجماعات من الرجال.
- (٨) مضرج: مخضب بالدماء. والبز: السلاح. والدردان - بكسر الدال وسكون الراء - جمع درس، وهو الثوب الخلق البالي.
- (٩) سيف الهند مضرب المثل في الجودة يستضاء به: أي يتبدى به إلى الحق.

فِي غُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالِ أَنْكَاسٌ وَلَا كُتُفٌ
 شَمَّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ
 لَيْسُوا مَفَارِيحُ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
 يَمِشُونَ مُشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعِصُهُمْ
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ
 بِيْطُنْ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زَلُّوا^(١)
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَارِيلُ^(٢)
 مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(٣)
 كَأَنَّهَا حَلَقُ الْفَقْعَاءِ مَجْدُولُ^(٤)
 قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا^(٥)
 ضَرَبُ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ^(٦)
 وَمَالَهُمْ عَنْ جِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٧)

قال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب «إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ» - وإنما يريدنا
 معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخصَّ المهاجرين من قريش من أصحاب
 رسول الله ﷺ بِمَذْحِيَّتِهِ - غَضِبْتُ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر
 بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليَمَن:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَاخِي الْأَنْصَارِ^(٨)
 إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

السابق، . وشكت: أراد نسجت، وأصل الشك
 إدخال الشيء في الشيء. ويروي: «سكت» بالسين
 المهملة، ومعناه ضيقت. والحلق: جمع حلقة، بفتح
 فسكون. والفقعاء: شجر ينسبط على وجه الأرض
 يشبه حلق الدروع. ومجدول: محكم الصنعة.
 (٥) مفاريج: جمع مفراج، ومجازيع: جمع مجزاع، وكلاهما
 صيغة مبالغة من الفرج ومن الجزع. يريد أنهم إذا
 تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك، لأن هذا أمر
 تعودوه، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا، لأنهم يعلمون أن
 الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فيما بعد.
 (٦) الزهر: جمع أزهر: وهو الأبيض. وعرد: نكب عن
 قرنه وهرب منه. والتنابيل: جمع تنبال، وهو القصير.
 (٧) وصفهم بأنهم لا ينفرون فيقع الطعن في ظهورهم، بل
 من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن في
 نحورهم وصدورهم. تهليل: فرار. هلل عن قرنه
 تهليلًا، إذا فر.
 (٨) أصل المقنب الجماعة من الخيل، وجمعه المقانب، أراد
 الفرسان.

(١) «في غصبة» يروي أيضاً: «في فتية». وزلوا: انتقلوا
 من مكان إلى مكان.
 (٢) أنكاس: جمع نكس بالكسر، وهو الرجل الضعيف.
 سمي بذلك تشبيهاً بالنكس من السهام وهو الذي
 انكسر فوقه. والكشف: جمع أكشف، وهو الذي لا
 ترس معه في الحرب. والميل: جمع أميل، وهو الذي
 لا سيف معه، أو هو الذي لا يجس ركوب الخيل ولا
 يستقر على السرج. والمعازيل: جمع معزال، وهو
 الذي لا سلاح معه.
 (٣) الشم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علوم مع
 استواء أعلاه، وذلك من علامات السيادة والكرم.
 والعرائين: جمع عرين، وهو الأنف، والأبطال: جمع
 بطل، وهو الرجل الشجاع، وسمي بذلك لأنه تبطل
 عنده الدماء وتهذر ولا ينال منه ثار. ونسج داود أراد
 به الدروع. والهيجا: الحرب، وأصله ممدود فقصره.
 والسرابيل: جمع سربال.
 (٤) يبيض: جمع أبيض، وسوابغ: جمع سابغ، وهو
 الطويل الثام، وهذان وصفان للسرابيل في البيت

المكْرِهَيْنِ السَّهْرِيِّ بِأَذْرَعِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ حُمْرَةٍ
وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِتَبِيَّهِمْ
وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ
يَسْطَهَرُونَ بِرُؤْسِهِ نُسْكَأَ لَهُمْ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بِسَطْنِ حَفِيَّةٍ
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ
قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ
فِي الْعَرِّ مِنْ عَسَانٍ مِنْ جُرْثُومَةٍ

قال ابن هشام :

ويقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده :

* بَانَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ *

«لَوْلَا ذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ» ؟ فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له .

وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أَنَّهُ قَالَ : أَنَشَدَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ :

* بَانَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ *

ويضرب بها المثل في الامتناع .
(٥) علياً : أراد به علي بن مسعود بن مازن الغساني . وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .
(٦) أماري : أجادل .
(٧) خوت النجوم : سقطت ولم تمطر في نوبتها .
والطارقين : الذين يأتون ليلاً . والمقاري : جمع مقري ، وهو الإطعام للضيف .
(٨) المحافر : مواضع الحفر . والمنقار : حديدة كالغاسل ينقر بها .

(١) السهري : الرمح . «كسوافل الهندي» ، يريد به الرماح . والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب إلى الخط . انظر ديوان كعب ص ٢٦ .
(٢) الذائدين : الماتنين والدافعين . وقد وقع في نسخة «والقائدين» والمشرقي : السيف . والخطار : المهتر .
(٣) دربوا : تعودوا . وخفية : موضع تنسب إليه الأسود . وغلب الرقاب : غلاظها . وضوار : متعودة الصيد ، جمع ضار .
(٤) معاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الذي يتمتع فيه من احتله . والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد الوعل .

غزوة تبوك في رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزوة الروم .

وقد ذكر لنا الزُّهْرِيُّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من صلحائنا، كُلُّ حَدَّثٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا لَا يُحَدِّثُ بَعْضٌ .

أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمن عُسْرَةٍ من الناس، وشِدَّةٍ من الحر، وجَدْبٍ من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يُجْبُونَ الْمُقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وظِلَالِهِمْ، ويكرهون الشَّخْصَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلْبًا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كُنِيَ عَنْهَا، وَأَخْبِرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِيدُ لَهُ^(١)، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَإِنَّهُ بَيَّنَّهَا لِلنَّاسِ، لِبَعْدِ الشُّقَّةِ^(٢) وشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصِيدُ لَهُ، لِيَتَأَثَّبَ النَّاسُ لِدَلَالَةِ أَهْبَتِهِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جَهَازِ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ، أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ: « يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٣) » ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ: « قَدْ أَذْنْتُ لَكَ » . فَفِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أَي: إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرَ، بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ . يَقُولُ: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ! زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ، وَشُكَّا فِي الْحَقِّ، وَإِرْجَافٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٣) بنو الأصفر: هم الروم .

(١) يصيد إليه : يقصده .

(٢) الشقة : بعد المسير .

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحملان^(١) في سبيل الله فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفِق أحدٌ مثلها^(٢).

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بني عمرو بن عوف : سالمُ بن عُمير، وعُلبَةُ بن زيد أخو بني حارثة، وأبو لَيْثٍ عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النَجَّار، وعمرو بن حُمام بن الجمُوح أخو بني سَلَمَةَ، وعبد الله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهَرَمِيُّ بن عبد الله أخو بني واقف، وعِرْبَاض بن سارية الفزازي - فاستحملوا^(٣) رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال : « لا أجِدُ ما أحِلُّكم عليه » فتَوَلَّوْا وأَعْيَنُهُمْ تَقْيِض من الدمع حَزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْرِي لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل، وهما يبيكان فقال : ما يبيكما ؟ قالَا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضِحاً له^(٤)، فارتحلا^(٥)، وَرَوَّدَهُمَا شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ . وقد ذكر أنهم نفر من بني غفار .

وجاءه المُعَذَّرُونَ من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعْذِرْهم الله تعالى .

ثم استتبَّ^(٦) برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السَّيرَ . وقد كان نفر من المسلمين أبطالاً بهم النَّيَّةُ عن رسول الله ﷺ حتى تحلَّفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب، منهم كعبُ بن مالك بن أبي كعب، ومُرَّارة بن ربيع، وهلالُ بن أميَّة، وأبو خيشمة، وكانوا نفرٌ صدقٍ لا يُتَّهَمُونَ في إسلامهم، فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنيةِ الوَدَاعِ^(٧).

(١) الحملان : مصدر حمل يحمل . وقد يراد به ما يحمل عليه من الدواب .

(٢) قال ابن هشام : حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه راض .

(٣) استحملوه : طلبوا أن يحملهم على الدواب .

(٤) الناضح : الحمل الذي يستقى عليه الماء .

(٥) ارتحلاه : وضعاه عليه الرحل .

(٦) استتب : تابع واستمر .

(٧) ثنية الوداع : ثنية مشرقة على المدينة يطؤها من يريد مكة .

وضرب عبد الله بن أبي معه على جذة عسكره أسفل منه، نحو ذباب^(١)، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فimen تخلف من المنافقين وأهل الرّيب، وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون^(٢)، وقالوا: ما خلفه إلا استيقلاً وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، وهو نازل بالجرف^(٣)، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخففت مني! فقال: «كذبوا»، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فأرجع فأخلفني في أهلي وأهلك. أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يومٍ حارٍّ، فوجد امرأتين له في عريش^(٤) لهما في حائطه^(٥) قد رشت كل واحدة منها عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح^(٦) والريح والحَرُّ، وأبو خيثمة في ظلٍ بارد، وطعام مهيب، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف^(٧). ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهبطا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فارتحله^(٨)، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ. ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مُقبل. فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيثمة!» فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما اتاخأ قبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك^(٩) يا أبا

بناء.

(١) ذباب: جبل بالمدينة.

(٦) الضح: الشمس.

(٢) الإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة.

(٧) النصف، بالكسر: الإنصاف.

(٣) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام،

(٨) الناضح: البعير يستقى عليه. ارتحل: وضع عليه

به كانت أموال لعمير بن الخطاب ولأهل المدينة.

الرحل.

(٤) العريش: شبيه بالخيمة، يظل فيكون أبرد الأخبية

(٩) أولى لك: كلمة فيها معنى التهديد، وهي اسم سمي

والبيوت.

به الفعل. ومعناه فيما قال المفسرون دنوت من الهلع.

(٥) الحائط: الحديقة، أو بستان من النخل قد دار حوله

خَيْمَةً». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحجر^(١) نزها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عَجَبٍ عَجَبْتُمُوهُ فاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، ولا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئاً. ولا تَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيه له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُتِقَ على مذهبه^(٢)، وأما الذي ذهب في طلب بعيه فاحتلمته الريح حتى طرحته بجبلٍ طَيِّءٍ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنْهَكُم أنْ تَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ؟». ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفى، وأما الآخر الذي وقع بجبلٍ طَيِّءٍ فَإِنْ طَيْئاً أَهَدْتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حين قدم المدينة.

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَّوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه فأمطرت، حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له عُمارة بن حُزَم، وكان عَقَبِيًّا بدريًّا، وهو عمُّ بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ الْقَيْنِقَاعِيُّ، وكان منافقاً.

فقال زيد بن اللَّصِيْتِ وهو في رَحْلِ عُمارة، عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبيٌّ ويُنَبِّئُكُمْ عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: «إِنْ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُنَبِّئُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ إِنَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ، وَقَدْ ذَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْظُرُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا». فذهبوا فجاؤا بها، فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: وَاللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْفَاءً، عَنْ مَقَالَةٍ قَاتِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا - للذي قال زيد بن لُصَيْتٍ - فقال رجلٌ من كان في رَحْلِ عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زَيْدٌ وَاللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ قَبْلَ أَنْ نَأْتِيَ. فأقبل عُمارة على زيد يَجَأُ فِي عُنُقِهِ^(٣) ويقول: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَذَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ! اخْرُجْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي فَلَا تَصْحَبْنِي!

(١) الحجر: قرية من نواحي المدينة بها عيون وآبار لبني

(٢) يقال لموضع الغائط: الخلاء، والمذهب.

(٣) يجأ في عنقه: يطن فيها.

سليم خاصة.

فَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ زَيْدًا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَمْ يَزَلْ مُتَّهَمًا بِشَرِّ حَتَّى هَلَكَ.

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَائِرًا، فَبَجَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فَلَانُ! فَيَقُولُ: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيَسْلُجْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ». حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيَسْلُجْهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ».

وَتَلَوُّمٌ^(١) أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا نَفَى عَثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرِّبْدَةِ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغِلَامُهُ، فَأَوْصَاهَا: أَنْ اغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ ضَعَايَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلَ رَكْبٍ يَمُرُ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ. فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَارٌ^(٢) فَلَمْ يَرْغَبْهُمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوُهَا، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغِلَامُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ. قَالَ: فَاسْتَهْلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ: صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَمَشَّى وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ! ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ.

ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ. وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ لُيْحَنَةُ بْنُ رُوْبَةَ صَاحِبُ أَيْلِهِ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْطَاهُ الْجَزِيَّةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَأَعْطَوْهُ الْجَزِيَّةَ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُمْ.

فَكَتَبَ لُيْحَنَةُ بْنُ رُوْبَةَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لُيْحَنَةَ بْنِ

(٢) العمار: المعتصرون، أي المحرمون بالعمرة.

(١) تلوم: تمكث وانتظر.

رُؤْيَا وَأَهْلُ أُيُلَةٍ سَفِينِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ^(١) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ. وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ. وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ. وَإِنَّهُ لَا يَحُلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرِيدُونَهُ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحَرٍ».

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدير دومة

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدير دومة، وهو أكيدير بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ».

فخرج خالدٌ حتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ يَنْظُرُ الْعَيْنَ، وَفِي لَيْلَةٍ مَقْبِرَةٌ صَائِفَةٌ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتِ الْبَقْرُ تَحْكُ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ. قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا أَحَدٌ. فَتَزَلُ فَأَمْرُ بَفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَانٌ، فَرَكِبَ وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمِطَارِدِهِمْ^(٢)، فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّيْتُهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَحَاهُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مَخْصُوصٍ بِالذَّهَبِ^(٣)، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: رَأَيْتُ قَبَاءَ أَكِيدِرَ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمُسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِمَتَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِأَكِيدِرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَحَقَّنَ لَهُ دَمَهُ^(٤)، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجَزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ.

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ يَجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ يُخْرَجُ مِنْ وَشَلٍ^(٥)، مَا يَرُوي الرَّاكِبُ وَالرَّاكِبِينَ وَالثَّلَاثَةَ، بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْمَشَقِّقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي فَلَا يَسْتَقِينُ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى

ورقه.

(١) السَّيَّارَةُ: الْقَافِلَةُ، وَالْقَوْمُ يَسِيرُونَ.

(٢) الْمِطَارِدُ: جَمْعُ مِطْرَدٍ، بِكَسْرِ الْمِيمِ. رَمَحَ قَصِيرٌ مِطَارِدَهُ

(٤) حَقَّنَ دَمَهُ: أُنْقَذَهُ مِنَ الْقَتْلِ.

(٥) الْوَشَلُ، بَفَتْحِ الْوَاوِ وَالشَّيْنِ: حَجَرٌ أَوْ جَبَلٌ يَقْطُرُ مِنْهُ

الْوَحْشُ.

الْمَاءُ قَلِيلًا، وَالْوَشَلُ أَيْضًا: الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ.

(٣) مَخْصُوصٌ بِالذَّهَبِ: مَنْسُوجٌ بِهِ كَخُوصِ النَّخْلِ، وَهُوَ

نأتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه. فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم ير فيه شيئاً، فقال: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟». فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان. فقال: «أولم أنَّهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى آتَيْهِ؟». ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يَصُبُّ في يده ما شاء الله أَنْ يَصُبَّ، ثم نَضَحَهُ بِهِ، ومسح بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء أَنْ يدعوه، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إِنَّ لَهُ جَسَافاً كَحَسِّ الصُّوَاعِقِ، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: «لَنْ بَقِيْتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ».

قال ابن إسحاق:

وذكر ابن شهاب الزُّهْرِيُّ، عن ابن أُكَيْمَةَ اللَّيْثِيِّ، عن ابن أخي أَبِي رُحْمٍ الْغِفَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُمْ كَلْثُومَ بْنَ الْحَصِينِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَبَسِرْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَهُ وَنَحْنُ بِالْأَخْضَرِ^(١) قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْقَى اللَّهُ عَلَيْنَا النَّعَاسَ، فَطَفَقْتُ أَسْتَيْقِظُ وَقَدْ دَنَيْتُ رَاحِلَتِي مِنْ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَفْزَعُنِي دُنُوها مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ أَصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ^(٢)، فَطَفَقْتُ أُحَوِّزُ رَاحِلَتِي عَنْهُ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ وَنَحْنُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، فَزَاحَتِ رَاحِلَتِي رَاحِلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجْلُهُ فِي الْغَرَزِ، فَمَا اسْتَيْقِظْتُ إِلَّا بِقَوْلِهِ «حَسٌّ^(٣)»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. فَقَالَ: «سِرْ».

فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمن تَخَلَّفَ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَأُخْبِرُهُ بِهِ، فَقَالَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحَمَرُ الطَّوَالُ النَّطَاطُ^(٤)؟». فَحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ، قَالَ: «فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْقَصَارُ؟». قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ مَنَّا. قَالَ: «بَلِ السَّيِّدِينَ هُمْ نَعَمْ بِشَبَكَةِ شَدَخِ^(٥)». فَتَذَكَّرْتُهُمْ فِي بَنِي غِفَارٍ، وَلَمْ أَذْكُرْهُمْ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ كَانُوا حُلَفَاءَ فِينَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْتُكَ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ كَانُوا حُلَفَاءَ فِينَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَ أَحَدَ أَوْلَيْتِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ أَمراً نَشِيطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَرِيشَ، وَالْأَنْصَارُ، وَغِفَارٍ وَأَسْلَمَ».

(١) النطاط بالكسر: جمع نط، وهو القليل شعر اللحية

والحاجين.

(٢) الغرز للرجل بمنزلة الركاب للسرّج.

(٣) حس: كلمة معناها أتا لم.

(٤) موضع قرب تبوك، بينه وبين وادي القرى.

(٥) شبكة شدخ: من منازل غفار وأسلم بالحجاز.

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق:

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم أتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ، كما يتحدث قومه: «إِنَّهُمْ قَاتَلُوكَ». وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الإمتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أباكرهم^(١).

وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، رجاء ألا يخالفوه، لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على عليّة له^(٢)، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله.

فتزعّم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له: أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك. وتزعّم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب بن مالك يقال له: وهب بن جابر. فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس في إلّا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرشحل عنكم، فادفوني معهم.

فرعّموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حوّلهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا.

فأئتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سنّ عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به - إذا رجع - كما صنع بعروة، فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً. فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكّم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحيل بن غيلان بن

(٢) العلية: الغرفة.

(١) قال ابن هشام: «ويقال: من أبصارهم».

سلمة بن مُعْتَب، ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهْمَان أَخَا بني يَسَار، وأَوْس بن عَوْف أَخَا بني سالم، وَمُتَمِر بن خَرْشَةَ بن ربيعة أَخَا بني الحارث، فخرج بهم عبد ياليل، وهو نَابُ القوم^(١) وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خَشِيَّةً من مثل ما صُنِعَ بعروة بن مسعود، لكي يَشْغَلَ كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَه.

فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قنَاة أَلْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَةَ يَزْعُمُ في نوبته رِكَابَ أصحاب رسول الله ﷺ - وكانت رِغْيَتُهَا نَوْبًا على أصحابه ﷺ - فلما رَأَاهُمْ ترك الرِّكَابَ عند الثَّقَفِيَّينَ وَضَمَرَ يَشْتَدُ^(٢)، لِيَشْرُ رسول الله ﷺ بقدمهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن رَكْبٍ ثَقِيفٍ أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يَشْرِطَ لهم رسول الله ﷺ شُرُوطًا، ويكتبوا من رسول الله ﷺ كتابًا في قومهم وبلادهم وأموالهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تَسْقِني إلى رسول الله ﷺ حتى أَكُونَ أنا أَحَدُهُ. ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدمهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم، وعَلَّمَهُم كيف يُجِيبُونَ رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عليهم قَبَّةً في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطْعُمُونَ طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيها سألوه رسول الله ﷺ أن يدعَ لهم (الطاغية)، وهي اللَّاتُ، لا يهدمها ثلاث سنين. فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنَّةَ سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمِهِمْ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مُسَمًّى، وإنما يريدون بذلك، فيها يُظْهِرُونَ، أن يَتَسَلَّمُوا بتركها من سُفْهائِهِمْ ونسائِهِمْ وذُراريهِمْ، ويكرهون أن يُرَوِّعُوا قومهم بدمها حتى يَدْخُلَهُمُ الإسلام. فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يَبْعَثَ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَةَ فيهدماها، وقد كانوا سألوه - مع تَرْكِ الطاغية - أن يُعْفِيَهُمُ من الصَّلَاةِ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا كَسَرُ أَوْثَانِكُمْ بأيديكم فَسَتُعْفِيَكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ». فقالوا: يا محمد، فَسَنُؤْتِيكَهَا وإن كانت دَنَاءَةً.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أَمَرَ عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان

(١) نَابُ القوم: سيدهم والمدافع عنهم.

(٢) ضَمَرَ يَشْتَدُ: أي وثب. ضمير الفرس، إذا جمع قوائمه ووثب.

من أحدثهم شيئاً، وذلك أنه كان أحرصهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتعلُّم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام منهم مِنْ أحرصهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتعلُّم القرآن.

فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يُقدِّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على فومك. وأقام أبو سفيان بماله يذي الهدم^(١) فلما دخل المغيرة بن شعبة علَّاهما يضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو مُعْتَبٍ، خَشِيةٌ أَنْ يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُروَةُ، وخرج نساء ثقيف حُسراً^(٢) يَبْكِينَ عليها، وَيَقْلَنَ:

لُتَبْكِينَ دَفَاعُ^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

* لَمْ يَحْسِنُوا الْمِصَاعُ^(٥) *

ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهَا لَكَ^(٦) آهَا لَكَ !
فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحلَّيَّها أرسل إلى أبي سفيان: وحلَّيَّها مجموع ومالها من الذهب والجزع^(٧).

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف - حين قُتل عروة - يريدان فراقَ ثقيف، وأن لا يُجَامِعاهم على شيء أبداً، فأسلما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيَا مِنْ شَيْئِنَا». فقالا: نتولَّى الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «وخالَكُمَا أبا سُفْيَانَ بن حرب؟»، فقالا: وخالنا أبا سفيان. فلما أسلم أهل الطائف ووجَّه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مُلَيْح بن عروة ان يَقْضِيَ عن أبيه عُروَةُ ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: نَعَمْ. فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه - وعُروَةُ والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكاً، فقال قارب

(١) ثيم راضع. أي لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها

للمغيرة يدهمها.

(٥) المصاع، يكسر الميم: المجادلة والمضاربة بالسيوف.

(٦) واهالك: كلمة تقال في معنى التأسف.

(٧) الجزع ضرب من الحرز، فيه بياض وسواد.

(١) ماء ليلي، وراء وادي القرى.

(٢) حُسراً: جمع حاسرة، وهي المكشوفة الوجه.

(٣) دفاع: هو صيغة مبالغة في الدفع، وإنما سموا طاغيتهم دفاعاً لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع

عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء.

(٤) الرضاع: جمع راضع، وأردن بهم اللثام. من قولهم:

لرسول الله ﷺ : يا رسول الله لكن تصل مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدين عليّ، وإنما أنا الذي أُطْلِبُ به . فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية .

فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما . فقضى عنهما .

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رسول الله إلى المؤمنين . إِنَّ عِصَاةَ^(١) وَجَّ لَا يُعْصَدُ^(٢) . مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُزْعَ ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُلْقَى بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ . وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدفلا يتعدّه أَحَدٌ فَيُظْلِمَ نَفْسَهُ فِيهَا أَمْرُهُ بِهِ مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ» .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبابعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه^(٣) .

وإنما كانت العرب تَرْبِصُ بالإسلام أمر هذا الحَيِّ من قريش ، كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، وقادة العرب ، لا يُنْكِرُونَ ذلك ، وكانت قريش هي التي نَصَبَتْ لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افْتَتَحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَهَا الإسلام^(٤) ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال الله عز وجل أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه . يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ . وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ : أي : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً .

قدم وفد بني تميم ونزول سورة الحُجُرَات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عَطَارِدُ بن حاجب بن زُرَّارة بن

(١) العضاء : شجر له شوك ، واحدته عضاهة . ووج : (٣) قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة

اسم موضع بالطائف ، وهو مفتوح الواو وتشديد الجيم . تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٤) بعضد : يقطع . (٤) دوحها الإسلام : ذللها وأخضعها .

عُدُس التميمي في أشراف بني تميم: منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزبرقان بن بدر التميمي أحد بني سعد، وعمر بن الأهتم، الحبابة بن يزيد.

وفي وفد بني تميم: نعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم، ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري. وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيئنا والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته: أن أخرج إلينا يا محمد! فأدى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قَدْ أَذِنْتُ لِحَاطِطِكُمْ فَلْيَقُلْ». فقام عطار بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمِنَّة، وهو أهله، الذي جعلنا مُلوَكًا، ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق، وأكثره عُدداً وأيسره عُدَّةً، فمن مثُلنا في الناس؟ السنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فَاخَرْنَا فَلْيَعُدْ مثْل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا^(١) من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نَعْرِفُ بذلك. أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا.

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس، أخي بني الحارث بن الخزرج: «قُمْ فَأَجِبِ الرجل في خطبته» فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خَلَقَهُ، قضى فيهن أمره، ووسَّع كَرْسِيَهُ علمُهُ^(٢)، ولم يك شيء قط إلا من فضله. ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رَسُولاً أكرمهُ نسباً^(٣)، وأصدقهُ حديثاً، وأفضلهُ حساباً، فأنزل عليه كتابه، واثمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمة، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخيرُ الناس فعَلاً. ثم كان أولُ الخلق إجابةً، واستجاب الله حين دعاه رسولُ الله نحن، فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

السهيل هنا.

(١) يقال: حيث منه أحياء، أي استحييت.

(٢) الكرسي: ما أحاط بالسموات والأرضين، كما فسره (٣) أي أكرم الخلق.

فقام الزبرقان بن بدر، فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سرائهم
فتخز الكوم غبطاً في أرومتنا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه
إننا أبيننا ولا يابى لنا أحد

منا الملوك وفيما تنصب البيع^(١)
عند النهاب وفضل العز يتبع^(٢)
من الشواء إذا لم يؤنس القرع^(٣)
من كل أرض هوباً ثم نصطنع^(٤)
للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا^(٥)
إلا استقادوا فكانوا الرأس يقطع
فيرجع القوم والأخبار تستمع
إننا كذلك عند الفخر نرتفع

وكان حسان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل ووطننا
منعناه لما حل بتين بيوتنا
ببيت حريد عزه ونراؤه
هل المجد إلا السؤدد والندى

على أنف راض من معدي وراغم
بأسافنا من كل باغ وظالم
بجارية الجولان وسط الأعاجم^(٦)
وجاه الملوك واحتمال العظام^(٧)

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال، عرضت في قوله^(٨)، وقلت على نحو ما قال، فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت:

«قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ». فقام حسان، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
يرضى بهم كل من كانت سريرته
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم

قد بينوا سنة للناس تتبع^(٩)
تقوى الإله وكل الخير يصطنع
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

(٥) الحريد: المفرد، لا يختلط بغيره لعزته. جابية الجولان: بلد بالشام. يريد أن جاههم متصل بجاه الفساسة ملوك الشام.

(٦) السؤدد العود: المجد القديم.

(٧) أراد: قلت على مثل عروضه. والعروض ميزان الشعر.

(٨) الذوائب: الأعلالي، واحدها ذؤابة، وأراد ههنا السادة.

(١) البيع مواضع الصلوات والعبادات للنصارى، وقبل لليهود، واحدها بيعة بكسر الباء.

(٢) القرع: سحاب رفيق يكون في الخريف، واحده قرعة: بفتح القاف والزاي فيها.

(٣) هوبا: سراعاً.

(٤) الكوم: جمع كوما، وهي الناقة العظيمة السنام.

وعبطاً: أي من غير علة. والارومة: الأصل، أي إن الكرم أصيل فينا.

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
 لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
 إِنْ سَابِقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبِقُهُمْ
 أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
 لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا نَحَالِيهَا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
 كَنَانُهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَسَبٌ
 خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 فَإِنَّ فِي حَرَبِهِمْ، فَأَتَرَكُ عِدَاؤَهُمْ،
 أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ
 أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يَسْأَلُهُ
 فإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ

إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(١)
 فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
 عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا^(٢)
 أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّذَى مَتَعُوا^(٣)
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَبْعُ^(٤)
 وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبْعُ^(٥)
 كَمَا يَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(٦)
 إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا^(٧)
 وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ^(٨)
 أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعُ^(٩)
 وَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا^(١٠)
 شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلْعُ^(١١)
 إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 فَيَسْأَلُ أَحَبَّ لِسَانٍ حَائِكَ صَنَعُ^(١٢)
 إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(١٣)

فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم^(١٤)
 وكان عمرو بن الأَهمتم قد خلفه القوم في ظَهرهم^(١٥)، وكان أصغرهم سنًا، فقال
 قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأَهمتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجلٌ منَّا في

(١) السجية: الطبيعة والخلق.

(٢) أوهت: أضعفت وهدمت.

(٣) متعوا: زادوا وظهروا عليهم. من قولهم: متع النهار، إذا ارتفع.

(٤) لا يطبعون: أي لا يتدنسون.

(٥) الطبع، يفتح الطاء والياء: الدنس.

(٦) نصبنا: أظهرنا لهم العداوة ولم نسرها في أنفسنا. والذرع، بفتحين: ولد البقرة الوحشية.

(٧) نسمو: نهض. الزعانف: أطراف الناس وأتباعهم. وخشعوا: خضعوا وتذللوا.

(٨) الخور: جمع أخور، وهو الضعيف. والهلع: جمع هلوع، وهو الجبان الخائف.

(٩) مكتنع: دان قريب، تقول: اكتنع منه، إذا دنا.

وحلية: اسم موضع تنسب إليه الأسود. والأرساغ:

جمع رسع، وهو موضع مربوط القيد. وفدع: اعوجاج إلى ناحية.

(١٠) عفواً: أي من غير طلب ولا مشقة.

(١١) السلع: نبات مسموم.

(١٢) صنع، بفتح الصاد والنون: صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله.

(١٣) شمعوا: هزلوا، وأصل الشمع الطرب واللبو، ومنه قولهم: جارية شموع، إذا كانت كثيرة الطرب.

(١٤) الجوائز: العطايا، واحدها جائزة.

(١٥) ظهرهم: إبلهم.

رحالنا، وهو غلام حَدَثَ - وَأَرْزَى به - فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم - حين بلغه أن قيساً قال ذلك - يهجو:

ظَلَيْلَتِ مُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِي عِنْدَ الرُّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تَصِبْ^(١)
سُدْنَاكُمْ سُودْدًا رَهَوًا وَسُودِّدْكُمْ بَادِ نَوَاجِذَهُ مَقْعٍ عَلَى الذَّنْبِ^(٢)

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم. فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغَدْرَ به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنت أليت أن لا أنتهي حتى تتبّع العرب عَقِيبي، أفأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأرْبَد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف^(٣).

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد، خالني^(٤)، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده» قال: يا محمد، خالني. وجعل يكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يُجِير شيئاً^(٥)، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له». فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خَيْلاً ورجالاً! فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفني عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد: ويلك يا أربد!! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيم

(١) الهلباء، شعر الذئب، وقد استعاره ههنا للإنسان، كنى بذلك عن خلفه.
(٢) رهوا، بالراء للمهملّة: متساعاً. والنواجذ: الأسنان، واحداها ناجذ.
(٣) فاعله بالسيف: يريد اقتله، ويروى فاعله بالسيف بالعين المعجمة، وهو من الغيلة، وهي القتل خديعة.
(٤) خالني: يروى بكسر اللام مخففة، ويشديدها مكسورة. فالأول معناه تفرد لي خالياً حتى أحدثك على انفراد، والثاني معناه اتخذني خليلاً: من المخالّة، وهي الصداقة.
(٥) أي لا يرد جواباً.

اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا ! قَالَ : لَا أَبَالُكَ ، لَا تَعَجَّلْ عَلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ الطَّاعُونَ فِي عَقْبِهِ ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا بَنِي عَامِرَ ، أَغْدَةُ كَعْدَةُ^(١) الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ ؟ !

ثم خرج أصحابه حين وازوؤه حتى قدموا أرض بني عامر شَاتَيْنِ ، فلما قدموا أتاهاهم قومهم فقالوا : مَا وَزَأُكَ يَا أَرَبْدُ ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ !

فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين ، معه جمل له يتبعه ، فأرسل اللَّهُ تعالى عليه وعلى جملة صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا . وَكَانَ أَرَبْدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لَأَمَهُ ، فَقَالَ لَبِيدُ يَكْبِي أَرَبْدُ :

مَا أَنْ تَعْدَى الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ ^(٢)
أَخَشَى عَلَى أَرَبْدِ الْخُتُوفِ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٌ هَلَّا بَكَتِبَ أَرَبْدُ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ ^(٣)
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدُ
حُلُوْ أَرَبْدُ فِي خَلَاوَتِهِ	مُرُّ لَطِيفِ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبَدِ ^(٤)
وَعَيْنٌ هَلَّا بَكَتِبَ أَرَبْدُ إِذْ	أَلَوْتُ رِيَّاحَ الشَّتَاءِ بِالْمُضْدِ ^(٥)
وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُصْرَمَةً	حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ ^(٦)
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةِ لَحْمٍ	ذُو نَهْمَةٍ فِي الْغُلَا وَمُنْتَقَدٍ ^(٧)
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا	لَيْلَةَ تُنْمِي الْجِيَادَ كَالْقِدَدِ ^(٨)

(١) الغدة : داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة التي تصيب الإنسان . والبكر بالفتح : الفتى من الإبل . وسلول : قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموأل :

وإنا أناس لا ترى القتل سبة

إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) تعدى : أراد به ترك وتجاوز .

(٣) الكبدة ، بفتح الكاف والباء : الجهد والمشقة .

(٤) الأريب : العاقل .

(٥) المضد : الشجر ذهب الريح بأوراقه ، وهذا كتابة

عن الجذب في الشتاء .

(٦) المصرة : التي لا لين لها . والغواير : البقايا ، واحداها غابرة .

(٧) لحم يفتح فكسر : كثير الأكل للحم . وذو نهمة : أي له ولوع وحسب في بلوغ غاية الشيء ، ويرى «ذو نهمة» بالياء المثناة ، وهي العقل وجمعها نهي . ومتقد ، أي بصير بالأمر .

(٨) القدد بكسر ففتح : جمع قدة ، وهي السير الذي يقطع من الجلد . شبه الخيل بالسير في نحوها وضعفها .

السَّابِغُ النَّوْخَ فِي مَاءِهِ مَثَلُ الطَّبَّاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ (١)
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِسَالٍ فَاغَارَ يَوْمَ الْكَبْرِهَةِ النَّجْدِ (٢)
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيئاً وَإِنْ يَعْذُ يَعْذِ (٣)
يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ (٤)
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلْ، وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدَدِ (٥)
إِنْ يُغَبِّطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمَافُهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفْدِ (٦)

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

وقدّم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنّس أخو عبد القيس (٧).

عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ، «نعم أنا ضامن لك أن قد هدّك الله إلى ما هو خير منه».

فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمَلَانَ، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه»، قال: يا رسول الله، فإنّ بيننا وبين بلادنا ضوّال من ضوّال الناس (٨) أفتبليغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إياك وإياها، فإنّما تلك حرق النار» (٩).

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حسن الإسلام صلياً على دينه حتى هلك. وقد أدرك الرّدة.

فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر، قام الجارود فتكلّم فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، فقال: أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفر من لم يشهد (١٠).

-
- (١) النوخ: جماعة النساء النائحات، الماتم: جمع ماتم، وهو جماعة النساء يجتمعن في خير أو شر. والجرود: الأرض لا نبات فيها.
(٢) النجد، بفتح فضم: الشجاع.
(٣) الحارِب: السالب. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب الذي أصابه نكبة.
(٤) الجهد: المشقة، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة. والرصد: الكلال القليل.
(٥) قل، بضم القاف: أي قليل.
(٦) يغبطوا: هو من الغبطة، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس. يهبطوا: يتزنوا، أي تضعف حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة. وأمرؤا، بكسر الميم: كثروا. والنغد: انقطاع الشيء وزواله.
(٧) قال ابن هشام: «الجارود: ابن بشر بن المعل في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً».
(٨) يعني الإبل الضالة.
(٩) أي لخب النار، أي تؤدي إلى ذلك.
(١٠) قال ابن هشام: «ويروى وأكفى من لم يشهد».

قدوم بني حنيفة، ومعهم مُسَيِّلَمَةُ الكَذَّابِ

وقدم على رسول الله ﷺ وَفَدُّ بني حنيفة، فيهم مُسَيِّلَمَةُ بن حَبِيب الحنفي الكذاب^(١).

فكان منزلهم في دار بنت الحارث^(٢) امرأة من الأنصار، ثم من بني النجار. فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تَسْتَرُهُ بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، معه عسيب من سَعَفِ النخل، في رأسه خُوصَات^(٣)، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلَّهم وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لَوْ سَأَلْتِي هَذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتِكِهِ».

قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة، أن حديثه كان على غير هذا:

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وَخَلَّفُوا مُسَيِّلَمَةَ في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خَلَفْنَا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا. قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَاناً» أي لحفظه ضيعة أصحابه، ذلك الذي يريد رسول الله ﷺ. قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة أُرْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ، وتنبأ، وتكذب لهم، قال: «إِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَاناً»؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أَنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ.

ثم جعل يَسْجَعُ لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحَبْلِ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، من بين صفاق^(٤) وحشا. وأحلَّ لهم الخمر والزنا، ووضَّعَ عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي.

فأصفت معه حنيفة على ذلك^(٥). قاله أعلم أي ذلك كان.

-
- (١) قال ابن هشام: «مسيلم بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة».
- (٢) قال أبو ذر: «يقال: إن هذه المرأة اسمها كيسة بنت الحارث».
- (٣) العسيب: جريد النخل. والسعف، يفتحني: أغصان النخلة. والخوصات: جمع خوصة، ورق النخل والدوم.
- (٤) الصفاق: ما راق من البطن.
- (٥) أصفت معه: اجتمعوا عليه.
- (٦) العسيب: جريد النخل. والسعف، يفتحني:

أمر عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول - فيما بلغني - : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني . أما أنا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسير في قومي بالمرباع^(١) .

فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي : لا أبا لك ، أعدد لي من إبلي أجمالاً ذُللاً^(٢) سماناً ، فاحتسبها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني^(٣) . ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي ، ما كنت صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإنني قد رأيت راياتٍ ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلت : فَقَرَّبْ إليَّ أجمالي . فقرَّبها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصاري بالشام . فسلكت الجُوشية^(٤) - ويقال : الجُوشية فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر^(٥) ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفتني خيلُ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء . وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام ، فجعلت بنت حاتم في حظيرة باب المسجد ، كانت السبايا يُحبسن فيها ، فمرَّ بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلةً ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ من الله عليك ! قال : «ومن وافدك» ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : «الفار من الله ورسوله» ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي ، وقد يشت منه ، فأشار إليَّ رجل من خلفه : أن قومي فكلَّميه . فقممت إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ من الله عليك . فقال ﷺ : «قَدْ فَعَلْتُ ، فلا تَعْجَلِي بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي من قومك من يَكُونُ لك ثَقَّةٌ حَتَّى يُبَلِّغَكَ إلى بلادك . ثم أذيني» . فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه ، فقبل : علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قُضاعة ، وإنما أريد أن آتي أخي

(٣) أي أعلمني . آذنه : أعلمه .

(٤) الجوشية : جبل للضباب قرب ضربة من أرض نجد .

(٥) اسمها : سفانة فيما يرجح السهيلي . والحاضر : الحي القديم .

(١) أي أخذ الربع من الغنائم ، وكان العرب يجعلون

ذلك للرئيس :

(٢) ذُللاً : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذي قد

ارتاض .

بالشام . فبحث رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . فكساني رسول الله ﷺ ، وحملني ^(١) ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدي : فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة ^(٢) تصوب إلي تؤمنا فقلت : ابنة حاتم . قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت علي أنسحت ^(٣) تقول : القاطع ، الظالم ، احتملت باهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك ! قلت : أي أخته لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت .

ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها - وكانت امرأة حازمة : ماذا تزين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تدل في عز الأيمن وأنت أنت ! .

قلت : والله إن هذا الرأي .

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم . فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بي إليه ^(٤) ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها ، قلت في نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بي رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ، فقفزها إلي ، فقال : اجلس على هذه . قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال بل أنت . فجلست عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ، ألم تك ركوسياً ^(٥) ؟ قلت : بلى . قال : «أولم تكن تسير في قومك بالرباع ؟» . قلت : بلى . قال : «فإن ذلك لم يحل في دينك» ، قلت : أجل والله ! وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يحل . ثم قال :

«لعلك يا عدي إنما بمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجاتهم ، فوالله

(١) حملي : أعطاني ما يحملني من دابة أركبها . (٢) انسحت : أخذت في اللوم ومضت فيه بحدة .

(٣) الظعينة : المرأة في هودجها ، وقد يقال لها ظعينة وإن لم تكن في الهودج . ونصوب إلى : تقبل نحوي . يؤمنا :

(٤) عمد إليه : قصد إليه . (٥) الركوسية : قوم لهم دين بين النصراني والصابئين .

نقصنا .

ليوشكنَ المالُ أن يفيضَ فيهم حتى لا يوجدَ مَنْ يأخذه . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكنَ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيُّ الله ليوشكنَ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله ، لتكونن : قد رأيتُ القصورَ البيضَ من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإيُّ الله لتكونن الثالثة : لَيَفِيضَ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادي

قال ابن إسحاق :

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ ، مفارقاً للملك كندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى اتخنوهم^(١) ، في يوم كان يقال له يوم الرِّدَم ، فكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك ، في ذلك اليوم^(٢) .

ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً للملك كندة قال :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَغْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٣)
قَرُبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا^(٤)

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ فيها بلغني : يَا فَرَوَةَ ، هَلْ سَاءَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّدَمِ ؟ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدَمِ لَا يَسُوهُ ذَلِكَ ؟ فقال رسول الله ﷺ له : «أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا» .

(١) اتخنوهم : أكثروا فيهم القتل .

فمده للشعر .

(٤) أوم : أقصد . ثرائها : يعني به الجود والعطية . ويروى

«ثنائها» وهو الذي يتحدث به عن الرجل من خير أو

شر .

(٢) قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم

مالك بن حريم الهمداني .

(٣) النسا : عرق مستبطن في الفخذ . وأصله مقصور

واستعمله النبي ﷺ على مُراد وَزُبَيْد وَمَذْجَج كُلُّهَا، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه حتى توفي رسول الله .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زُبَيْد

وقدم على رسول الله ﷺ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرَبَ في أناس من بني زُبَيْد، فأسلم، وكان عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرَبَ بن مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ - حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ - يا قَيْسُ، إِنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ، قَدْ خَرَجَ بِالْحِجَازِ يَقُولُ: إِنَّهُ نَبِيٌّ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ، فَإِنْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ، وَإِذَا لَقِينَاهُ اتَّبَعْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلِمْنَا عِلْمَهُ. فَأَبَى عَلَيْهِ قَيْسٌ ذَلِكَ، وَسَفَّهَ رَأْيَهُ، فَرَكِبَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرَبَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَهُ، وَأَمَنَ بِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ أَوْعَدَ عَمْرًا وَتَحَطَّمَ عَلَيْهِ^(١)، وَقَالَ: خَالَفَنِي وَتَرَكَ رَأْيِي! فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرَبَ فِي ذَلِكَ:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنَعَا	أَمْرًا بَادِيًا رَشْدُهُ ^(٢)
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ الدِّ	بِالْمَعْرُوفِ تَتِمُّدُهُ
خَرَجْتَ مِنَ الْمُنَى بِمِثْلِ ال	حُمَيْرِ غَزْوُهُ وَرَدُّهُ
تَمَنَّنَانِي عَلَى فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَمَدُهُ
عَلَى مَفَاضَةٍ كَالنَّهْ	يِ أَخْلَصَ مَاءُهُ جَدُّهُ ^(٣)
تَرُدُّ الرُّمَحَ مُنْشِنِي ال	سِّنَانِ عَوَائِرًا قِصْدُهُ ^(٤)
فَلَوْ لَأَقَيْتَنِي لَلْقَيْدِ	تَ لَيْشًا فَرَقَهُ لِبَدُهُ ^(٥)
تُلَاقِي شَنْبُشًا شَنْنِ ال	بِرَائِثِنِ نَاشِرًا كَتَدُهُ ^(٦)
يُسَامِي الْقُرْنَ إِنْ قُرْنٌ تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَصِدُهُ ^(٧)	

(٦) الشنبث، بزنة جعفر: الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله.

وشن: أي غليظ الأصابع. والبرائث: جمع برثنه وهوللسع بمنزلة الإصح للإنسان. وناشرًا: مرتفعًا. والكند: ما بين الكتفين.

(٧) يسامي القرن: يعلوه ويرتفع عليه. والقرن، بالكسر: الذي يمتاز في الشجاعة. وتيممه: قصد. ويعتصده: يجعله تحت عضده، معناه يفوقه ويتغلب عليه.

(١) تحطم عليه. اشتد عليه.

(٢) ذو صنعا: بلدة باليمن، وهي صنعا. والعرب يزيدون وذو في كثير من أعلام البلدان.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة. والنهي: القدير. والجدد: الأرض الصلبة.

(٤) عوائر: أي متطايرة. والقصد، بكسر القاف وفتح الصاد: جمع قصدة، وهو ما تكسر من الرمح.

(٥) اللبد، بكسر ففتح: جمع لبد، وهي ما على كنف الأسد من الشعر.

فِيَاخُذْهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ^(١)
 فَيَسْدِمُغُهُ فَيَخْطِطُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزِدُّهُ^(٢)
 ظَلُومُ الشُّرِكِ فَيَمَّا أَحَدُ رَزَزْتُ أَنْيَابَهُ وَيَدُهُ

فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، وَعَلَيْهِمْ قُرُوءَةٌ مِنْ مُسَيِّكٍ، فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، وَقَالَ حِينَ ارْتَدَّ:

وَجَدْنَا مُلْكَ قُرُوءَةٍ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنَخِرُهُ يَنْفُثُ^(٣)
 وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا عَمِيرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ حَيْثُ وَعْدُ^(٤)
 قَدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ

قال ابن إسحاق:

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة.

فحدثني الزُّهْرِيُّ ابْنُ شَهَابٍ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ وَقَدِ رَجَلُوا جَمْعَهُمْ^(٥)، وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جَبَبُ الْحَبْرَةِ^(٦)، وَقَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ^(٧)، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَمْ تُسَلِّمُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟ قَالَ: فَشَقَّوْهُ مِنْهَا فَالْقَوْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ، وَأَنْتَ ابْنُ أَكْلِ الْمُرَارِ. قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ نَاسِبُوا بِهَذَا النِّسْبِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ تَاجِرَيْنِ، وَكَانَا إِذَا شَاعَا^(٨) فِي بَعْضِ الْعَرَبِ فَسُئِلَا مِمَّنْ هُمَا قَالَا: نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ! يَتَغَرَّزَانِ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ كِنْدَةَ كَانُوا مَلُوكًا - ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: لَا، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو^(٩) أَمْنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا، فَقَالَ الْأَشْعَثُ ابْنُ قَيْسٍ: هَلْ فَرَّغْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ؟ وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُهَا إِلَّا ضَرَبْتَهُ ثَمَانِينَ!

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

وقدم على رسول الله ﷺ صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فِي وَفْدِ

(١) يقتصده: يقتله.

(٢) يدمغه: يخرج دماغه. ويخطمه: يكسره. ويخضمه: ضرب من برود اليمن ذو خطوط.

(٣) يأكله. ويزدده: يتلعه.

(٤) ساف: شم. والثغر في البهائم بمنزلة الرحم في الناس.

(٥) الحولاء: الجلود التي يخرج فيها ولد الناقة.

(٦) الجببة: جمع جب، وهي ضرب من الثياب. والحبرة: يريد مشطوا شعورهم وسرحوها.

(٧) لا نقفو أمانا: لا تتبعها في نسبها، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه.

(٨) شاعا: بعدا.

(٩) لا نقفو أمانا: لا تتبعها في نسبها، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه.

من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على مَنْ أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَنْ كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صُرْدُ بن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بِجَرْشَ، وهي يومئذ مدينة مُغلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضَوَّتْ إليهم^(١) خُتْعُمُ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له «شُكْر» ظَنَّ أهل جَرْشَ أنه وليّ عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جَرْشَ بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينهما عند رسول الله ﷺ عَشِيَّةٌ بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «بأيِّ بِلَادِ اللَّهِ شُكْرُ؟ فقام الجُرْشَيَانِ فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جَبَلُ يقال له كَشْرٌ - وكذلك يسميه أهل جَرْشَ - فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشْرٍ وَلَكِنَّهُ شُكْرٌ». قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتَنْحَرَّ عِنْدَهُ الْآنَ».

فجلس الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكميا!! إن رسول الله ﷺ الْآنَ لَيُنْعِي قَوْمَكُمَا، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعُو اللَّهَ أن يرفعَ عن قومكما. فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: اللَّهُمَّ ارفعْ عنهم! فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرْدُ بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

وخرج وفدُ جَرْشَ حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا، وحمى لهم حمى حَوْلَ قريتهم، على أعلام معلومة: للفرس، والراحلة^(٢) وللمثيرة^(٣) بَقَرَةُ الْحَرْثِ، فمن رعاها من الناس فماله سُحتٌ^(٤).

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِمِيرٍ مَقْدَمُهُ من تَبُوكَ، ورسولُهُم إليه^(٥) بإسلامهم: الحارثُ بن عبد كَلَالٍ، ونُعَيْمُ بن عبد كَلَالٍ والتُّعْمَانُ قَيْلُ ذِي رُغَيْنَ^(٦) ومَعَاظِرُ وَهْمَدَانَ.

(٥) في بعض النسخ «رسل ملوك» بصيغة الجمع،

و«رسلهم» إليه كذلك. والرسول من الألفاظ التي

يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

(٦) القيل، يقال: هو الملك، ويقال: بل هو الذي دون =

(١) ضوت: انضمت ولجأت واتصلت بهم.

(٢) الراحلة: واحدة الرواحل، وهي الإبل.

(٣) المثيرة: البقرة، لأنها تقلب الأرض.

(٤) سحت: حرام لا يحل له أن يأكله.

وَبِعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةُ دُوَيْرَ، مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَائِي بِإِسْلَامِهِمْ، وَمَفَارَقَتَهُمُ الشَّرِكِ وَأَهْلَهُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ، إِلَى الْخَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَّالٍ، وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ كُلَّالٍ، وَإِلَى التُّعْمَانِ قَبِيلِ ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَاوِرٍ وَهَمْدَانَ.

أَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ فَإِنِّي أَخَذْتُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقَيْنَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَرْنَا مَا قِيلَ لَكُمْ وَأَنْبَأْنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقِتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهِدَاهُ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقِمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَصِفِيهِ^(١) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ، مِنَ الْعَقَارِ^(٢) عَشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ^(٣) نِصْفَ الْعُشْرِ. وَإِنْ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةً لَبُون. وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنٌ لَبُونٌ ذَكَرٌ، وَفِي كُلِّ خُمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ^(٤)، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ وَإِنَّا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي قَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ أَذَى ذَلِكَ وَأَشْهَدُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ.

وَأِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يُسَرَّدُ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجَزْيَةُ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ، دِينَارٌ وَاقٍ مِنْ قِيَمَةِ الْمَغَافِرِ^(٦) أَوْ عَوَضُهُ ثِيَابًا، فَمَنْ أَذَى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةِ ذِي يَزْنَ: أَنْ إِذَا أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ

= الْمَلِكُ الْأَعْلَى، وَهَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ.

سَتَيْنِ فَهُوَ جَذَعٌ.

(١) الصَّفَى: مَا يَصْطَفِيهِ الرَّئِيسُ مِنَ الْغَنِيمَةِ.

(٥) ظَاهِرُ الْمُؤْمِنِينَ: عَاوَنُهُمْ وَقَوَاهُمْ وَكَانَ مَعَهُمْ عَلَى مِنْ

(٢) الْعَقَارُ، هُنَا الْأَرْضُ، وَهُوَ يَفْتَحُ الْعَيْنَ.

سَوَاهِمِ.

(٣) الْغَرْبُ، يَفْتَحُ وَسَكُونٌ: هِيَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ.

(٦) الْمَغَافِرُ: ثِيَابٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ.

(٤) التَّبِيعُ: مَا اسْتَكْمَلَ سَنَةً مِنْ وَلَدِ الْبَقَرِ، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ

نجر، ومالك بن مرة، وأصحابهم. وأن اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من تخالفكم^(١)، وأبلغوها رُسلي. وإن أميرهم معاذ بن جبل. فلا يتقبلن إلا راضياً.

أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله، وأنه عبده ورسوله.

ثم إن مالك بن مرة الرَّهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تحاذلوا، فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحل لمحمد، ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل.

وإن مالكا قد بلغ الخير وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً. وإنني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، وأمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق:

وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث، أن رسول الله ﷺ - حين بعث معاذاً - أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: «يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر». وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما بفتح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.»

إسلام بني الحارث بن كعب على أيدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق:

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الرُكبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام

(١) جمع غلاف، وهو لأهل اليمن كالجند لأهل الشام، والكورة لأهل العراق، والرساق لأهل الجبال، والطسوج لأهل الأمواز.

فيهم خالد يَعْلَمُهُمُ الإسلامَ وكتابَ الله وسُنَّةَ نبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا، ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمتُ فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسُنَّةَ نبيه، وإن لم يُسَلِّمُوا قَاتَلْتُهُمْ، وإني قدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثتُ فيهم رُكباناً قالوا: «يا بني الحارث، أسَلِّمُوا تَسَلِّمُوا» فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيمٌ بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به، وأنهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله : إلى خالد بن الوليد.

سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك، تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه. فبشرهم وأنذرهم، وأقبلْ وليقبل معك وفدّهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفدُ بني الحارث بن كعب: منهم قيس بن الحُصَيْن ذِي الغُصَّة، ويزيد بن عبدِ المدان، ويزيد بن المَحْجَل، وعبد الله بن قُرَاد الزُّيَادِي، وشَدَاد بن عبد الله القَنَازِي، وعمرُو بن عبد الله الضُّبَابِي. فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرأهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجالُ الهند؟ قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب. فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سَلِّمُوا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا رُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا؟ فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نَعَمْ يا رسول الله، نحن الذين

إذا زجروا استَقْدُمُوا، قالوا أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالداً لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم. قال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً قال: فَمَنْ حَمَدْتُمْ؟ قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: صدقتُمْ. ثم قال رسول الله ﷺ: بِمَ كُنتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: لم تكن تغلب أحداً. قال: بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم. قالوا: كنا تغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفرق، ولا نبداً أحداً بظلم. قال: صدقتُمْ.

وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحَصِين.

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يكتثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ ورحم وبارك، ورضي وأنعم.

وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن ولّى وفدَهُمْ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ، لِيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَهُمُ السُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ صِدْقَاتِهِمْ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَاباً بِعَهْدٍ إِلَيْهِ فِيهِ عَهْدُهُ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ، عَهْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ. أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ. فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ. وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَأَنْ يَبْشُرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ، وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ، وَيَنْهِيَ النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ، وَيُخْبِرُ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيُلَيِّنُ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَيَبْشُرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَيَعْمَلُهَا، وَيَنْذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلُهَا، وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْحَجُّ الْأَكْبَرُ الْحَجُّ الْأَكْبَرُ، وَالْحَجُّ الْأَصْغَرُ هُوَ الْعُمْرَةُ. وَنَهَى النَّاسَ أَنْ يَصْلِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْباً يَشِيْ طَرَفِيهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ. وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَحْتَبِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُقْضَى بِفَرْجِهِ إِلَى السَّاءِ، وَيَنْهَى أَنْ يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهُ، وَيَنْهَى، إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ، عَنْ الدَّعَاءِ إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَلِيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيَقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضْوءِ وَجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ

إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، وَيَسْحُونَ برؤوسهم كما أمرهم الله. وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع، وَيُقَلِّسُ بالصُّبْحِ^(١)، وَيَهْجُرُ^(٢) بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مَذْبَرَةٌ، والمغرب حين يُقْبَلُ الليل، لا يُؤَخَّرُ حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أَوَّلُ الليل. وأمر بالسَّعْيِ إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرُّوحِ إليها. وأمره أن يأخذ من المغنم خُمْسَ الله.

وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من العَقَارِ عَشْرُ ما سَقَتِ العينُ وسَقَتِ السماء، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصف العشر، وفي كل عَشْرٍ من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له.

وإنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين: له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم.

ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها. وعلى كل حالم ذكر أو أنثى، حرٌّ أو عَبْدٌ، دينارٌ وافيٌّ أو عَوْصَةٌ، ثياباً، فمن أدَّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ رسوله، ومن منع ذلك فإنه عَدُوٌّ لله ولرسوله، وللمؤمنين جميعاً. صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق:

وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان: مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الكذاب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: «أيها الناس، إني قد رجيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما، فنفتختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة».

(١) التغليس: أن يصليه في أول الفجر.

(٢) التهجير: الصلاة في أول وقت الظهر. والهاجرة: نصف النهار حين تزول الشمس.

وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً، كلهم يدعي النبوة».

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعُمَّالَهُ على الصَّدَقَاتِ إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المُهَاجِرَ بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسيُّ، وهو بها، وبعث زياد بن ليث أخا بني بَيَاضَةَ الأنصاري حَضْرَمَوْتَ، وعلى صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعد مالك بن نويرة على صَدَقَاتِ بني حَنْظَلَةَ، وفَرَّقَ صدقة بني سعد على رَجُلَيْنِ منهم: فبعث الزُّبْرَقَانِ بن بَدْرٍ على ناحية منها، وقَيْسَ بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العَلَاءَ بن الحَضْرَمِيِّ على البَحْرَيْنِ، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرَانَ ليُجْمَعَ صدقتهم، وَيُقَدَّمَ عليه بجزيتهما.

كتاب مُسَيْلِمَةَ إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمَةُ بن حبيب قد كتب إلى رسول الله ﷺ:

من مُسَيْلِمَةَ رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقریش نصفَ الأرض، ولكن قُرَيْشاً قَوْمٌ يَعْتَدُونَ. فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سَلَمَةَ بن نُعَيْم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نُعَيْم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: «فما تَقُولَانِ أَنتُمَا؟» قالا: نقول كما قال: فقال: «أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعناقكما».

ثم كتب إلى مُسَيْلِمَةَ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مُسَيْلِمَةَ الكذاب، السلام على من اتَّبَعَ الهدى. أما بعد فإن الأرضَ لله يُورثُها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين». وذلك في آخر سنة عشر.

حَجَّةُ الْوُدَاعِ

فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تَجَهَّزَ للحج وأمر الناس بالجهاز له، وخرج

رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة^(١).

ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجههم، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم، وقد بلغتُ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإنَّ كلَّ رباٍّ موضوع^(٢)، ولكن لکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون. قضی الله أنه لا ربا، وإن ربا عبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كلَّ دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائکم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل - فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يش من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن طُغ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالکم. فاحذروه على دينکم.

أيها الناس، إن النسيء زيادة في الكفر يضلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرِّمونهُ عاماً ليوطئوا عِدَّة ما حرَّم الله فيحلُّوا ما حرَّم الله ويحرِّموا ما أحلَّ الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عِدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متوالية، ورجب مضر^(٣) الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس، فإنَّ لکم على نسائکم حقاً، ولهنَّ علیکم حقاً، لکم عليهن أن لا یوطئن فرشکم أحداً تکرهونه، وعليهن أن لا یأتین بفاحشة مبینة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لکم أن تهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غیر مبرح^(٤)، فإن انتهین فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندکم عوان^(٥) لا یملکن لأنفسهن شیئاً، وإنکم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله.

(١) قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة

الساعدي، ويقال سباع بن عرفة الغفاري.

(٢) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية، يضعه

وضعاً: أسقطه عنه.

(٤) غير مبرح: أي غير شديد، تقول: برح به الأمر، إذا

اشدد عليه وشق.

(٥) عوان: جمع عانية، وهي الأسيرة.

(٣) مضر: رجا إلى مضر لأنها كانت تعظمه، ولم يكن

فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وإن المسلمين إخوة، فلا يحل لامريء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت؟.

فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم. قال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد».

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق:

ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطيء الخيل تحوم البلقاء والدأروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب^(١) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.

خروج رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام:

وقد كان رسول الله ﷺ، بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدثني من أثنى به، عن أبي بكر الهذلي، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صُد عنها يوم الحديبية فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمةً وكافةً، فلا تختلفوا علي كما اختلف الخواريون على عيسى بن مريم». فقال أصحابه: وكيف اختلف الخواريون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسليم، أما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها».

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام.

(١) أوعبوا: خرجوا كلهم، لم يتخلف منهم أحد.

فبعث دَحْيَةَ بن خليفة الكَلْبِيِّ إلى قيصر ملك الروم .
 وبعث عبد الله بن خُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إلى كسرى ملك فارس .
 وبعث عمرو بن أمية الضَّمَرِيُّ إلى النُّجَاشِيِّ ملك الحبشة .
 وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْس ملك الإسكندرية .
 وبعث عمرو بن العاص السَّهْمِيُّ إلى جَنْفَر وعِيَاذ ابني الجُلَنْدِيِّ الأَزْدِيِّ ملكَيْ عُمَانَ .

وبعث سَلِيط بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، إلى ثُمَامَة بن أثال وهَوْدَة بن علي الحَنْفِيِّ ملكي اليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المُنْذِر بن ساوي العبدي ملك البحرين .
 وبعث شُجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام .
 قال ابن هشام : أنا نَسَبْتُ سَلِيطاً وَثُمَامَة وهَوْدَة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزُّهري ، فعرفه ، وفيه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : «إن الله بعثني رحمةً وكافَّةً ، فأدُّوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم» . قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : «دعاهم ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّبَ به فأحبَّ وسلم ، وأما من بَعَّدَ به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلَّم بلغة القوم الذين وجه إليهم» .

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم في الأرض بُطْرُس الحَوَارِيُّ ، ومعه بُولس من الأتباع ولم يكن من الحواريين ، إلى رُومِية ، وأنْدَرَاثُس ومَنْتَا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس . وتُوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق . وفيلبس إلى قَرطاجنة ، وهي إفريقية . ويَحْنَس إلى أَفْسُوس قرية الفتية أصحاب الكهف . ويعقُوبُوس إلى أورشليم ، وهي إيلياء قرية بيت المقدس . وابن ثُلَاء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز . وسيمُن إلى أرض البربر . ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يُوْدِس .

آخر البعوث

قال ابن إسحاق:

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطيء الخيل تحوّم البلقاء والدأروم من أرض فلسطين. فتجهّز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون^(١).

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق:

فبينما الناس على ذلك ابتديء رسول الله ﷺ بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليالٍ بَقَيْنَ من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتديء به من ذلك - فيما ذكر لي - أنه خرج إلى بَقِيع الغرقد^(٢) من جوف الليل فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتديء بوجعه من يومه ذلك.

عن أبي مَوْهَبَةَ مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يَا أَبَا مَوْهَبَةَ، إني قد أَمَرْتُ أن استغفر لأهل هذا البقيع، فأنطلقَ معي. فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال:

«السَّلَامُ عليكم أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يَتَّبِعُ آخرها أولها، الآخرةُ شرٌّ من الأولى».

ثم أقبل عليّ فقال: يَا أَبَا مَوْهَبَةَ، إني قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة.

فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: لا، والله يا أبا مَوْهَبَةَ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة.

ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وَجَعَهُ الذي قبضه الله فيه.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

رَجَعَ رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجذُ صداعاً في رأسي، وأنا أقول:

(١) أوعبوا معه: خرجوا بأجمعهم في الغزو.

(٢) بَقِيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة.

وارأساه ! فقال : بل أنا والله يا عائشة ، وارأساه ! ثم قال : وما ضرك لو متُّ قبلي فقامت عليك وكففتك وصليت عليك ودفتك ؟ قلت : والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك .

قالت : فتبسم رسول الله ﷺ . وتأم به وجعه وهويدور على نسائه ، حتى استعز به (١) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

ذكر أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين

قال ابن هشام : وكُنَّ تسعاً : عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن خزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي بن أخطب ، فيها حدثني غير واحد من أهل العلم .

وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة :

(خديجة بنت خويلد) : وهي أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة (٢) فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم ، إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بنت أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة . وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية .

وتزوج رسول الله ﷺ (عائشة بنت أبي بكر الصديق) بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، وبني بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرة غيرها ، وزوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم .

وتزوج رسول الله ﷺ (سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي) ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مولك بن حسل . وأصدقها رسول

(١) استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه ﷺ .

(٢) البكرة : الفتيه من الإبل .

اللَّهُ ﷺ أربعمائة درهم^(١). وكانت قبله عند السَّكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِشَل.

وتزوَّج رسول الله ﷺ (زينب بنت جحش بن رِثاب الأسدية)، زَوْجَه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾.

وتزوج رسول الله ﷺ (أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية)، واسمها هند، زَوْجَه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسولُ الله ﷺ فراشاً حُشْوُهُ لِفَتْ، وقَدْحاً وصَحْفَةً، ومِجَنَّةً^(٢) وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، واسمها عبد الله، فولدت له: سلمة، وعُمر، وزينب، ورقية.

وتزوج رسول الله ﷺ (حفصة بنت عُمر بن الخطاب) زَوْجَه إياها أبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذَافَةَ السُّهْمِيِّ.

وتزوج رسول الله ﷺ (أم حَبِيبَةَ - واسمها زَمْلَةُ - بنتُ أبي سفيان بن حرب)، زَوْجَه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النَّجَاشِيُّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسولِ الله ﷺ. وكانت قبله عند عُيَيْدِ اللَّهِ بن جحش الأسدي.

وتزوج رسول الله ﷺ (جُوَيْرِيَّةُ بنت الحارث بن أبي ضَرَارِ الحِزْرَاعِيَّةُ)، كانت في سبَايا بني المُصْطَلِقِ من حِزْرَاعَةٍ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاسِ الأنصاري، فكَاتَبَهَا على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فقال: « هل لك في خيرٍ من ذلك ؟ » قالت: وما هو ؟ قال: « أقضي عنك كتابتكِ وأتزوَّجُكِ ». فقالت: نعم. فتزوجها.

قال ابن هشام:

ويقال لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِقِ ومعه جُوَيْرِيَّةُ بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُوَيْرِيَّةَ إلى رجل من الأنصار وديعةً، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ بالمدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضَرَارِ بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نَظَرَ إلى الإبل التي جاءت للفداء فرغب في بيعين منها، فَعَبَّيْهُمَا في شِعْبٍ من شعاب العقيق،

(١) قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، في هذا الوقت.
يذكر أن سليطاً وأباً حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة (٢) المجشة: أراد بها الرحي.

ثم أتى النبي ﷺ، فقال يا محمد أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها. فقال رسول الله ﷺ فأين البعيران اللذان غيبت بالحق في شيعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله ﷺ، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى! فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفعا الإبل إلى النبي ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله. ويقال: اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس فاعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمائة درهم.

وتزوج رسول الله ﷺ (صفية بنت حنيفة بن أخطب)، سبأها من خير، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقاً وتمرأ. وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق.

وتزوج رسول الله ﷺ (ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة)، زوجة إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَامْرَأَةٌ مُّؤْمِنَةٌ إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾. ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي زينب بنت جحش. ويقال: أم شريك غزية بنت جابر بن وهب، من بني منقر بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤي. ويقال: بل هي امرأة من بني سامة بن لؤي، فأرجأها^(١) رسول الله ﷺ.

وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم، زوجة إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ، إحدى عشرة. فمات قبله منهن اثنتان:

(١) أي آخر امرأها.

خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، وتوفي عن تسع ذكراهن في أول الحديث.

واثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضا، فمتعتها وردّها إلى أهلها. وعمرة بنت يزيد الكلابية، وكانت حديثه عهد بكفر، فلما قدمت على رسول الله ﷺ استعادت من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «مَنِيعٌ عَائِدُ اللَّهِ» فردّها إلى أهلها. ويقال: إن التي استعادت من رسول الله ﷺ كندية، بنت عمّ لأساء بنت النعمان، ويقال: إن رسول الله ﷺ دعاها فقالت: إنا من قوم نُؤَيِّ ولا نأتي! فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها.

* * *

(القرشيات) من أزواج النبي ﷺ ست: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُطُوب بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وأمّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

(والعربيات غيرهن) سبع: زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هرم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية. وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ثم المصطلقية. وأسماء بنت النعمان الكندية. وعمرة بنت يزيد الكلابية.

(و من غير العربيات) صفية بنت حُتَيْم بن أخطب، من بني النضير.

عدنا إلى ذكر شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق:

حدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت:

فخرج رسول الله ﷺ بمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن عباس، ورجل

آخر، عاصباً رأسه، تَحُطُّ قدماه حتى دخل بيتي .
قال عبيد الله: فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: علي بن أبي طالب.
ثم عُمر^(١) رسول الله ﷺ واشتدَّ به وجعه، فقال: «هَرِيقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَّى، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ» .
قالت: فأقعدها في مِخْضَبٍ^(٢) لحفصة بنت عُمر، ثم صببنا عليه الماء، حتى طفو يقول: «حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ !!» .
وقال الزُّهري:

حدثني أيوب بن بشير، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صَلَّى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: «إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» .
ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يُريد، فبكى، وقال: بل نحن نُفديك بأنفسنا وأبنائنا !
فقال: «على رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثم قال: «انظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ اللَّافِظَةَ فِي الْمَسْجِدِ^(٣) فَسُدُّوْهَا إِلَّا بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ^(٤) فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدِي يَدًا مِنْهُ» .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل سعيد بن المعلّى:
أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا: «إِنِّي لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صُحْبَةً وَإِخَاءً إِيْمَانٍ، حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عِنْدَهُ» .

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ النَّاسَ في بعث أسامة وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان النَّاسُ قَالُوا فِي إِمْرَةِ أُسَامَةَ: أَمَرَّ غُلَامًا حَدَّثَنَا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ !
فحمد الله، وأثنى عليه بما هو له أهل. ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَفِيدُونَا بَعَثَ أُسَامَةَ، فَلَعَمْرِي لئن قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا» .

ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش النَّاسُ فِي جَهَازِهِمْ^(٥)، واستعزَّ^(٦) برسول الله ﷺ

(١) قال ابن هشام: «يرى إلا باب أبي بكر» .

(٢) انكمشوا: أسرعوا وجدوا.

(٣) استعز به: غلبه واشتد عليه.

(٤) غمر، بالبناء للمجهول: أصابته غمرة المرض.

(٥) المخضب: شبه الإجانة يغسل فيها الثياب.

(٦) اللاظفة في المسجد: أي النافذة إليه.

وجعهُ، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه، حتى نزلوا الجُرْفَ من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتنام إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

قال الزهري: وحديثي عبد الله بن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال، يوم صلى واستغفر لأصحاب أحدٍ وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: « يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً، فإنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَى هَيْبَتِهَا لَا تَزِيدُ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا عَيْتِي^(١) » التي أَوَيْتُ إِلَيْهَا. فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ».

ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته وتنام به وجعه حتى غمِر^(٢).

فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا على أن يَلْدُوهُ^(٣) وقال العباس: لَأَلْدُنَّهُ.

فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي؟ قالوا: يا رسول الله، عمك. قال: هَذَا دَوَاءٌ أَتَى بِهِ نِسَاءُ جَنَّتْ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْأَرْضِ - وَأَشَارَ نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ - وَلَمْ تَفْعَلْتُمْ ذَلِكَ؟ فقال العباس: خَشِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ، فَقَالَ: « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ، لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ، إِلَّا عَمِّي ». فَلَقَدْ لُدَّتْ مَيْمُونَةُ وَإِنَّا لَصَائِمَةٌ، لَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَقُوبَةً لَهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِهِ.

عن أسامة بن زيد، قال:

لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهَا عَلَيَّ، فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي!

عن عائشة قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيراً مَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ: « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَهُ ». قَالَتْ: فَلَمَّا حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: « بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ ». قُلْتُ: إِذَا وَاللَّهِ لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتَ أَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ لَنَا: « إِنْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبِضْ حَتَّى يُخَيَّرَ ».

(١) عية الرجل: خاصته وموضع سره.

(٣) لده: سقاء اللدود، وهو بالفتح: ما يسقاه المريض في أحد شقي فمه.

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٦٥.

صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :

لما استعزَّ^(١) برسول الله ﷺ قال : « مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس » . قلت : يا نبي الله ، إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ ، ضعيفُ الصوت ، كثيرُ البكاء إذا قرأ القرآن ! قال : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بالناس » . فعدتُ بمثلِ قولِي ، فقال : « إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ فَمُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بالناس » . فوالله ما أقول ذلك إلاَّ أَنِّي كنتُ أحبُّ أن يُصَرَّفَ ذلك عن أبي بكر ، وعرفتُ أنَّ الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وأنَّ الناس سيستأثرون به في كلِّ حدثٍ كان ، فكنتُ أحبُّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

عن عبد الله بن زُمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال :

لما استعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين ، دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بالناس » فخرجت فإذا عمرُ في الناس ، وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس . فقام ، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مُجَهَّراً^(٢) - فقال رسول الله ﷺ : « فأين أبو بكر ؟ بأبي الله ذلك والمسلمون ، بأبي الله ذلك والمسلمون ! » . فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلَّى بالناس .

قال عبد الله بن زُمعة : قال لي عمر : وَيْحَكَ ! ماذا صنعتَ بي يا ابن زُمعة ؟ والله ما ظننتُ حين أمرتني إلاَّ أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليتُ بالناس . قلت : والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتُك أحقُّ من حضر بالصلاة بالناس .

قال ابن إسحاق : وقال الزُّهري : حدثني أنس بن مالك :

أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج إلى الناس وهم يصلُّون الصُّبح فرفع السُّرَّ وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ﷺ فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يَفْتَتِنُونَ في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه ، فَرَحاً به ، وَتَفَرُّجاً^(٣) ، فأشار إليهم : أن اثبتوا على صلاتكم . فتبسَّم رسول الله ﷺ سُروراً بما رأى من هيبتهم في صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أحسن هيئةً منه تلك الساعة . ثم رجع ،

(١) انظر ما سبق ص ٢٦٥ .

عرف بشدة الصوت .

(٢) مجهراً : أي رفيع الصوت ، يقال : أجهر الرجل ، إذا (١) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

وانصرف الناس، وهم يُروُونَ أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعهِ^(١)، فرجع أبو بكرٍ إلى أهله بالسُّنح^(٢).

وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «أين أبو بكر؟ يَأْتِي الله ذلك والمسلمون». فلولا مَقَالَةُ قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إِنْ أَسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي^(٣)، وَإِنْ أَتْرَكْتُهُمْ فَقَدْ تَرَكْتُهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي^(٤). فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا. وَكَانَ عَمْرٌ غَيْرَ مَتَّهِمٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ.

وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ، قال: لما كان يومَ الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصِباً رَأْسَهُ، إِلَى الصُّبْحِ^(٥)، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَفَرَّجَ النَّاسُ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَضْنَعُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَصَّ عَنْ مُصَلَّاهُ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالَ: «صَلِّ بِالنَّاسِ». وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، سَعَرَتِ النَّارُ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمْسُكُونَ عَلَيَّ شَيْءٌ، إِنِّي لَمْ أَجَلْ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ، وَلَمْ أَحْرَمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ».

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال له أبو بكر: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضلٍ كما نُحِبُّ، واليوم يوم بنت خارِجَة أفَاتِيهَا؟ قال: نعم. ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

عن عبد الله بن عباس قال:

خرج يومئذ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ العباس بيده ثم قال: يا علي، أنت والله عبْدُ العصا بعد ثلاث، أحلف

(١) أفرق من وجعه: بريء واستبل.

(٢) السُّنح، بضم فسكون: موضع كان لأبي بكر رضي

النضرة للمحب الطبري ٢ : ٧٤

(٣) أي إلى صلاة الصبح.

الله عنه فيه مال، وكان ينزله بأهله.

(٤) يعني أبا بكر.

بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس. فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن مُنِعناه لا يُؤْتيناهُ أحدٌ بعده ! فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضَّحَاءُ من ذلك اليوم .

عن عائشة قالت:

رجع إلي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجرِي، فدخل علي رجلٌ من آل أبي بكر وفي يده سِوَاكٌ أخضر، فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عَرَفْتُ أَنَّهُ يريدُه، فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السِوَاك ؟ قال: نعم . فأخذته فَمَضَعْتُهُ حَتَّى لَبِثْتُهُ، ثم أعطيته إياه، فاستنَّ به^(١) كاشدٌ ما رأيته يستنُّ بسِوَاكٍ قَطُّ، ثم وضعه، ووجدتُ رسول الله ﷺ يثقل في حجرِي، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شَخَصَ، وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ»، فقلت: خَيْرَتَ فَاخْتَرْتَ والذي بعثك بالحق !

وقُبِضَ رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعتُ عائشة تقول:

مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِي وَنَحْرِي^(٢) وفي دولتي^(٣)، لم أظلم فيه أحداً، فَمِنْ سَفَهِي وحادثة سني أن رسول الله ﷺ قُبِضَ وهو في حجرِي، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت أَلْتَدِمُ^(٤) مع النساء وأضرب وجهي .

عن أبي هريرة، قال:

لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات . والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

(١) أي استاك به .

(٢) في دولتي: تريد في نوبتها التي كانت لها .

(٣) السحر: الرقة وما يتصل بها إلى الخلقوم، وهو يفتح

(٤) التدم: أضرب صدري .

فسكون أو يغم فسكون . والنحر: أعلى الصدر .

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مُسَجًى^(١) في ناحية البيت، عليه بُرْدُ جَبَرَةٍ^(٢)، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليه فقبَّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد دُفِّتْها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً! ثم ردَّ البُرْدَ على وجه رسول الله ﷺ ثم خرج وعُمِرَ يكلم الناس، فقال: على رِسْلِكَ يا عمر، أنصت. فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيُّها الناس، إنَّه من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ، وأخذها الناس عن أبي بكر، فإغما هي في أفواههم.

فقال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ^(٣) حتى وقعت إلى الأرض ما تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق:

ولما قُبِضَ رسول الله ﷺ انحاز هذا الحَيُّ من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن حُضَيْرٍ في بني عبد الأشهل، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر فقال: إن هذا الحَيُّ من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليهِ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفَرِّغْ من أمره، قد أغلق دونه الباب أهله. قال

(١) مسجى: مغطى.

(٢) جبرة: بالبناء للمجتول: دهشت وتحيرت.

(٣) هو ضرب من ثياب اليمن.

عمر: فقلت لأبي بكر. انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه.

عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال - وكنت في منزله بمنى أنتظره وهو عند عمر في آخر حَجَّة حَجَّها عمر، فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدني في منزله بمنى أنتظره، وكنت أقرئه القرآن - فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: واللّه لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، واللّه ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت! قال: فغضب عمر، فقال إني إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس فمَحَذَرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغِصُّوهم أمرهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رَعاع الناس، وَغَوَاءَهُمْ^(١) وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك حين تقوم في الناس، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير، ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها، فأنهّل حتى تقدّم المدينة، فإنها دار السُّنة، وتخلّص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها. فقال عمر: أما واللّه إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة!

قال ابن عباس:

فقدما المدينة في عَقِب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عَجَلْتُ الرواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حَذْوَهُ تَمَسَّ ركبتي ركبته، فلم أنشُب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد: لَيَقُولَنَّ العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف! فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله؟ فجلست عمر على المنبر، فلما سكّت المؤذن قام فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد، فإنّي قاتل لكم اليوم مقالة قد قُدِّر لي أن أقولها، ولا أدري لعلها بين يديّ أجلي، فمن عَقَلَهَا ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ. إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها. ورَجَمَ رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، واللّه ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا

(١) الرعاع: سقاط الناس، وأصل الغوغاء الجراد، فشبّه سفال الناس به لكثرتهم.

قامت البيعة، أو كان الحبل، أو الاعتراف. ثم إنا قد كنا نقرأ من كتاب الله: لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كَفَرُ بَكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ. أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا! فَلَا يَغُرُّنَّ أَمْرًا أَنْ يَقُولَ: إِنْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً فَتَمَّتْ، وَإِنَّمَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَفَّى شَرْهَاءَ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْ تَنْقُطِ الْأَعْتَاقِ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ لَا بَيْعَةَ لَهُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغَرُّهُ أَنْ يُقْتَلَ^(١). إِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبْرِنَا - حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ - أَنَّ الْأَنْصَارَ خَالَفُونَا، فَاجْتَمَعُوا بِأَشْرَافِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَتَحَلَّفَ عَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَانْطَلَقْنَا نُوْمُهُمْ، حَتَّى لَقِينَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرْنَا لَنَا مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، وَقَالَا: أَيْنَ تَرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ قُلْنَا نَرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَا: فَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَقْرِبُوهُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، أَقْضُوا أَمْرَكُمْ. قُلْتُ: وَاللَّهِ لِنَأْتِيَنَّهُمْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْنَاهُمْ رَجُلٌ مُزْمَلٌ^(٢)، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: سَعْدُ بْنُ عُבَادَةَ. فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ فَقَالُوا: وَجَعٌ. فَلَمَّا جَلَسْنَا تَشْهَدُ خَطِيئَتَهُمْ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدَ فَتَحْنِ أَنْصَارَ اللَّهِ وَكُتَيْبَةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطُ مَنْ. وَقَدْ دَفَّتْ دَافَةٌ^(٣) مِنْ قَوْمِكُمْ.

قال: وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر. فلما سكنت أردت أن أتكلّم وقد زورت^(٤) في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد^(٥)، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر! فكرهت أن أغضبه، فتكلّم وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديته، أو مثلها، أو أفضل، حتى سكنت. قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن

يؤمن أن يقتلا. عن لسان العرب (غرر).
(٢) مزمل: ملفف، تزلزل الرجل، إذا التف في كساء أو نحوه.
(٣) الدافة: الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة، وهي أيضاً الجماعة تسير برفق.
(٤) زورت مقالة: أعددتها وحسبتها في نفسي.
(٥) يريد أنه قد كان في أخلاقه بعض الحد، فكان جهد عمر أن يداريه.

(١) أي خوف التغير. ومعناه إن البيعة حقها إن تقع بعد مشورة واتفاق، فإذا استبد اثنان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منها بشق العصا وإطراح الجماعة. فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما وليكونا معزولين من الطائفة التي تنفق على تمييز الإمام منها. لأنه لو عقد لواحد منها وقد ارتكبا الفعلة الشنيعة التي احتفظت الجماعة من النهاون بهم والاستغناء عن رأيهم، لم

تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش: هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضى لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم. وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها. وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يُقرَّبني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلُها المُحكِّك، وعُدَيْقُها المُرجَّب^(١) منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

قال: فكثُر اللُّغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى تَخَوَّفَت الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونَزَوْنَا^(٢) على سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عُبَادَةَ. فقلت: قتل الله سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُيُوثُ بْنُ سَاعِدَةَ، والآخر مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ، فأما عُيُوثُ بْنُ سَاعِدَةَ فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يَجِبُونَ أَنْ يَنْظَهُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُيُوثُ بْنُ سَاعِدَةَ». وأما مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ فبلغنا أن الناس بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حين تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقالوا: وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا مُتْنَا قَبْلَهُ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ. قَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ: لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مَتَّ قَبْلَهُ، حَتَّى أَصْدَقَهُ مِثْلَ مَا صَدَّقْتَهُ حَيًّا! فَقُتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مَسِيلَةِ الْكَذَابِ.

وحدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك، قال:

لما بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

أيها الناس، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدُهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ولكي قد كنت أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيُذَبِّرُ أَمْرَنَا - يَقُولُ: يَكُونُ آخِرُنَا - وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ،

(١) الدليل: تصغير جذل، وهو عود ينصب للإبل تحثك

دعامة، لكثرة حمله وعزه على أهله، وهو مضروب به

المثل للرجل الشريف المجل.

به وتسترىح إليه. والعرب تضرب به المثل للرجل

يستشفى براحه. والعديق: تصغير علق، وهي

النخلة نفسها. والمرجب: الذي تنهى إلى جانب

فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر ببعته العامة بعد بيعة السقيفة

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فاعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصديق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح^(١) عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا لأهلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحكم الله.

عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له وفي يده الدرة^(٢) وما معه غيري، وهو يحدث نفسه، ويضرب وخشي قدميه^(٣) بدرته، إذ التفت إلي فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملي على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، انت أعلم. قال: فإنه والله إن كان الذي حملي على ذلك إلا أنا كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخر أعمالها، فإنه للذي حملي على أن قلت ما قلت.

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

قال ابن إسحاق:

فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء.

فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين ولوا غسله، وأن أوس بن خولي أحد بني عوف قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ - وكان أوس من أصحاب

(١) أراحه: أرجعه ورده.

(٢) الدرة: ضرب من السباط يضرب به، يكون (٣) وخشي القدم: جانبها الخارجى.

رسول الله ﷺ وأهل بدر - قال: ادخل. فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاة هما اللذان يصبان الماء وعلي يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعلي يقول: بآبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا!!

ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.

عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه. فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه، والقميص دون أيديهم.

قال ابن إسحاق:

فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين^(١) وبرد جبرة أدرج فيه إدراجا.

عن ابن عباس، قال:

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرخ^(٢) كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد^(٣)، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خذ لرسول الله ﷺ. فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ.

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وُضع على سريرته في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما قبض نبي إلا دُفن حيث يُقبض ».

الأرض شقاً.

(١) صحاريين: نسبة إلى صحار، وهي بلدة من بلاد

(٣) اللحد: الشق يكون في جانب القبر.

اليمن. ويقال: هي عمان.

(٢) الضرخ: الشق. والضريح: القبر يشق في وسط

فُرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحُفِر له تحتَه، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّونَ عليه أرسالاً^(١)، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يُؤمَّ الناس على رسول الله ﷺ أحدٌ.

ثم دفن رسول الله ﷺ من وَسط الليل ليلة الأربعاء.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صَوْتَ الْمَسَاحِي^(٢) من جَوْف الليل من ليلة الأربعاء.

قال ابن اسحاق:

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقُثم بن عباس، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوس بن خُوَليٍّ لعلي بن أبي طالب: يا علي أنشدك الله وَحْظَنَا من رسول الله ﷺ! فقال له: انزل. فنزل مع القوم.

وقد كان مولاه شُقْران - حين وُضِعَ رسول الله ﷺ في حُفْرته وبُنيَ عليه - قد أخذ قطيفة^(٣) قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً!

قال: فدفنتُ مع رسول الله ﷺ.

وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعي أنه أخذتُ الناس عهداً برسول الله ﷺ، يقول: أخذتُ خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سَقَطَ مني وإنما طرحته عمداً لَأَمْسُ رسول الله ﷺ فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ.

عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال:

اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع، فسكب له غسل فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه. قال: أظنُّ المغيرة بن شعبة يحدِّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً

(١) أرسالاً: جماعة بعد جماعة، الواحد رسل بالتحريك. (٣) القطيفة: كساء له خل، أي أهداب.

(٢) المساحي: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد.

برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك. قال: أخذت الناس عهداً برسول الله ﷺ فأنتم بن عباس.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدثته قالت:

كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء^(١) حين اشتدَّ به وجعه، قالت: فهو يضعها مرة على وجهه، ومرة يكشفها عنه، وهو يقول: «قاتل الله قوماً اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد!»، يحذر من ذلك على أمته.

عن عائشة، قالت:

كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ: أن قال: «لا يترك بحزيرة العرب دينان».

قال ابن اسحاق:

ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة - فيما بلغني - تقول:

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشترأت اليهودية^(٢) والنصرانية، ونجم النفاق^(٣)، وصار المسلمون كالغنم المطيرة^(٤) في الليلة الشاتية، لفقدانهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم:

أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد^(٥)، فتواري، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه!!

فتراجع الناس، وكفوا عما هموا به، وظهر عتاب بن أسيد.

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدّمه».

(١) الخميصة: كساء أسود مربع، له علمان، أي

(٢) نجم النفاق: ظهر وبدا.

(٣) المطيرة: التي أصابها المطر.

(٤) اشتراب الرجل: صعد عنقه لينظر. ومعناه تطلعت وبرزت.

(٥) عتاب بن أسيد: كان والي مكة وأميرها حين وفاة النبي ﷺ.

وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله ﷺ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد

الأنصاري:

بَطْنِيَّةَ رَسَمَ لِلرُّسُولِ وَمَعَهُدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وَوَاضِحِ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ
بِهَا حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرُّسُولِ، وَعَهْدُهُ
ظَلَّلَتْ بِهَا أَبْكِي الرُّسُولَ فَاسْعَدَتْ
يُذَكِّرُنَ آلاءَ الرُّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهًا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغْتَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَةً
اطَّالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
قُبُورِكَ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَبُورِكَ
وَبُورِكَ لَحْدُ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبٌ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا جِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَأَحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يُبْكُونَ مِنْ تَبْكِي السَّمَوَاتِ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتَ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
تَقْطَعُ فِيهِ مُنْزَلَ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ

مُنِيرٌ وَقَدْ تَعَفُّوا الرُّسُومَ وَتَهَمَّدُ^(١)
بِهَا مَنِيرٌ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ^(٢)
وَرَبْعُ لَهُ فِيهِ مُصَلًى وَمَسْجِدُ
مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ^(٣)
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ^(٤)
عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْحَفْنِ تُسْعِدُ^(٥)
هَذَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلُدُ
فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرُّسُولِ تُعَدُّ^(٦)
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّدُ^(٧)
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرُّشِيدُ الْمُسَدَّدُ^(٨)
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ^(٩)
عَشِيَّةٌ عَلَوُهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضَدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ^(١٠)
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ^(١١)
وَيُنْقَدُ مِنْ هَوْلِ الْحَزَايَا وَيُرْشَدُ

(٧) العشير: العشر. توجد، من الوجد، وهو الحزن.

(٨) ثوى: أقام. المسدد: الذي هدى إلى السداد، وهو الصواب.

(٩) تهيل: نصب، الأسعد: جمع السعد.

(١٠) عدله: ساواه. الرزية: المصيبة.

(١١) يغور: يبلغ الغور، وهو تهامة وما يلي اليمن. وينجد: يأتي نجداً.

(١) طيبة بفتح الطاء: اسم للمدينة. والرسم: ما بقي من آثار الدار.

(٢) تمتحي: تزول. الآيات: العلامات.

(٣) الآي: جمع آية.

(٤) الملحد: الذي يضع الميت في لحده.

(٥) تسعد: تعين. والإسعاد: المعاونة.

(٦) شفها: أضفها وأهزلها.

إِمَامٌ لَّهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدُوا
عَفْوُ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحِمْلِهِ
فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحُورُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُشْيِ جَنَاحَهُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُوداً إِلَى اللَّهِ رَاجِعاً
وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحِشاً بِقَاعِهَا
قَفَاراً سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا
وَمَسْجِدُهُ قَالُوحِشَاتٍ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ نَمَّ أَوْحِشَتْ
فَبِكَيْ رَسُولِ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٍ
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
أَعَفٌ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَبْدَلُ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمُ صَيْتاً فِي الْبَيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعُ ذُرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا
وَأَثْبَتَ فُرْعاً فِي الْفُسُوعِ وَمُنْبِتاً

مُعَلِّمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
وَإِنْ يُخْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَمَنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
ذَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يَقْصُدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَتَدَوُّوا
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَعْتَدُ^(١)
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ^(٢)
يُنْكِيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ^(٣)
لِعَيْبَةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْتَدُ
فَقَيْدُ يُنْكِيهِ بِلَاطٍ وَعَرْقُدُ^(٤)
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٍ وَعَرَصَاتٌ وَرَبِيعٌ وَمَوْلِدُ^(٥)
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ^(٦)
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ^(٧)
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ^(٨)
إِذَا ضُنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يَتَلَدُ^(٩)
وَأَكْرَمُ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ^(١٠)
دَعَائِمُ عَزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ^(١١)
وَعُوداً عَدَاهُ الْمَزْنَ فَالْعُودُ أَغِيدُ^(١٢)

(١) الكنف: الجانب والناحية.

(٢) أقصده: أصابه فلم يخطيء مقاتله.

(٣) المرسلات: الملائكة.

(٤) ضافها: نزل بها. البلاط: المستوى من الأرض.
الغرقد: شجر.

(٥) العرصات: جمع عرصة، وهي الساحة، سكن الرء
لضرورة الشعر.

(٦) سابغ: كثير فياض. يتغمد: يستر، والمراد بعم.

(٧) الإعوال: رفع الصوت بالبكاء.

(٨) التنكيد: قلة العطاء، ومنعه.

(٩) الطريف: المال المستحدث. يتلد: يكتب قديماً.

(١٠) الأبطحي: المنسوب إلى أبطح مكة، وهو مكان سهل
متسع.

(١١) الذروات: الأعالي. شاهقات: مرتفعات.

(١٢) المزن: السحاب، واحده مزنة. أغيد: ناعم مثن.

رَبَّاهُ وَلِبْدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبُ
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جَوَارُهُ
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مَجْدُ
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ (١)
مَنْ النَّاسُ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ (٢)
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَاجْهَدُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يكي رسول الله :

مَا بَالُ غَيْبِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا
وَجْهِي بِقَيْمِكَ الشَّرْبَ فَفَنِي لَيْتَنِي
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَطَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَتَبَلِّدًا
أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حُلْ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومُ سَاعَتَنَا فَتَلْقَى طَيْبًا
يَا بَكْرَ أَمَنَةِ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنا مَعًا وَنَبِينَا
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَارْكُتْهَا لَنَا
وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيََتْ بِهَالِكِ
يَا وَيْحَ انْصَارِ النَّبِيَّ وَرَهْطَهُ
ضَاقَتْ بِالْانْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ

كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الْأَزْمَدِ (٣)
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْخَصَى لَا تَبْعِدَ (٤)
غَيْبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ (٥)
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَهْتَدِي
مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ (٦)
يَا لَيْتَنِي صُبْحْتُ سُمِّ الْأَسْوَدِ (٧)
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدٍ
مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمِ الْمُحْتَدِ (٨)
وَلَدْنَاهُ مُحَضَّنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
مَنْ يَهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُونُ الْحُسَيْدِ
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِ
إِلَّا بِكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ (٩)
بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سِوَاءِ الْمُلْحَدِ (١٠)
سُودًا وَجُوهُهُمْ كُلُّونِ الْإِنْمَدِ
وَفُضُولِ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نَجْهَدِ

(١) يفند: يعاب.

(٢) عازب العقل: بعد عنه عقله.

(٣) المآقي: جمع مآقي، وهو مجرى الدمع في العين.

(٤) لا تبعد: لا تهلك. أي ليق ذكرك خالداً.

(٥) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٦) المتبلد: المتحير.

(٧) صبحه: سقاء الصبوح، وهو شرب الصبح.

والأسود: ضرب من الحيات.

(٨) المحض: الخالص. الضريبة: الطبيعة. المحتد: الأصل.

(٩) واللّه أسمع، أي أقسم باللّه لا أسمع: حذف حرف النفي.

(١٠) سواء الملحد، أي وسط اللحد.

والله أكرمنا به وهدي به
صلى الإله ومن يحف بعشره
قال ابن إسحاق:

وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله ﷺ:
نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاجِلَتِي
أَمْ مَنْ نَعَائِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَهُ
فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ يَمْلَحِدِهِ
لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا
ذُلْتُ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلَّهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا (١)
وَرَزَقَ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُوْنَسُوا الْمَطَرَا (٢)
إِذَا اللَّسَانُ عَنَّا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا (٣)
وَعَيَّوْهُ وَالْقَرَا فَوْقَهُ الْمَدْرَا
وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ، أَتْنَى وَلَا ذَكَرَا
وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ قَدِرَا

وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله ﷺ أيضاً:
آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا
تَسَالَلَهُ مَا حَمَلْتُ أَتْنَى وَلَا وَضَعْتُ
وَلَا بَرَا اللَّهَ خَلَقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ
مَنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَظْلُنَ الْبُيُوتِ فَمَا
مِثْلُ الرُّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمِبَاذِلَ قَدْ
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ
مِنِّي الْيَتَةُ بَرًّا غَيْرَ إِفْنَادٍ (٤)
مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
أَوْقَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِيْعَادٍ (٥)
مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادٍ
يَضْرِبُنْ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادٍ
أَيَقُنْ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي (٦)
أَصْبَحْتُ مِنْهُ كِمِثْلِ الْمَفْرَدِ الصَّادِي (٧)

قال ابن هشام:

عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

وجد بآخر نسخة من الأصول ما نصه:

وهذا آخر الكتاب، والحمد لله كثيراً، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه الأخيار الراشدين.

أنشدني أبو محمد بن عبد الواحد، عن محمد بن عبد الرحمن البرقي، قال: أوعب أبو

(١) نهم، أي نهمهم وأخبرهم.

(٢) لم يؤنسوا المطر: لم يحسوه.

(٣) الجنادع: أوائل الشر. عتا: طغا وزاد.

(٤) الألية: اليمين والخلف. الإفناد: الكذب.

(٥) برا، أي براً وخلق.

(٦) المبازل: جمع مبذل، وهو الثوب الذي تبذل فيه.

(٧) الصادي: العطشان.

محمد بن عبد الملك بن هشام في كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال:

تَمَّ الكتاب وصار في العَرَض عشرين جزءاً كلهما ترضي

كملت بلا لحن ولا خَطَل في الشَّكل والإعجام والقرض

والحمل حتى صَحُّ ناقله بعض من العلماء عن بعض

تم تهذيب سيرة ابن هشام في ليلة الخميس، وهي الليلة الأولى من شهر رمضان سنة

١٣٧٤ هـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

١ . فهرس السير والمغازي

٣٦	نصّة بحيرا	١٥	سرد النسب الزكي
٣٧	حرب الفجار	١٦	سياقة النسب من ولد إسماعيل
٣٨	تزويج خديجة	١٦	رؤيا ربيعة بن نصر
٣٩	حديث ورقة بن نوفل		استيلاء أبي كرب تيان أسعد
٣٩	بنيان الكعبة	١٨	على ملك اليمن وغزوة إلى يثرب
٤١	إخبار الكهان والأخبار والرهبان	٢٢	غلبة الحبشة على اليمن
٤٢	صفة رسول الله ﷺ	٢٢	نزاع أرياط وأبرهة
٤٢	صفته من الإنجيل	٢٣	قصة أصحاب الفيل
٤٣	البعث	٢٦	ذكر ولد نزار بن معد
٤٥	ابتداء تنزيل القرآن	٢٧	أولاد عبد المطلب بن هاشم
٤٥	إسلام خديجة	٢٧	والدا رسول الله ﷺ
٤٦	فترة الوحي	٢٧	حضر زمزم
٤٦	أول الناس إسلاما	٢٩	نذر عبد المطلب ذبيح ولده
٤٨	الجههر بالدعوة		ذكر ما قيل لآمنة عند حملها
٥١	قول الوليد بن المغيرة في القرآن	٣١	بالرسول ﷺ
٥١	ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه	٣٢	ولادة رسول الله ﷺ
٥٣	إسلام حمزة	٣٢	حديث حليلة
٥٣	قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله ﷺ	٣٤	حديث شق الصدر
٥٥	ماداريين رسول الله ﷺ وبين رؤساء قريش	٣٥	كفالة جده له
٥٧	صنيع أبي جهل	٣٥	كفالة عمه له

١٠٥	ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ	٥٧	خبر النضر بن الحارث
١٠٦	تاريخ الهجرة	٥٨	ذكر عدوان المشركين على المستضعفين
١٠٦	أول الغزوات	٦٠	الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
١٠٦	سرية عبيدة بن الحارث		إرسال قريش إلى الحبشة في طلب
١٠٦	سرية حمزة إلى سيف البحر	٦١	المهاجرين إليها
١٠٧	غزوة بواط	٦٤	إسلام عمر بن الخطاب
١٠٧	غزوة العشيرة	٦٦	خبر الصحيفة
١٠٧	سرية سعد بن أبي وقاص	٦٧	ذكر ما لقي الرسول من قومه من الأذى
١٠٧	غزوة بدر الأولى	٧١	عودة مهاجرة الحبشة
١٠٨	سرية عبد الله بن جحش	٧١	حديث نقض الصحيفة
١٠٩	صرف القبلية إلى الكعبة	٧٣	أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله
١٠٩	غزوة بدر الكبرى	٧٤	حديث الإسراء
١٢٣	غزوة بني سليم بالكدر	٧٥	قصة المعراج
١٢٤	غزوة السوق	٧٨	وفاة أبي طالب وخديجة
١٢٤	غزوة ذي أمر	٧٩	سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة
١٢٥	غزوة الفرع من بحران	٨١	أمر جن نصيين
١٢٥	أمر بني قينقاع	٨١	عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى القردة	٨٣	بدء إسلام الأنصار
١٢٦	غزوة أحد	٨٤	بيعة العقبة الأولى
١٤٠	يوم الرجيع، في سنة ثلاث	٨٤	بيعة العقبة الثانية
١٤٤	حديث بثر معونة، في سنة أربع	٨٨	شروط بيعة العقبة الأخيرة
١٤٥	إجلاء بني النضير، في سنة أربع	٨٩	نزول الأمر بالقتال
١٤٧	غزوة ذات الرقاع في سنة أربع	٩٠	الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة
١٥٠	غزوة بدر الآخرة، في سنة أربع	٩٠	هجرة الرسول
١٥١	غزوة دومة الجندل، في سنة خمس	٩٧	قدوم قباء
١٥١	غزوة الخندق، في سنة خمس	٩٨	قدوم المدينة
١٥٨	غزوة بني قريظة، في سنة خمس	١٠٠	الخطب والعهود بالمدينة
١٦٥	غزوة بني لحيان	١٠٣	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
١٦٦	غزوة ذي قرد	١٠٤	خبر الأذان

٢٤٧	قدوم فروة بن مسيك المرادي	١٦٨	غزوة بني المصطلق، في سنة ست
	قدوم عمرو بن معد يكرب في	١٧١	خبر الإفك
٢٤٨	أناس من زبيد	١٧٦	أمر الحديبية
٢٤٩	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة	١٧٩	بيعة الرضوان
٢٤٩	قدوم ضرر بن عبدالله الأزدي	١٨٠	أمر الهدنة
٢٥٠	قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	١٨٣	ذكر المسير إلى خيبر، سنة سبع
٢٥٢	وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن	١٨٧	قدوم جعفر والمهاجرين من الحبشة
٢٥٢	إسلام بني الحارث بن كعب	١٨٨	عمرة القضاء، سنة سبع
	ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي	١٩٠	غزوة مؤتة، سنة ثمان
٢٥٥	والأسود العنسي	١٩٤	فتح مكة، سنة ثمان
٢٥٦	خروج الأمراء والعمال على الصدقات	٢٠٨	غزوة حنين، سنة ثمان
	كتاب مسيلمة إلى رسول الله	٢١٥	غزوة الطائف سنة ثمان
٢٥٦	والجواب عنه		أمر أموال هوازن وسباياها
٢٥٦	حجة الوداع	٢١٧	وعطايا المؤلفة قلوبهم منها
٢٥٨	بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين		عمرة رسول الله من الجعرانة،
٢٥٨	خروج رسل رسول الله إلى الملوك	٢٢٢	سنة ثمان
٢٦٠	آخر البعوث	٢٢٢	أمر كعب بن زهير
٢٦٠	ابتداء شكوى رسول الله	٢٢٧	غزوة تبوك، سنة تسع
٢٦١	ذكر أزواجه أمهات المؤمنين		بعث رسول الله ﷺ
٢٦٤	عدنا إلى ذكر شكوى الرسول	٢٣٢	خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة
٢٦٧	صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس	٢٣٤	أمر وفد ثقيف وإسلامها
٢٧٠	أمر سقيفة بني ساعدة	٢٣٧	سنة الوفود ونزول سورة الفتح
٢٧٤	جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	٢٣٧	قدوم وفد بني تميم
٢٧٨	مراثي حسان بن ثابت لرسول الله ﷺ		قصة عامر بن الطفيل وأربد بن
		٢٤١	قيس في الوفادة عن بني عامر
		٢٤٣	قدوم الجارود في وفد عبد القيس
			قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة
		٢٤٤	الكذاب
		٢٤٥	أمر عدي بن حاتم

٢ . فهرس الأعلام

- أحمر، أو أحير، من بني أنصطلق ١٧٠ .
 أحمر بن الحارث بن مالك ٢٠٩ .
 الأخنس بن شريق الثقفي ٦١ .
 أخنوخ = إدريس .
 أدد بن مقوم ١٦ .
 إدريس عليه السلام ١٥ .
 أذبل بن إسماعيل ١٦ .
 أذر بن إسماعيل ١٦ .
 الإراشي ٧٣ .
 أربد بن قيس ٢٤١ ، ٢٤٢ .
 أرطاة بن عبد شر حبيل بن هاشم ١٢٩ .
 أرفخشذ بن سام ١٥ .
 الأرقم بن أبي الأرقم ٤٨ .
 إرم بن ذي يزن ١٧ .
 أروى بنت عبد المطلب ٢٧ .
 أرب العقبه (شيطان) ٨٦ .
 ابن أرب (شيطان) ٨٦ .
 أسامة بن زيد بن حارثة ١٢٨ ، ١٧٤ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ .
 أسد بن خزيمه ٢٦ .
- أ
 آدم عليه السلام ٢٧ ، ٢٠٥ .
 أزر ١٥ .
 أكل المزار ٢٤٩ .
 آمنة بنت وهب ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٢٨٠ .
 أبان بن سعيد بن العاص ١٧٩ .
 إبراهيم عليه السلام ١٩ ، ٢٤ ، ٣٥ ،
 ٤٠ ، ٤٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥١ ، ١٩٨ .
 ٢٠٥ .
 إبراهيم القاسم، ابن الرسول ٣٩ ، ٢٦١ .
 إبراهيم بن محمد بن علي ٤٢ .
 أبرهة الأشرم ٢٢ ، ٢٣ .
 إبليس ٩١ ، ١١٢ .
 أبي بن خلف، أبو عامر ٦٩ ، ١٣٢ .
 ابن أبي بن سلول = عبدالله .
 أبي بن كعب ١٠٤ .
 الأجدع بن مالك ٢٤٧ .
 أحمد رسول الله ٢٧٨ ، ٢٨١ .
 أبو أحمد بن جعش = عبد بن جعش .

- أسد بن فهر ٢٦ .
أسدة بن خزيمه ٢٦ .
أسعد بن زراره ٨٤ .
إسفنديار ٥٨ ، ٦٩ .
أسلم ، غلام بني الحجاج ١١٤ .
أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاق ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٢٠٢ .
أسماء بنت سلامة ٤٨ .
أسماء بنت عميس الخثعمية ٤٨ ، ١٨٨ ، ٢٦٦ .
أسماء بنت النعمان الكنديه ٢٦٤ .
إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١٥ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٢٣٧ .
إسماعيل (ملك ن من الملائكة) ٧٦ .
الأسود بن رزن ١٩٤ .
الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١١٧ .
الأسود والد قارب = الأسود بن مسعود .
الأسود بن كعب العنسي ٢٥٥ .
الأسود بن مسعود بن معتب ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
الأسود بن المطلب ٥٥ ، ٧٠ ، ١٢١ .
الأسود بن مفضود ٢٤ .
الأسود بن نوفل بن خويلد ١٨٨ .
أسيد ٢٠٦ .
أسيد بن حضير ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٧٠ .
أسيد بن ظهير ١٢٨ ، ١٦٧ .
أسيرة بن أبي خارجة ، أبو سليط ٩٨ .
الأشعث بن قيس ٢٤٩ .
أشعر بن نبت بن أدد ١٦ .
ابن الأصداء الهذلي ٧٠ .
أصيرم بني عبد الأشهل = عمرو بن ثابت .
الأعمى = ابن أم مكتوم .
الأقرع بن حابس التميمي ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ .
ابن أبي الأفلح = عاصم بن ثابت .
ابن الأكوع = سلمة بن عمرو ١٦٦ .
أكيدر دومة ، ابن عبد الملك ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
ابن أكيمة الليثي ٢٣٣ .
أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
أميمة بنت عبد المطلب ٢٧ .
أمين الله ، ﷺ ٢٠٨ .
أمينة بنت خلف بن أسعد ٤٨ ، ١٨٨ .
أبو أمية = صفوان بن أمية .
أمية بن خلف بن وهب ، أبو علي ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤١ .
أبو أمية بن المغيرة ٤١ .
أندرائس ٢٥٩ .
أنس بن مالك ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ .
أنسة ، مولى رسول الله ١١٢ .
أنمار بن نزار ٢٦ .
أنيس سائس ٢٤ .
أوبار ١٦٧ .
أوس بن ثابت بن المنذر ١٠٤ .
أوس بن حجر ٩٦ .
أوس بن خولي ٢٧٤ .
أوس بن عوف ٢٣٤ .
أوس بن قيطي ١٥٤ ، ١٦٣ .
إياد بن معد ١٦ .
إياس بن البكير ٤٨ .

أم أيوب ٨١ .

أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .

أيوب بن بشير ٢٦٥ .

أيوب بن عبد الرحمن ١٦٣ .

ب

بادية بنت غيلان ٢١٦ .

بجاذ (رجل من بني سعد بن بكر) ٢١٤ .

بجير بن زهير بن أبي سلمى ٢١٧ .

بحيرا الراهب ٣٦ ، ٣٧ .

أبو البخترى بن هشام ٥٥ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ١١٩ .

بديل بن ورقاء الخزاعي ١٧٧ ، ١٧٨ .

١٩٥ ، ٢٠٠ .

أبو براء = عامر بن الطفيل ، عامر بن مالك .

البراء بن عازب ١٢٨ .

البراء بن معرور ٨٦ ، ٨٧ .

البراق (الدابة) ٧٤ .

برزة بنت مسعود الثقفية ١٢٦ .

أبو برزة الأسلمي ٢٠٤ .

البرقليطس ، اسم الرسول بالرومية ٤٣ .

برة بنت العزى ٢٧ .

برة بنت عبد المطلب ، أم أبي سلمة ٢٧ ، ٧١ .

بريرة مولاة عائشة ١٧٤ .

بسبس بن عمرو الجهني ١١٣ ، ١١٤ .

بشر بن البراء بن معرور ١٨٦ .

بشر بن سفيان الكعبي ١٧٧ .

بشير بن عبد المنذر ١٢٤ .

بطرس الخواري ٢٥٩ .

البكائي شيخ ابن هشام ١٦ .

بنت أبي بكر = عائشة .

أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، عتيق ٤٧ ،

٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٩٠ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،

١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٦ ،

٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

أبو بكر بن عبدالله بن أبي مليكة ٢٦٨ .

أبو بكر الهذلي ٢٥٨ .

البكير بن عبد يا ليل ٤٨ .

بلال مولى أبي بكر = بلال بن رباح .

بلال بن رباح مولى أبي بكر ٥٨ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٤٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢٦٧ .

بولس ٢٥٩ .

بيحرة بن فراس ٨٢ ، ٢١١ .

البيضاء (بغلة الرسول) ٢١١ .

ت

تارح = آزر .

تيان أسعد ١٨ .

تبع = تبان أسد .

توماس ٢٥٩ .

تيرح بن يعرب ١٦ .

تيم بن غالب ٢٦ .

تيم بن مرة ٢٧ .

ث

جهجاه بن مسعود الغفاري ١٦٨ .
أبو جهل، أبو الحكم عمرو بن هشام، ابن
الحنظلية ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٦،
٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٩٢، ١٠٦،
١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩،
١٥٠، ١٥١ .

جهم عمرو بن الحارث ٢٦٣ .
جهم بن قيس ١٨٨ .
جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ١٦٨،
١٧٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤ .
جيفر بن الجلندي

ج

حاتم الطائي ٢٤٦ .
بنت حاتم = سفانة .
بنت الحارث (كيسه) ١٦٢ .
الحارث بن الحارث بن كلدة ٢٢٠ .
الحارث بن حرب بن أمية ٨٨ .
الحارث بن خالد بن صخر ١٨٨ .
الحارث بن ربيعي ، أبو قتادة ١٦٧، ٢١٣ .
الحارث بن زمعة ١٢١ .
الحارث بن أبي شمر ٢١٨، ٢٥٩ .
الحارث بن الصمة ١٣٣، ١٤٤ .
الحارث بن أبي ضرار ١٦٨، ٢٦٢ .
الحارث بن عامر بن نوفل ١١٤ .
الحارث بن عبد قيس ١٨٨ .
الحارث بن عبد المطلب ٢٧ .
الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ١٥٢،
١٥٤ .

ثابت بن اقرم ١٩٢ .
ثابت بن قيس بن الشماس ١٧٠، ٢٣٨،
٢٦٣ .
الثعلب (بعير) ١٧٩ .
ابن ثلثاء ٢٦٠ .
ثمامة بن أثال ٢٥٩ .
ثور بن يزيد ٣٤ .

ز

أبو جابر = عبد الله بن عمرو بن حرام .
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ١٣٧،
١٤٨، ١٦٦، ١٨٠، ٢١٢ .
الجارود بن عمرو بن حنش ٢٤٣ .
جارية بني مؤمل ٥٩ .
جبار بن سلمى ٢٤٠ .
جبريل عليه السلام ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٣،
٧٤، ٧٧، ٩٢، ١٥٨، ٢٠٨ .
جبلة بن الحنبل ٢١١ .
جبير بن مطعم بن عدي ٨٨، ١٣٠، ١٣٤ .
الجد بن قيس ١٨٠، ٢٢٧ .
جعفر بن أبي طالب الطيار، ذو الجناحين
٤٧، ٤٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ١٠٣، ١٨٨،
١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ .
الجلال بن طلحة ١٣١ .
ابنا الجلندي ٢٥٩ .
أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الخطب ٦٨ .
أبو جندل بن سهيل بن عمرو ١٨١ .

الحارث بن فهر ٢٧ .

الحارث بن كلدة ٢١٧ ، ٢٢٠ .

الحارث بن مالك ٢١٠ .

الحارث بن هشام بن المغيرة ١٢٦ ، ٢٠٦ .

حاطب بن أبي بلتعة ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٥٩ .

حاطب بن الحارث ٤٨ .

حاطب بن عمرو ٤٨ .

أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ١٨٨ ،

٢٦١ .

الحباب بن المنذر ١١٥ .

الحجاب بن يزيد ٢٣٨ .

حبيب بن إساف ٩٧ .

حبيب بن عمرو بن عمير ٨٩ .

حبيب بن عينة بن حصن ١٦٧ .

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ١٩٦ ، ٢٦٢ ،

٢٦٤ .

حجل بن عبد المطلب ٢٧ .

حجير بن أبي إهاب ١٤١ .

ابن أبي حدرد = عبدالله .

أبو حذيفة بن عتبة ٤٨ ، ٦٠ ، ١٠٤ ، ١٢٠ .

حذيفة بن اليمان ، أبو عبد الله ١٠٤ ،

١٥٧ .

حرام بن ملحان ١٤٤ .

ابن حرب = أبو سفيان

حرب بن أمية .

حسان بن تيان أسعد ١٨ ، ٢٠ .

حسان أخو أكيندر دومة ٢٣٢ .

حسان بن ثابت الأنصاري ٣٢ ، ١٤٣ ،

١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ،

٢٣٩ ، ٢٧٨ .

الحسن البصري ٧٤ ، ١٦٥ .

حسين بن عبد الله ٢٧٤ .

حصن ، والد عينة ٢٢٠ .

الحصين بن عبد الرحمن ١٣٤ .

ابن الحضرمي = عمرو .

حطاب بن الحارث ٤٨ .

أبو حفص = عمر بن الخطاب .

حفصة بنت عمر بن الخطاب ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٥ ، ٢٦٤ .

الحكم بن أبي العاص ٧٠ .

الحكم بن عمرو بن وهب ٢٣٤ .

الحكم بن كيسان ١٠٩ .

أبو الحكم بن هشام = أبو جهل .

أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ٢٧ .

أم حكيم بنت الحارث بن هشام ١٢٦ ، ٢٠٤ ،

حكيم بن حزام بن خويلد ٤٧ ، ١١٤ ،

١١٦ ، ١١٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٠ .

أبو حكيمة = زمعة بن الأسود ١٢١ .

الحليس بن زيان ١٣٤ ، ١٧٨ .

حليمة بنت أبي ذؤيب ٣٢ ، ٣٣ .

حمالة الخطب = أم جميل .

حماسة ، أم بلال ٥٨ .

حمزة بن عبد الله بن عمر ٢٦٧ .

حمزة بن عبد المطلب ، هاشم ، أسد الله ، أبو

عمارة ٢٧ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٨ ،

١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٩ ،

١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

حنة بنت جحش ١٣٧ ، ١٧٥ .

حناطة الحميري ٢٤ .

أبو حنظلة = أبو سفيان ١٩٨ ، ٢٠٠ .

حنظلة بن أبي عامر ، الغسيل ١٣١ .

ابن الحنظلية = أبو جهل ١١٧ .

الحويرث بن نقيذ ٢٠٣ .

حويطب بن عبد العزى ١٨٩ ، ٢٢٠ .

الحيسمان بن عبد الله ١٢٠ .

حي بن أخطب النضري ١٢٤ ، ١٤٦ .

١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ .

ذ

بنت خارجة ٢٦٨ .

خارجة بن زهير ١٠٣ .

خارجة بن زيد ٩٨ .

خالد بن الكبير ٤٨ ، ١٤٠ .

خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ٩٩ ،

١٠٤ ، ١٨٦ .

خالد بن سعيد بن العاص ٤٨ ، ١٨٨ ،

٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ .

خالد بن معدان الكلاعي ٣٤ .

خالد بن الوليد ١٢٨ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ،

٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

خباب بن الارت ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ .

خبيب بن عدي ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .

خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ٣٨ ، ٣٩ ،

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ١٢٢ ، ٢٦١ .

خراش بن أمية الخزاعي ١٧٩ .

خزيمة بن مدركة ٢٦ .

الخضراء (اسم كتيبة الرسول) ٢٠١ .

ابن الخطاب = عمر .

ابن خطل = عبد الله .

خلاد بن سويد ١٦٥ .

خنيس بن حذاقة السهمي ٤٨ ، ٢٦٢ .

خوات بن جبر ١٥٣ .

خويلد بن أسد ٣٨ ، ٢٦١ .

خويلة بنت حكيم السلمية ٢١٦ .

أبو خيثمة ٢٢٨ .

د

داعس الخزرجي ١٤٦

داود عليه السلام ٢١٧ .

بودجانة = سماك بن خرشة .

دحية بن خليفة الكلبي ١٨٤ ، ٢٥٩ .

أبو الدرداء ١٠٤ .

دريد بن الصمة ٢٠٩ .

دما بن إسماعيل ١٦ .

دوس ذو ثعلبان ٢٢ .

ذ

ذات النطاق ، أسماء بنت أبي بكر ٩٥ .

أبو ذر الغفاري ١٠٤ ، ١٤٧ ، ٢٣١ .

ذو الجناحين = جعفر بن أبي طالب .

ذو الخمار = سبيع بن الحارث ، عوف بن

الربيع .

ذورعين الحميري ٢١ .

ذو الغصة = قيس بن الخنصين .

ذو نفر ٢٣ ، ٢٤ .

ذو نواس = زرعة .

ذويزن ١٨ .

ابنة أبي ذؤيب = حليلة .

ذؤيب بن الأسود بن رزن ١٩٤ .

!

راعوبن فالخ ١٥ .

رافع ، أحد الموالي ١٩٥ .

أبورافع مولى رسول الله ١٨٩ .

رافع بن خديج ١٢٨ .

رافع بن مالك .

الربيع بن أبي الحقيق ١٤٦ .

ابنا ربيعة = شبيبة وعتبة .

ربيعة بن الحارث ٢٤٩ .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٢٥٧ .

ربيعة بن عباد ٨١ .

ربيعة بن نزار ٢٦ .

ربيعة بن نصر ١٦ ، ١٨ .

الرحمن ، لقب مسيلمة ٥٦ .

ابن الرداء (جمل) ٩٦ .

رستم الشيد ٥٨ ، ٦٣ .

أبورغال ٢٤ .

رفاعة بن زيد بن التابوت ١٦٩ .

رفاعة بن سحوال القرظي ١٦٣ .

رفيدة الأسلمية ١٦١ .

رقية بنت رسول الله ٣٩ ، ٦٠ .

رقية بنت أبي سلمة ٢٦٢ .

رملة بنت أبي سفيان = أم حبيبة .

رملة بنت أبي عوف ٤٨ .

الرميصاء = أم سليم بنت ملحان .

أبورهم العفاري = كلثوم بن الحصين .

ابن رواحة = عبد الله .

الروح ، وروح القدس = جبريل ٢٠٧ .

أبورويحة ١٠٤ .

ريحانة بنت عمرو بن خنافة ١٦٣ .

ريطة بنت منبه بن الحجاج ١٢٧ .

!

الزبرقان بن بدر التميمي ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٥٦ .

ابن الزبيري = عبدالله .

الزبير بن عبد المطلب ٢٧ .

الزبير بن العوام ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ١٠٤ ،

١١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٧٩ .

١٩٧ ، ٢٧٠ .

زرعة ذونواس ٢١ .

زرعة ذوزن ٢٥١ .

زمنة بن الأسود بن المطلب ، أبو حكيم

٥٥ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ١٢١ .

زنيرة ٥٩ .

زهير بن أبي أمية بن المغيرة ٧٢ .

زهرة بن كلاب ٢٧ .

الزهري = محمد بن مسلم .

زهير بن أبي سلمى ٩١ .

زهير أبو صرد ٢١٧ .

زياد بن السكن ١٣٢ .

زياد بن ليلى ٩٨ ، ٢٥٦ .

زيد بن أرقم ١٦٨ ، ١٦٩ .

أبو زيد الأنصاري ٢٧٤ .

زيد بن ثابت ١٢٨ .

- زيد بن حارثة ٤٧ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١١٢ ،
 ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٢ ، ١٤١ .
 زيد بن الدثنة ١٤٠ - ١٤١ .
 زيد بن سهل ، أبو طلحة ١٨٣ ، ٢١٢ ،
 ٢٧٥ .
 زيد بن كلاب = قصي بن كلاب .
 زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٣٠ .
 زينب بنت رسول الله ٣٩ ، ١٢٠ .
 زينب بنت جحش ١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
 زينب بنت الحارث ١٨٦ .
 زينب بنت خزيمة ، أم المساكين ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
 زينب بنت أبي سلمة ٢٦٢ .
 زينب بنت أبي هالة ٢٦١ .
- س**
- سابور بن خرزاد ١٨ .
 سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٠٤ .
 ساروغ بن راعو ١٥ .
 سالم بن عمير ٢٢٨ .
 سام بن نوح ١٥ .
 سامة بن لؤي ٢٦ .
 السائب بن عثمان بن مظعون ٤٨ .
 سباع بن عبد العزى الغبشاني ، أبو نيار
 ١٣٠ .
 أبو سبرة بن أبي رهم ٦٠ .
 سبيع بن الحارث ، ذو الخمار ٢٠٨ ، ٢١٣ .
 سراقه بن مالك ، بن جعشم ٩٥ ، ٩٦ ،
 ١١٢ .
- سطيح ١٧ .
 سعاد ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
 سعد بن خيثمة ٩٧ .
 سعد بن الربيع ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٣٥ .
 سعد بن زيد الأنصاري ١٦٣ ، ١٦٧ .
 أبو سعد بن أبي طلحة ١٣٠ .
 سعد بن عبادة بن دليم ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ، ٢٢١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
 سعد بن معاذ بن النعمان ، أبو عمرو ١٠٤ ،
 ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢٣٢ .
 سعد بن أبي وقاص ٤٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٨٢ .
 سعيد بن جبير ٦٠ .
 سعيد بن حريث المخزومي ٢٠٤ .
 سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
 أبو سعيد الخدري ٧٥ ، ١٣٢ ، ٢٢١ ،
 ٢٥٥ .
 أبو أي سعيد الخدري = مالك بن سنان ١٣٢ .
 سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٤٨ ، ٦٥ ،
 ١٠٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ .
 سعيد بن عبيد ٢١٦ .
 سعيد بن المسيب ٧٥ .
 سعيد بن المعلى ٢٦٥ .
 سعيد بن يربوع بن عنكة ٢٢٠ .
 سفانة بنت حاتم ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
 أبو سفيان بن الحارث ١٩٨ ، ٢١٢ .
 أبو سفيان بن حرب ، أبو حنظلة ٥٥ ، ٧٨ ،

أبو سليط = أسيرة بن خارجة .
 سليط بن عمرو ٤٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .
 سليط بن قيس ٩٨ .
 أم سليم بنت ملحان ، الريميصاء ١٨٦ ،
 ٢١٢ .
 سمالك بن خرشة ، أبو دجانة ١٢٩ ، ١٣٢ ،
 ١٣٧ ، ١٤٧ .
 سمرة بن جندب ١٢٨ .
 أبو سنان الأسدي
 أبو سنان بن محسن بن حرثان ١٦٥ .
 سنان بن وبر الجهني ١٦٨ .
 سهل بن حنيف ١٣٧ ، ١٤٦ .
 سهل بن عمرو ٩٩ .
 سهلة بنت سهيل ٦٠ .
 السهمي ٢٢٠ .
 سهيل بن بيضاء ٦٠ .
 سهيل بن عمرو ٩٩ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ٢٢٠ ، ٢٧٧ .
 سودة بنت زمعة بن قيس ٢٦١ ، ٢٦٤ .
 سويد الخزرجي ١٤٦ .
 سويد بن صامت ٨٣ .
 سيمين ٢٥٩ .

ش

شالغ بن أرفخشذ ١٥ .
 شجاع بن وهب الأسدي ٢٥٩ .
 شداد بن الأسود ، ابن شعوب ١٣١ .
 شداد بن عبد الله القناني ٢٥٣ .
 شرحبيل بن غيلان بن سلمة ٢٣٤ .

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ،
 ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٣٦ ،
 ٢٦٢ .

السكران بن عمرو ٢٦٢ .
 سلاقة بنت سعد بن شهيد ١٣١ ، ١٤٠ .
 سلام بن أبي الحقيق النضري ١٤٦ ، ١٥١ .
 سلام بن مشكم ١٢٤ ، ١٨٦ .
 سلمان الفارسي ١٠٤ .
 أبو سلمة = عامر بن ربيعة .
 أبو سلمة = عبد الله بن عبد الأسد .
 أم أبي سلمة = برة .

سلمة بن الأكوع = سلمة بن عمرو
 أم سلمة هند بنت أبي أمية ، زوج الرسول
 ٦١ ، ١٩٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .
 سلمة بن سلامة بن وقش ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١٢٠ .

سلمة بن أبي سلمة ٢٦٢ .
 أبو سلمة بن عبد الأسد ٤٨ ، ٦٠ ، ٧١ ،
 ٢٦٢ .

أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٠٠ .
 سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ١٦٦ ،
 ١٨٥ .

سلمة بن نعيم بن مسعود ٢٥٦ .
 سلمى بن الأسود بن رزن ١٩٤ .
 سلمى بنت عمرو ، أم عبد المطلب ٩٨ .
 سلمى بنت قيس ١٦٣ .

ض

- ضرار بن الخطاب الشاعر .
ضرار بن عبد المطلب ٢٧ .
ضمام بن عمرو الغفاري ١١٠ ، ١١١ .

ط

- طابخة بن الياس ٢٦ .
أبو طالب بن عبد المطلب ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٩ ، ٧٨ .
الظاهر والطيب ، ولد رسول الله ٣٩ .
طعيمة بن عدي بن نوفل ١١٤ .
أبو طلحة = زيد بن سهل .
طلحة بن عبيد الله ٤٨ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٦٦ ، ٢٧٠ .
طليبا بن إسماعيل ١٦ .
عاتكة بنت عبد المطلب ٢٧ ، ٧١ ، ١١٠ ،
١١١ .
أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ١٢١ .
العاص بن وائل السهمي ٧٠ .
عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري
١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ .
عاصم بن عمر بن قتادة ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٧ .
العاصي بن هشام بن المغيرة ١١١ .
العاصي بن وائل ٥٥ ، ٦٨ .
عاقل بن البكير ٤٨ .
أبو عامر = أبي بن خلف .

أم شريك = غزية .

الشعبي ١٨٧ .

شعناء .

ابن شعوب = شداد بن الأسود .

شق ١٦ ، ١٨ .

شقران ، مولى الرسول ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم .

شبية بن ربيعة ٥٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١١٤ ،

١١٨ ، ١١٩ .

شبية بن عثمان ٢١١ .

شيث بن آدم ١٥ .

الشيخ النجدي ٩١ .

الشيء بنت الحارث بن عبد العزى ٢١٤ .

ص

الصديق أبو بكر ٧٥ .

أبو صرد = زهير .

صرد بن عبد الله الأزدي ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

صفوان ابن أمية ١٢٦ ، ١٤١ ، ٢١٠ ،

٢٢٠ .

صفوان بن المعطل السلمي ١٧٢ .

صفية بنت حيي بن أخطب ١٨٤ ، ١٨٦ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

صفية بنت شيبه ٢٠٤ .

صفية بنت عبد المطلب ٢٧ ، ١٣٦ .

صهيب بن سنان الرومي ٤٨ .

صيفي بن أبي رفاعه ١٢٣ .

- أبو عامر الأشعري ٢١٣ .
عامر بن البكير ٤٨ .
عامر بن الحضرمي ١١٧ .
عامر بن ربيعة أبو سلمة ٤٨ ، ٦٠ ، ٩٠ .
عامر بن الطفيل ، أبو براء ١٤٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .
عامر بن فهيرة ٤٨ ، ٥٩ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .
عامر بن لؤي ٢٦ ، ١٨٨ .
عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء ملاعب الأسنة ١٤٤ .
عامر بن أبي وقاص ١٨٨ .
عائشة أم المؤمنين ٤٣ ، ٤٨ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
عباد بن بشر بن وقش ١٠٤ ، ١٦٧ .
عباد بن عبد الله الزبير ٢٦٩ .
عبادة بن الصامت ٨٤ ، ٨٩ ، ١٢٥ ، ١٦٨ .
ابن عباس = عبد الله .
عباس بن عبادة بن نضلة ٨٧ ، ٩٨ .
العباس بن عبد المطلب ، أبو الفضل ٢٧ ، ٤٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
عباس بن مرادس ٢١٨ ، ٢٢٠ .
عباية بن مالك ١٩١ .
عبد بن جنحش ، أبو أحمد ٤٨ ، ٩٠ ، ٢٦٢ .
عبد الدار بن قصي ٢٧ .
عبد الرحمن بن عبد الله ٢٦٥ .
عبد الرحمن بن عوف ٤٨ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ٢٧١ .
عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ٩٧ .
عبد الرحمن بن كعب ، أبو ليلى ٢٢٨ .
عبد شمس بن عبد مناف ٢٧ .
عبد العزى = أبو لهب .
عبد العزى بن قصي ٢٧ .
عبد قصي بن قصي ٢٧ .
عبد الله ، محمد ﷺ ٧٤ .
عبد الله بن أبي بن سلول ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ .
عبد الله بن أرقط ٩٤ ، ٩٧ .
عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٥٥ ، ١٩٨ .
عبد الله بن أبي بكر ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٤٦ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ .
عبد الله بن التامر ٢١ .
عبد الله بن ثعلبة ١٣٦ .
عبد الله بن جبير ١٢٨ .
عبد الله بن جحش ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١٣٧ .
عبد الله بن جدعان ٥٣ .
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١٨٨ .
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١٨٨ .
عبد الله بن عم جويرة ٢٦٣ .
عبد الله بن الحارث بن نوفل ٢٧٦ .
عبد الله بن أبي حدرد ٢١٠ .
عبد الله بن حذافة السهمي ٢٥٩ .

عبد الله بن مسعود ٤٨ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٢٣١ .
 عبد الله بن مظعون ٤٨ .
 عبد الله بن المغفل ٢٢٨ .
 أم عبد المطلب = سلمى بنت عمرو .
 عبد المطلب بن هاشم ، وهو شيبه ١٥ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .
 عبد الملك بن عبد الله الثقفي ٧٣ .
 عبد الملك عبيد الله ٤٣ .
 عبد مناف بن قضي ١٥ ، ٢٧ .
 عبد مناة بن كنانة ٢٦ .
 عبد ياليل بن عمرو بن عمير ٧٩ ، ٢٣٤ .
 العبيد (فرس) ٢١٦ .
 عبيد بن زيد ، أبو عياش ١٦٧ .
 عبيد بن عمير ٤٤ .
 عبيد الله بن جحش ٢٦٢ .
 عبيد الله عبد الله بن عتبة ٢٧٦ .
 أبو عبيدة بن الجراح ٤٨ ، ١٠٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
 عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٤٨ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ٢٦٣ .
 أبو عبيدة (معمربن المثني) ٢٧٧ .
 أم عيسى ٥٩ .
 عتاب بن أسيد بن العيص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٢٢٢ .
 عتبان بن أسيد بن أبي العيص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٧٦ ، ٢٢٢ .
 عتبان بن مالك ٩٨ ، ١٠٤ .
 عتبة بن ربيعة ، أبو الوليد ٥٣ ، ٥٤ ،

أبو عبد الله = حذيفة بن اليمان .
 عبد الله بن خطل ٢٠٤ .
 عبد الله بن أبي ربيعة ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢٦ .
 عبد الله بن رواحة ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥٣ ، ١٩١ .
 عبد الله بن الزبيري ٢٢٣ .
 عبد الله بن زمعة بن الأسود ٢٦٧ .
 عبد الله بن زيد بن ثعلبة ١٠٤ ، ٢٥١ .
 عبد الله بن سعد ٢٠٣ .
 عبد الله بن سهيل بن عمرو ١٨١ .
 عبد الله بن شهاب الزهري ١٣٢ .
 عبد الله بن طارق ١٤١ ، ١٤٦ .
 عبد الله بن أبي طلحة ١٣٤ ، ٢١٢ .
 عبد الله بن عباس ٦٠ ، ٩١ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
 عبد الله بن عبد الأسد ٩٠ .
 عبد الله بن عبد الله بن أبي ١٦٩ .
 عبد الله بن عبد المطلب ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ .
 عبد الله بن عتيق بن عابد ٢٦١ .
 عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٢٨ .
 عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ٨٦ ، ١٢٧ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٢ .
 عبد الله بن عمرو المزني ٢٢٨ .
 عبد الله بن فراء الزياتي ٢٥٣ .
 عبد الله بن كعب بن عمرو ٨٣ ، ١٢٠ .
 عبد الله بن كعب بن مالك ٢٦٦ .

- ٥٥ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٨ ، عريض، أبو يسار ١١٥ .
- ١١٩ ، ١٣١ ، ١٥١ . أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ١٢٣ ،
- ١٣٤ . عتبة بن غزوان ١٠٨ ، ١٠٩ .
- عتبة بن مسعود . ١٨٨ .
- عتبة بن أبي وقاص ١٣١ ، ١٣٢ .
- عتودة غلام أبرهة ٢٢ .
- عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٢٦١ .
- عثمان بين أبي العاص ٢٣٥ ، ٢٦٧ .
- عثمان بن ربيعة بن أهبان ١٨٨ .
- عثمان بن طلحة ٢٠٥ .
- عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ٢١٣ .
- عثمان بن عبد الله بن المغيرة ١٠٨ ، ١٠٩ .
- عثمان بن عفان ٤٨ ، ٦٠ ، ١٠٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٧٦ .
- عثمان بن مظعون الجمحي ٤٨ ، ٦٠ ، ٧١ .
- عداس النصراني ٨١ .
- عدنان بن أد ١٦ .
- عدي بن حاتم ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
- عدي بن حمراء الثفي ٧٠ .
- عدي بن أبي الزغباء الجهني ١١٣ ، ١١٤ .
- عدي بن كعب ٢٦ ، ١٨٨ .
- عرباض بن سارية الفزاري ٢٢٨ .
- عروة بن أسهاء ١٤٤ .
- عروة بن الزبير ٨٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ .
- عروة بن مسعود الثقفي ٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
- عروة بن الورد العبسي ١٤٦ .
- عقبة بن الحارث بن عامر ١٤١ .
- عقبة بن أبي معيط ٧٠ ، ١١١ ، ١٢٠ .
- عقبة بن نمر ٢٥١ .
- عقيل بن الأسود ١٢٠ .
- عقيل بن أبي طالب ٤٧ ، ١٩٣ .
- عك بن عدنان ١٦ .
- عكرمة بن أبي جهل ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ٢٠٣ .
- العلاء بن جارية الثقفي ٢٢٠ .
- العلاء بن الحضرمي ٢٥٦ .
- علبة بن زيد ٢٢٨ .
- أبو علي = أمية بن خلف .
- علي بن زيد بن جدعان ٢٢٦ .
- علي بن أبي طالب، أبو الحسن، أبو القاصم ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
- أبو عمار الوائلي ١٥١ .
- عمار بن ياسر ٤٨ ، ٥٩ ، ١٠٤ .

- عمارة بن حزم ٢٣٠ .
 أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب .
 عمار بن المغيرة ٥٠ .
 عمارة بن الوليد ٥٠ .
 عمارة بن يزيد بن السكن ١٣٢ .
 عمر بن الخطاب ، أبو حفص ٤٨ ، ٥٩ ،
 ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ،
 ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٦ .
 عمر بن أبي سلمة ٢٦٢ .
 عمر بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٦٩ .
 عمر بن مولى غفرة ٤٢ .
 عمرة بنت علقمة الحارثية ١٣١ .
 عمرة بنت يزيد الكلابية ٢٦٤ .
 عمرو = أبو جهل .
 أبو عمرو = سعد بن معاذ .
 عمرو بن أمية الضمري ١٤٤ ، ١٤٥ ،
 ١٨٨ ، ٢٥٩ .
 عمرو بن أمية بن وهب الثقفي ٢١٥ .
 عمرو بن الأهتم ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
 عمرو بن تبان أسعد ٢٠ .
 عمرو بن ثابت بن وقش ، أصرم بني عبد
 الأشهل ١٣٤ .
 عمرو بن جحاش بن كعب ١٤٦ .
 عمرو بن الجموح ١٣٤ .
 عمرو بن حزم ١٢٨ ، ٢٥٤ .
 عمرو بن الحضرمي ١٠٨ ، ١١٧ .
 عمرو بن حمام بن الجموح ٢٢٨ .
 عمرو بن خويلد ٢٦١ .
 عمرو بن سالم الخزاعي ١٩٥ .
 عمرو بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
 عمرو بن طلة ١٨ .
 عمرو بن العاص بن وائل ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ١١٠ ، ٢٥٩ .
 عمرو بن عبد الله الضبابي ٢٥٣ .
 عمرو بن عبدود ١١٤ ، ١٥٥ ، ١٦٥ .
 أم عمرو صاحبة عروة بن الورد ١٤٦ .
 عمرو بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٦٩ .
 عمرو بن معد يكرب ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
 عمرو بن أم مكتوم ١١٢ ، ١٢٠ .
 أبو عمير = فروة بن مسيك .
 عمير بن الحمام ١١٢ ، ١١٨ .
 عمير بن أبي وقاص ٤٨ .
 عمير بن وهب الجمحي ١١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ .
 العنسي = الأسود بن كعب .
 العود (فرس) ١٣٣ .
 عوف بن الحارث ١١٨ .
 عوف بن الربيع ، ذو الخمار .
 عوف بن لؤي ٢٦ .
 عويم بن ساعدة ١٠٤ ، ٢٧٣ .
 عياذ بن الجلندي ٢٥٩ .
 عياش بن أبي ربيعة المخزومي ٤٨ ، ٩٠ .
 أبو عياش = عبيد بن زيد ١٦٧ .
 عيبر بن شالخ ١٥ .
 عيسى بن مريم عليه السلام ٢١ ، ٣٥ ، ٤٢ ،

٦٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ .

غيلان بن مضر ٢٦ .

عينه بن حصن بن بدر الفزاري ١٥٢ ،
١٥٤ ، ١٦٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ .

غ

غالب بن فهر ١٧ ، ٢٦ .

الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ٢٤٣ .

غزية بنت جابر ، أم شريك ٢٦٣ .

الغفارية ١٦٧ .

غيلان بن سلمة ٢١٦ .

ف

الفارعة بنت عقيل ٢١٦ .

فاطمة بنت رسول الله ١٩٦ ، ٢٠٤ .

فاطمة بنت الخطاب ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٥ .

فاطمة بنت المجمل ٤٨ .

فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ١٢٦ .

فالخ بن عيبر ١٥ .

فرات بن حيان ١٢٦ .

فرتنى القينة ٢٠٣ .

فرعون ٧٦ .

فروة بن عمرو ٩٨ .

فروة بن مسيك المرادي ، أبو عمير ٢٤٧ ،

٢٤٩ .

فضالة بن عمير الليثي ٢٠٦ .

أبو الفضل = العباس بن عبد المطلب ٢٠٠ .

الفضل بن عباس ٢٦٤ ، ٢٧٤ .

فكيهة بنت يسار ٤٨ .

فهر بن مالك ٢٦ .

فيلبس ٢٥٩ .

ق

قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ٢٠٨ ،
٢٣٦ .

أبو القاسم ، ٤٤ ، ٥٣ ، ١٤٦ ، ١٥٩ .

القاسم بن محمد ٢٦٨ .

قيصة بن عمرو الهلالي ٢٦٣ .

أبو قتادة = الحارث بن ربيعي .

قثم بن العباس ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

أبو قحافة ، عثمان والد أبي بكر ٤٧ ، ٥٩ ،

٢٠٢ ، ٢٣١ .

قدامة بن مطعون ٤٨ .

أبو القصم ، علي بن أبي طالب ١٣٠ .

قصي بن كلاب ١٥ ، ٢٧ ، ٥٦ ، ٩١ .

قضاة بن معد ١٦ .

قطبة بن قتادة ١٩١ .

قمعة بن الياس ٢٦ .

ابن قمئة الليثي ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ .

قنص بن معد ١٦ .

قيذر بن إسماعيل ١٦ .

قيذم بن إسماعيل ١٦ .

قيس بن الحارث ٢٣٨ .

قيس بن الحصين ، ذو الغصنة ٢٥٣ .

قيس بن عاصم ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ .

قيس بن مخزومة ٣٢ .

قيس بن مكشوح المرادي ٢٤٨ .

قيصر بن ملك الروم ٢٢ ، ١٥٤ ، ٢٥٩ .

قين بن يانش ١٥ .

ك

كاهنة بني سعد هذيم ٢٨ .

أبو كبشة مولى رسول الله ١١٢ .

كرز بن جابر الفهري ١٠٧ .

كسرى ١٥٤ ، ١٧٩ ، ٢٥٩ .

كعب بن أسد القرظي ١٥٣ ، ١٦٢ .

كعب بن زهير بن أبي سلمى ٢٢٦ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ .

كعب بن زيد ١٤٤ .

كعب بن لؤي ٢٦ .

كعب بن مالك ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٤ ،

١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ .

كلاب بن مرة ٢٧ .

أم كلثوم بنت رسول الله ٣٩ .

كلثوم بن الأسود بن رزن ١٩٤ .

كلثوم بن الحصين ، أبو رهم الغفاري ١٩٨ ،

٢٣٣ .

كلثوم بن هدم ٩٧ .

كنانة بن أبي الحقيق النضري ١٥١ .

كنانة بن خزيمة ٢٧ .

كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ١٤٦ ، ١٨٤ ،

٢٦٣ .

كندية ٢٦٤ .

ل

أبو لبابة بن عبد المنذر ١١٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

لبيد بن ربيعة ٢٤٢ .

لخنيعة بنوف ذوشناتر ٢١ .

لقمان ٨٣ .

ابن لقيم العبيسي ١٨٧ .

ملك بن متوشلخ ١٥ .

أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب ٢٧ ،

٥٠ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٢ .

لوط ، عليه السلام ٢١ .

لؤي بن غالب ٢٦ .

أبوليلي = عبد الرحمن بن كعب .

ليل بنت أبي حثمة ٦٠ ، ٩٠ .

م

ماشي بن إسماعيل ١٦ .

مالك بن ربيعة ١٨٨ .

مالك بن زافلة ١٩٠ .

مالك بن سنان ١٣٢ .

مالك بن عباد ١٩٤ .

مالك بن عبادة ٢٥١ .

مالك بن عمرو الأنصاري ١٢٧ .

مالك بن عوف النصري ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

مالك بن أبي قوقل ١٤٦ .

مالك بن كنانة ٢٦ .

مالك بن مرة الرهاوي ٢٥١ ، ٢٥٢ .

مالك بن بني المصطلق ١٧٠ .

مالك بن النضر ٢٦ .

مالك بن نويرة ٢٥٦ .

المأمون ، محمد ﷺ ٢٢٣ .

ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ١٤١ .

متوشلخ بن أخنوع ١٥ .

مسافع بن طلحة ١٣١ .
 أم المساكين = زينب بنت خزيمه .
 مسطح بن أثاثه ١٧٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .
 أم مسطح بنت أبي رهم ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
 مسعر بن ربيعة ١٥٢ .
 أبو مسعود = عمرو بن عمير .
 مسعود بن عمرو بن عمير الغفاري ٧٩ ،
 ٢١٤ .
 مسعود بن القاري ٤٨ .
 مسعود بن معتب ٢٣ .
 مسعود بن هنيده ٩٧ .
 مسمع بن إسماعيل ١٦ .
 مسيلمه بن حبيب الحنفي الكذاب ، الرحمن
 ٥٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ .
 المصطفى ٣٥٥ .
 مصعب بن عمير ٦٠ ، ٨٤ ، ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١٢٨ ، ١٣٧ .
 مضر بن نزار ٢٦ .
 المطعم بن عدي ٥٠ ، ٧٢ .
 المطلب بن أزره ٤٨ .
 المطلب بن حنطب ١٢٣ .
 المطلب بن عبد مناف ٢٧ .
 معاذ بن جبل ١٠٣ ، ٢٥٢ .
 معاذ بن عفراء ٩٩ .
 معاوية بن أبي سفيان ١٤٢ ، ٢٢٠ .
 معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ١٣٩ .
 أم معبد ٩٥ .
 معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٣٨ ، ١٥٠ .
 أبو معتب بن عمرو ١٨٣ .

مجدي بن عمرو الجهني ١٠٦ .
 محارب بن فهر ٢٦ .
 أبو محجن الثقفي ٢١٩ .
 محرز بن فضلة ١٦٧ .
 محرق ٢١٧ .
 محمد ٢١٦ .
 محمد بن إبراهيم بن الحارث ٢٦٨ .
 محمد بن جعفر الزبير ٢٦٥ .
 محمد بن كعب القرظي ٩٢ ، ١٥٧ .
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٨٢ ،
 ١٨٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ .
 محمد بن مسلمة ١٨٤ ، ١٨٥ .
 محمود (فيل الحبشة) ٢٥ .
 محمود بن أسد ١٣٤ .
 محمود بن مسلمة ١٨٢ ، ١٨٤ .
 محمية بن الجزء ١٨٨ .
 محبصة بن مسعود ١٨٥ .
 مخزومة بن نوفل الزهري ١١٠ ، ٢٢٠ .
 مخشي بن عمرو الضمري .
 مخيريق اليهودي ١٣٤ .
 مدركة بن الياس ١٥ ، ٢٦ .
 مذمم (من تلقب المشركين) ٨٧ .
 مراوة بن ربيع ٢٢٨ .
 مرثد بن أبي مرثد الغنوي ١١٢ ، ١٤٠ ،
 ١٤٢ .
 مرحب اليهودي ١٨٤ .
 مرة بن كعب ٢٦ .
 مريم العذراء البتول ٦٣ .

معتب بن قشير ١٥٤ ، ١٦١ .

معد بن عدنان ١٦ .

المعراج (الدابة) ٧٥ .

معمربن الحارث ٤٨ .

معمربن عبد الله بن نضلة ١٨٨ .

معن بن عدي ٢٧٣ .

المعنق ليموت المنذر بن عمرو .

معوذ بن الحارث ١١٨ .

معقيب بن أبي فاطمة ١٨٨ .

المغيرة بن شعبة ١٧٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٧٦ .

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٠ .

المغيرة بن قصي = عبد مناف .

المقداد بن عمرو ١١٣ ، ١٦٧ .

مقسم أبو القاسم ٢٧٦ .

المقوقس ملك الإسكندرية ٢٥٩ .

المقوم بن عبد المطلب ٢٧ .

مقوم بن ناحور ١٦ .

مقيس بن صبابه ١٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

ابن أم مكتوم الأعمى ٧٠ ، ١٣٨ .

مكحول غلام الرسول ٢١٤ .

مكرز بن حفص بن الأخيف ١٢١ ، ١٧٨ ، ١٨٢ .

ملاعب الأسنة = عامر بن مالك .

ملكبان بن كنانة ٢٦ .

أبو مليح بن عروة ٢٣٦ .

مليح الكندي ٨٢ .

منبه (الخزاعي) ١٩٤ .

منبه بن الحجاج ٥٥ ، ١١٤ .

منبه بن عثمان بن عبيد ١٦٥ .

متنا ٢٥٩ .

المنحمناء اسم الرسول بالسريانية ٤٣ .

المنذر بن ساوي العبدي ٢٥٩ .

المنذر بن عمرو ، المعنق ليموت ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٤٥ .

منصور بن عكرمة ٧٢ .

المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ٢٥٦ .

المهدي ، محمد ﷺ ٢٧٦ .

مهليل بن قنين بن يانش ١٥ .

موسى عليه السلام ٤٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١٨٥ ، ١٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ .

أبو موسى الأشعري ١٨٨ ، ٢١٣ .

أبو موييبة مولى الرسول ٢٦٠ .

ميسرة غلام خديجة ٣٨ ، ٣٩ .

ميشا بن إسماعيل ١٦ .

ميمونة بنت الحارث بن حزن ١٨٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

ن

نابت بن إسماعيل ١٦ .

النابعة الذبياني ٩١ .

ناحور بن تيرح ١٦ .

ناحور بن ساروغ ١٥ .

نافع بن بديل بن ورقاء ١٤٤ .

نباش بن إسماعيل ١٦ .

نبيه بن الحجاج ٥٥ ، ١١٥ .

النجاشي ملك الحبشة ٢٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٢١١ ، ١٨٨ ، ٢٦٢ .

النحام = نعيم بن عبد الله .

نزار بن معد ١٦ ، ٢٦ .

نسطاس مولى صفوان بن أمية ١٤١ .

نسية بنت كعب ٨٦ .

النضر بن الخارث بن كلفة ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٩ ،

١١٤ ، ١٢٠ .

النضر بن كنانة ٢٦ .

نضلة بن هاشم بن عبد مناف ٧١ .

النعمان قيل ذي رعين ٢٥١ .

النعمان بن المنذر ١٦ ، ٢١٨ .

نعيم بن عبد كلال ٢٥١ .

نعيم بن عبد الله ، النحام ٤٨ ، ٦٥ .

نعيم بن مسعود ١٥٦ ، ٢٥٦ .

نعيم بن يزيد ٢٣٨ .

نفيل بن حبيب الخثعمي ٢٣ ، ٢٤ .

نمير بن خرشة بن ربيعة ٢٣٥ .

نميلة بن عبد الله ٢٠٤ .

النهدية ٥٩ .

نوح بن ملك ١٥ .

نوفل بن خويلد ١١٤ .

نوفل بن عبد الله بن المغيرة ١٠٨ ، ١٦٥ .

نوفل بن عبد مناف ٢٧ .

نوفل بن معاوية الديلي ١٩٤ .

أبو نيار = سباع بن عبد العزى .



هارون بن عمران عليه السلام ٧٧ ، ٢٢٩ .

هاشم بن عبد مناف ١٥ ، ٢٦ .

أبو هالة بن مالك ٢٦١ .

أم هانيء بنت أبي طالب ٢٠٤ .

هيرة بن أبي وهب المخزومي ١٥٥ ، ٢٠٤ ،

٢٢٣ .

هذيل بن مدركة ٢٦ .

هرقل ١٩٠ ، ١٩١ .

هرمي بن عبد الله ٢٢٨ .

أبو هريرة ١٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

هشام بن صبابة ١٦٩ ، ١٧٠ .

هشام بن عروة ١٤٥ ، ١٨٥ .

هشام بن عمرو ٧١ ، ٧٢ ، ٢٢٠ .

هصيص بن كعب ٢٦ .

هلال بن أمية ٢٢٨ .

هند بنت أبي أمية = أم سلمة .

هند بنت عتبة ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ،

٢٠١ .

هند بنت أبي هالة ٢٦١ .

هوزة بن علي الحنفي ٢٥٩ .

هوزة بن قيس الوائلي ١٥١ .

الهون بن خزيمه ٢٦ .

أبو الهيثم بن التهان ٨٤ .

٤

واقد بن عبد الله التيمي ٤٨ ، ١٠٨ .

وحشي غلام جبير بن مطعم ١٣٠ ، ١٣٤ .

وديعه ١٤٦ .

ورقة بن نوفل ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٨ .

أبو الوليد = عتبة بن ربيعة .

الوليد بن عتبة بن ربيعة ١١٠ ، ١١٦ .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٧٠ .

الوليد بن المغيرة، أبو عبد شمس ٤٠، ٥١،
٥٥، ٧٠، ٧١.
وهب بن جابر ٢٣٤.
أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٤٠.

ي

الياس بن مضر ٢٦.
ياسر ٥٩.
ياسر اليهودي ١٨٥.
ابن يامين بن عمير بن كعب النضري ٢٢٩.
يانش بن شيث ١٥.
يحنس الحواري ٤٢، ٢٥٩.
يحنة بن رؤبة ٢٣١.
يحيى بن زكريا عليهما السلام ٧٧.
يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٢٦٩.
يخلد بن النضر ٢٦.
يرد بن مهليل ١٥.

يزيد بن أبي حبيب المصري ٢٥٩.
يزيد بن رومان ١٧٠، ٢٢٧.
يزيد بن عبد المدان ٢٥٣.
يزيد بن المحجل ٢٥٣.
يس ٢٣٤.
يشجب بن ثابت ١٦.
يطور بن إسماعيل ١٦.
يعرب بن يشجب ١٦.
يعقوب عليه السلام ١٧٥.
يعقوب بن عتبة ٢٦٤.
يعقوبس ٢٥٩.
يقظة بن مرة ٢٦.
يهوذا ٢٥٩.
يودس ٢٥٩.
يوسف بن يعقوب عليهما السلام ٧٧،
١٧٤.
يونس بن متى ٨٠.

٣ . فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٩٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،	بنو آكل المزار ٢٤٩ .
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،	الأحابيش ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ،
١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،	الأحلاف ٢٠٨ ، ٢٣٤ .
١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،	بنو أبي أحمد ١٩٧ .
١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ،	إراش ٧٣ .
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،	الأزد ٢٥٠ .
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،	أسد بن عبد العزى ٤٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،
٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،	٢٥٦ .
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ .	إسرائيل ١١٣ ، ١٦٢ .
الأوس ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،	أسلم ٥٣ ، ٩٦ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ٢٣٣ .
١٥٣ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .	أسيد بن عمرو بن تميم ٢٦١ .
أوس الله ١٠٠ .	أشجع ٢٥٦ .
البكاؤون ٢٢٨ .	الأشعريون ١٦ .
بكر بن عبد مناة ١١٢ ، ١٠٦ ، ١٩٤ .	أصحاب السمرة ٢١١ .
بكر بن وائل ١٢٦ .	أصحاب الفيل ٢٣ ، ٢٦ .
البكير بن عبد ياليل ٤٨ .	أصحاب المئين ٢٢٠ .
بلحارث = بني الحارث .	بنو الأصفر = الروم ٢٢٧ .
بلى ٢٤٥ ، ٢٦٥ .	الأعاجم ٢٠ ، ١٧٢ .
بياضة ٩٨ ، ١٨٧ .	بنو أمية ١٠٠ .
التبابعة ١٦ .	الأنصار ١٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ،

حمير بن سبأ ٢٠، ٢١، ٢٥٠، ٢٥٢ .	تميم بن مر ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٣٨ .
حنظلة ٢٥٦ .	تميم بن غالب ٢٠٣ .
حنيفة ٨٢، ٢٤٤، ٢٥٥ .	ثعلبة ١٠٢، ١٤٧ .
الحواريون ٢٥٨ .	ثعلبة بن الفطيون ١٣٣ .
خثعم ٢٥٠ .	ثقيف ٣٧، ٦٩، ٧٩، ٨٠، ٢١٥ .
خزاعة ١٣٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٩٤، ١٩٥ .	٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٤ .
الخزرج ٨٣، ٨٤، ٨٨، ١٢٣، ١٧٣ .	٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧ .
٢٠٣، ٢١٢ .	نمالة ٢١٩ .
خطمة ١٠٠ .	بنو جحش بن رثاب ١٠٠ .
دوس ٢١٥ .	جذام ١٩٠ .
الدليل، من بني بكر ١٩٤ .	جرهم ٢٠ .
بنو دينار ١٠٧، ١٣٧ .	جشم ١٠١، ١٠٢ .
ذورعين ٢٥٠ .	جفنة ١٠٢ .
الروم، بنو الأصفر ٣٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٧ - ٢٥٩ .	جلايب قريش ١٦٨ .
زيد ٢٤٩ .	جمح بن عمرو ٤٠، ٥٨، ٧٩، ١٠٠، ١٨٨ .
زهرة بن كلاب ٤٠، ١٨٨ .	الجن ٨١، ٩٥ .
بنو ساعدة ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٤٤، ٢٣٠، ٢٧٠، ٢٧٢ .	جهينة ٢٢٣ .
سالم بن عوف ٩٨ .	الحارث بن الخزرج ٩٨، ١٠٤، ٢٣٥ .
سامة بن لؤي ٢٦٣ .	الحارث بن كعب ١٠٢، ٢٥٢، ٢٥٣ .
سبأ ٢٢ .	٢٥٤ .
سعد بن بكر ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٧، ٢٣٨، ٢٥٦ .	الحارث بن فهر ١٨٨ .
سعد بن ليث ١٠٠ .	حارثة ١٢٨، ١٦٤، ١٨٦، ٢٢٨ .
سعد هذيم ٢٨ .	الحبيشة، الحبش ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٦٤، ٢٥٩، ٢٦٦ .
بنو سلمة ١٠٣، ١١٨، ١٦٤، ١٨٠، ٢٢٧، ٢١٩ .	بنو الحجاج ١١٤ .
	بنو الحسحاس ٢٠٧ .
	بنو الحضرمي ١٩٤ .
	بنو أبي الحقيق ١٨٤ .

العجلان ١٩٢ ، ٢٧٣ .	سلول ٢٤٣ .
العجم ٧٨ ، ٩٢ ، ٢٥٩ .	سليم ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ .
عدي بن كعب ٤٠ ، ٦٤ ، ١٠٠ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ .	سهم بن عمرو ٤٠ ، ١٨٨ .
عدي بن النجار ٣٥ ، ٩٩ .	السودان ١٨ .
عذرة .	الشطبية ١٠٢ .
عضل ١٤٠ ، ١٥٤ .	شنوءة ٧٥ ، ٧٧ .
عمرو بن حزم ٢٣٠ .	شهران ٢٣ .
عمرو بن زرعة ١٨٧ .	ضمرة بن بكر ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥٠ .
عمرو بن عامر ٢٠٩ .	طي ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ .
عمرو بن عوف ٨٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ .	ظفر ١٣٧ .
١٤٤ ، ٢٢٨ .	بنو العاص بن سعيد ١١٤ .
عوف ١٠١ ، ١٠٢ .	عامر بن صعصعة ٨٢ ، ١٤٦ ، ١٤٥ .
عوف بن الخزرج ٢٧٤ .	٢٤١ .
غسان ٢٢٦ .	عامر بن لؤي ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٩ .
غطفان ١٢٤ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .	٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥٩ .
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ .	عامر بن الياس = مذكورة .
غفرة ٤٢ .	عبد الأشهل ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ٢٧٠ .
بنو غيرة ، من ثقيف ٢١٣ .	عبد الدار بن قصي ٤٠ ، ٥٩ ، ١٢٩ .
فارس ، الفرس ٥٧ ، ٢٥٩ .	١٨٨ .
آل فرعون ٧٦ .	بنو عبد الرحمن = المهاجرون
فزارة ١٥٢ .	عبد شمس بن عبد مناف ١٨٨ .
فهر ٢٣٩ .	عبد القيس ١٣٩ ، ٢٤٣ .
فهم ٢١٩ .	بنو عبد الله = الخزرج ٢٠٣ .
القارة ١٤٠ ، ١٥٤ .	بنو عبد المطلب ٦٧ ، ٨٢ ، ١١٠ ، ٢٠٣ .
قريظة ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ .	٢١٨ .
١٦٣ ، ١٦٥ .	بنو عبد مناف ٤٠ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٢٠٠ .
قنص بن معد ١٦ .	بنو عبيد الله = الأوس ٢٠٣ .
قيس عيلان ٣٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .	عتاب بن مالك ٢٣٤ .

معد بن عدنان ٢٠٨ ، ٢٣٩ .
 المعذرون .
 منقذ بن عمرو بن معيص ٢٦٣ .
 المهاجرون ٨٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٤٧ ،
 ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ،
 ٣٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
 بنو مؤمل ٥٩ .
 ناهس ٢٣ .
 النبيت ١٠١ ، ١٢٤ .
 النجار ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٨٧ ،
 ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٧٩ .
 نزار ٢٢٦ .
 النساء ٢٣ .
 النصاري ٤١ ، ٧٩ ، ١٢٥ ، ٢٤٥ .
 نصر ٢٠٨ .
 النضر بن كنانة ٢٥٤ .
 النصير ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ،
 ٢٦٤ .
 هاشم بن عبد مناف ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٣ ،
 ١١٩ ، ١٨٨ .
 الهذليون ١٨ .
 هذيل بن مدركة ١٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
 ٢٥٧ .
 هصيص .
 همدان ٢٤٧ ، ٢٥١ .
 هوازن ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،

قيلة ٩٧ ، ١٢٨ .
 القين ١٩٠ .
 قينقاع ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٩ .
 بنو كعب ٩٥ ، ٢٠٩ .
 كعب بن عوف ١٦٨ .
 كلاب ٢٠٩ .
 كنانة ٢٤ ، ٣٧ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
 ١٥٥ ، ١٩٦ .
 كندة ٨٢ ، ٢٣٢ .
 لحيان ١٦٥ .
 لحم ١٩٠ .
 لهب ٣٥ .
 مازن بن النجار ٢٢٨ .
 مالك ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ .
 مالك بن أقيش ٨١ .
 مالك بن النجار ٩٨ .
 محارب ١٤٧ .
 مخزوم بن يقظة ٩٠ ، ١٦٥ ، ٢٠٤ .
 مدلج ١٠٧ .
 مذحج ٢٤٨ .
 مراد ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
 مرة ١٥٢ .
 مزينة ٢٠١ .
 المصطلق ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
 مضر ١٤٥ .
 المطلب ٥٠ ، ٣٧ .
 مظعون ١٠٠ .
 معافر ٢٥١ .
 معتب ٢٣٦ .

٢١٨ .

و

واقف ، ١٠٠ ، ٢٢٨

وائل ، ١٠٠ ، ١٥١ .

ي

آل ياسر ٥٩ .

يسار ٢٣٥ .

اليمن (في فهرس البلدان).

يهود ٣١ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٧ ،

١٠٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٦ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٤ ،

١٨٧ .

٤ . فهرس البلدان والمواضع ونحوها

أوطاس ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ .	الأبرق ٢١٧ .
أولات الجيش ١١١ .	الأبطح ٨٩ ، ١٠٣ ، ٢٠٤ .
أيلة ٢٣١ .	الأبواء ٣٧ ، ١٠٧ .
إيلياء ٧٣ ، ٢٦٥ .	أبين ١٨ ، ١٩ .
باب الكعبة ٢٣ ، ٣٩ .	أثافي البرمة ١٠٧ .
بابل ٥٠ ، ٢٤٤ .	الأجرد ١٠٤ .
البتراء ١١٥ .	أحد ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
البحر (بحر القلزم) ٢٣١ .	١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
بحران ١٠٧ ، ١٣٢ .	١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٢٦٧ .
بحرة الرعاء ٢١٥ .	الأخدود ٢١ .
البحرين ٢١ ، ١٩٠ ، ٢٥٩ .	الأخضر ٢٣٣ .
بدر ٤٥ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،	أذاخر ٨٨ .
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،	أذرح ٢٣٢ .
١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ،	الأراك ٦٢٤ .
٢٠٠ ، ٢٣٤ ، ٢٧٣ .	الأردن ٩٢ .
البربر ٢٥٩ .	إساف (صنم) ٣٠ .
برك الغمام ١٢٩ .	الإسكندرية ٢٥٩ .
بصري ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ .	الأعرابية ، أرض الحجاز ٢٦٠ .
بطحاء ابن أزهر ١٠٦ .	أمج ١٨ ، ٩٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ .
بطحاء مكة ١٣٩ .	أوراشلم ٢٧٠ .

ثور ٩٤ .	بعث ٨٣ .
ثيب ١٢٤ .	بقعاء ١٦٩ .
جابية الجولان ٢٣٩ .	بقيع الغرقد ١٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦ .
الجباجب ٨٧ .	البلقاء ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ .
جبلاطيء ٢٣٠ .	بواط ١٠٧ .
الجداجد ٩٦ .	بيت أبي بكر ١٦٦ .
جدة ٣٩ .	البيت الحرام ، بيت الله ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
جرباء ٢٣١ .	٥١ ، ٧٣ ، ١١١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
جرش ١٧ ، ٢١٥ ، ٢٤٨ .	١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ،
الجرف ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ .	٢٧٤ .
جزيرة العرب ٢٧٧ .	بيت رأس ٢٠٦ .
الجعرانة ٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .	بيت عائشة ٢٧٠ .
الجمرة الكبرى ٢٧٨ .	البيت المعمور ٧٦ .
الجو ٢٢٤ .	بيت المقدس ٧٣ ، ٧٥ ، ٢٦٠ .
الجواء ٢٠٦ .	بثر أنا ٢٢٤ .
الجوشية ٢٤٦ .	بثر الروحاء ١١٢ .
الحبشة ٦٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٩ ،	بثر الكعبة ٣٩ .
٩٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ .	بثر معونة ١٠٩ ، ١٤٤ .
الحجاز ، الأعرابية ٢٨ ، ٣١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،	بين ١٦٦ .
١٢٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ .	تبوك ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
الحجر ٢٣٠ .	٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥١ .
حجر الكعبة ٤١ ، ٥٢ ، ٧٤ .	تربان ١١٢ .
الحجون ٧٢ .	التنعيم ١٤٢ ، ١٥٨ .
الحديبية ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،	تهامة ٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ٢١٠ ،
١٩٢ ، ١٩٥ .	٢٢٠ ، ٢٢٥ .
حراء ٤٤ .	ثنية العائر ٩٧ .
الحرم ١٨ ، ٣٨ ، ١٠٨ ، ١٤٢ ، ١٩٥ ،	ثنية المزار ١٧٢ .
٢٣٧ .	ثنية المرة ١٠٦ .
الحرة ١٤٨ .	ثنية الوداع ١٦٦ ، ٢٢٨ .

- حرة بني سليم ١٤٤ .
 حصن ناعم ١٨٤ .
 حضر موت ٢٥٦ .
 حمراء الأسد ١٣٨ ، ١٣٩ .
 الحمض ١٧٨ .
 حنين ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ .
 الحيرة ١٩ ، ٥٧ .
 الحرار ٩٤ ، ١٠٨ .
 خطم الحجون ٧٢ .
 خفية ٢٢٥ .
 الخلائق ١٠٧ .
 الخليفة، خليفة بني أحمد ١٩٩ .
 الخندق ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٠ .
 خيبر ٣٠ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٥ .
 خيمنا أم معبد ٩٥ .
 دار بديل بن ورقاء ١٩٥ .
 دار بني بياضة ٩٧ .
 دار بنت الحارث ٢٤٤ .
 دار رافع ١٩٥ .
 دار بني ساعدة ٩٧ .
 دار أبي سفيان ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
 دار بن عدي بن النجار ٩٨ .
 دار قصي بن كلاب = دار الندوة ٩١ .
 دار مالك بن النجار ٩٨ .
 دار الندوة ٩١ ، ١٨٨ .
 الداروم ٢٥٨ ، ٢٦٧ .
 دحنا ٢١٧ .
 دفاع = اللات ٢٣٦ .
 دومة الجندل ١٥١ ، ٢٣٢ .
 ذات الأصابع ٢٠٦ .
 ذات أنواط (شجرة) ٢١١ .
 ذات الجيش ٢٦٣ .
 ذات الرقاع ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
 ذباب ٢٢٢ .
 ذنب نقي ١٥٣ .
 ذو أمر ١٢٤ .
 ذو الحليفة ١١١ .
 ذو سلم ٨٧ .
 ذو صنعاء ٢٤٨ .
 ذو طوى ٢٠٣ ، ٢٠٥ .
 ذو الغضوين ١٠٢ .
 ذو قرد ٣٥ ، ٢٣٤ .
 ذو كشر ١٢٥ .
 ذو الهدم ٢٣٥ .
 رانونا ٩٨ .
 الربذة ٢٣١ .
 الرجيع ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٤١ .
 رحقان ١١٥ .
 الردم ٢٤٧ ، ٢٤٧ .
 رضوى ١٠٦ .
 الركن ٤١ ، ٤٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ .
 الركن الأسود ٤١ ، ٥٧ ، ١٨٨ .
 الركن اليماني ٤١ ، ٥٧ ، ١٨٨ .
 ركوبة ٩٧ .
 الروحاء ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣٨ .

شوكة ١١٢ .	رومة ١٥٣ .
الشوط ١٢٧ .	رومية ٢٦٠ .
الصادرة (سدره) ٢١٦ .	رثم ٩٦ .
صخيرات اليمام ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦٦ .	زغابة ١٥٢ .
صرار ١٤٩ ، ١٤٨ .	زمزم ٢٧ ، ٢٨ .
الصفاء ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ .	السافلة ١١٣ .
الصفراء ١١٢ ، ١٢٠ .	سابة ١٦٦ .
الصمغة ١٢٩ .	السيخة ١٢٧ ، ١٥٥ .
صنعاء ٢٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ .	سجسج ١١٢ .
الصهباء ١٨٤ .	سررد ٢٠١ .
الضبوعة ١٠٧ .	سرف ١٣٣ ، ١٨٢ .
ضجنان ١٥٠ .	سفوان ١٠٧ .
الضيقة ٢١٦ .	سقيفة بني ساعدة ٢١٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
الطاغية (صنم) = اللات ٢٣٦ .	السلام (حصن) ١٨٥ .
الطائف ٢٣ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ،	سلع ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٦ .
١٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،	السنح ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
٢٣٧ .	سهام ٢٠١ .
طفيل ١٠٥ .	السيالة ١١٢ .
طَية، المدينة ٢٧٦ .	الشام ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ،
طَية، زمزم ٢٧ .	٥٦ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ،
ظفار ١٦٦ .	١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ،
الظهران ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ .	١٩١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
العالية ١١٣ .	شامة ١٠٥ .
العائر ٩٧ .	شبكة شدخ ٢٣٣ .
العبايد ٩٦ .	الشجرة ٢٣٣ ، ٢٤٦ .
عثر ٢٢٤ .	الشدخة ٢١٦ .
عدن ١٧ .	شعبة عبد الله ١٠٧ .
عذراء ٢٠٦ .	الشق ١٧٨ ، ١٧٩ .
العراق ١٩ ، ٥٦ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ٢٣٢ ،	شكر ٢٥١ .

الفرع ١٠٨ ، ١٢٤ .	٢٧٥ .
فلسطين ٢٥٨ ، ٢٦٠ .	المرج ٩٧ .
فيفاء الحبار ١٠٧ .	عرق الطيبة ١١٢ ، ١٢٠ .
القادسية ٢٤٦ ، ٢٤٧ .	عريش رسول الله ١١٨ .
قباء ٩٧ ، ٩٨ .	العريض ١٢٥ .
قبر الرسول ٢٧٥ ، ٢٧٦ .	العزى (صنم) ٣٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨١ .
أبوقبيس ١١١ ، ٢٠٣ .	عسفان ١٩ ، ٩٦ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ .
قديد ٩٦ ، ١٥٠ ، ١٦٢ .	العشيرة ١٠٧ .
القردة ١٢٧ .	عصر ١٨٤ .
قرطاجنة ٢٦٠ .	العقبة ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ .
قرقرة الكدر ١٢٤ ، ١٤٥ .	١١٨ .
قرن ٢١٥ .	العقنقل ١١٨ .
القرينتان ٦٩ .	العقيق ١١٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
قليب بدر ١١٩ ، ١٢٧ .	عكاظ ١٣٩ .
القليس (نيسة) ٢٣ .	عمان ٢٥٠ .
القموص (حصن) ١٨٤ .	العيص ١٠٧ .
قناة ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ٢٣٤ .	عينين ١٢٧ .
الكتيبة ١٨٠ .	الغابة ١٦٦ .
كداء ١٩٦ ، ٢٠٧ .	الغار ٩٤ .
الكدر ١٢٤ .	غراب ١٦٦ .
الكديد ١٩٦ .	گران ١٦٦ .
كراع الغميم ١٦٦ ، ١٧٧ .	غميس الحمام ١١٢ .
كشر ٢٥١ .	الفاجة ٩٦ .
الكعبة ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٧ .	فارس ١٨ .
٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٠ .	فج الروحاء ١١٢ .
٢٧٣ ، ٢٠٣ .	فنج ١٠٥ .
الكهف ٢٦٠ .	فذك ١٨٥ .
الكوفة ١٥٦ .	فرش ملل ١٠٧ .

اللات، دفاع، الطاغية (صنم) ٢٣، ٥٨،	المضنونة = زمزم ٢٧.
٦٠، ٦١، ٨٢، ١٧٨، ١٩٨، ٢٣٥،	المضيق ١١٢، ١٢٠.
٢٤٠.	مضيق الصفراء ١١٢، ١٢٠.
لقف ٩٦.	معان ١٩٠.
لية ٢١٦.	المغمس ٢٣، ٢٤.
ماب ١٩٠.	مقبرة بني قريظة ١٦٥.
محنة ١٠٥، ١٥٠، ٢٢١.	المكتان ٣٩.
مخبض ١٦٦.	ملل ١١٢.
مدلجة تعهن ٩٦.	الملح ٢١٥.
مدلجة لقف ٩٦.	منى ٨١، ٢١١.
مدلجة محاج ٩٦.	المهراس ١٣٣.
المدينة ... (١).	مهيعة ١٠٥.
مر الظهران ١٩٩، ٢٢٢.	مؤنة ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣.
مرجح ٩٦.	النازية ١١٢، ١٢٠.
مرجح محاج ٩٦.	نائلة ٢٠.
المريسيع ١٦٨.	نجد ٩١، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٤، ١٤٧،
المسجد الأقصى ٧٣.	١٥٣، ١٦١.
المسجد الحرام ٤١، ٥٣، ٥٤، ٦٨، ٧٣،	النجدية ١٢٤.
٧٤، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١٠٩، ١١٢،	نجران ١٩، ٢٢، ٢٥٢، ٢٥٦.
١٨٢، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤،	نخب ٢١٦.
٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٧١.	نخل ١٤٧، ١٤٨.
مسجد الطائف ٢١٦.	نخلة ٨١، ١٠٧، ٢١٣.
مسجد عصر ١٨٤.	نخلة اليمانية ٢١٥.
مسجد قباء ٩٨.	نصيين ٨١.
مسجد المدينة ٩٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٤٠،	نظاة ١٨٥، ١٨٧.
١٤٨، ١٥٩، ١٨٨، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٧٥،	نقب بني دينار ١٠٦.
٢٧٦.	نقعى ١٥٣.
مشارف ١٩٢.	المقيع ١٦٩.
المشرب ١٠٨.	نيق العقاب ١٩٩.

النيل ٦٤ .

نينوي ٨١ ، ٨٢ .

هبل (صنم) ٣٥ ، ١٣٤ .

الهدأة ١٤١ .

وادي القرى ١٨٦ .

وادي المشقق ٢٢٥ .

الوتير ١٩٥ ، ١٩٦ .

وج ٢١٥ .

ودان ١٥٠ .

الوطيح ١٨٥ .

يُثرب (المدينة) ٢٣ ، ٧٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٩٣ .

يليل ١٠٧ .

اليمامة ٥٧ ، ١١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ،

٢٦٤ ، ٢٦٨ .

اليمان ١٦ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ ،

٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

٥ - فهرس الأشعار والأرجاء

٢٤٢	ليلى	ولد	٢٠٧	حسان بن ثابت	خلاء
٢٨١	حسان	إفناد	٢٤٧	فروة بن ميسك	نسائها
١٢٩	هند بنت عتبة	الدار	١٨٤	كعب بن مالك	كعب
٢٨١	حسان	سحرا	١٨٤	سرحب	مرحب
١٩٣	حسان	مسهر	١٩١	جعفر	واقترأها
			٢٤١	عمرو بن الأهم	تصب
١٨٧	ابن لقيم	وفقار	١٩٢	عبد الله بن رواحة	تموي
٢٢٥	كعب بن زهير	الأنصار	٣٩	ورقة بن نوفل	النشيجا
٢٠٤	أخت مقيس	مقيس	١٧٦	-	ومسطح
٢٠٩	دريد بن العصمة	جذع	١٩٠	عبد الله بن رواحة	الزبد
٢٣٦	-	دفاع	١٩٥	عمرو بن سالم	محمد
٢٣٩	الزبرقان بن بدر	البيع	٢٧٨	حسان بن ثابت	وتهمد
٢٣٩	حسان	تبع	١٢١	الأسود بن المطلب	السهود
١٤٣	حبيب بن علي	مجمع	١٢٣	أبو عزة	حميد
٢٢٠	عباس بن مرداس	الأجرع	٢٤٨	عمرو بن معد يكرب	رشد
٢١٥	كعب بن مالك	السيوفا	٩٥	بعض الجن	معبد
١٢٩	هند بنت عتبة	نعانق	١٩٩	أبوسفيان	محمد
٢١٧	بحير بن زهير	الأبرق	٢١٩	مالك بن عوف	محمد
١٤٣	حسان	القلقي	١٥٠	معبد	محمد
١٠٥	عامر بن فهيرة	ذوقه	٢٨٠	حسان بن ثابت	الأرمذ

١٩٠	عبد الله بن رواحة	وخليل	٢٥	عبد المطلب	حلالك
١٠٥	أبو بكر الصديق	أهله	٢٢٣	كعب بن زهير	هل لك
٢١٩	أبو محجن الثقفي	سلمة	٩٩	-	يعمل
٢٠٦	فضالة بن عمير	والإسلام	١٤٠	عاصم بن ثابت	عنايل
٢٣٩	حسان بن ثابت	وراغم	١٠٥	بلال	وجليل
١٩٢	عبد الله بن رواحة	لتنزلته	٢٢٤	كعب بن زهير	مكبول
٢٠	ذورعين	عين	١٥٥	حسان	لم تفعل
١٥٠	عبد الله بن رواحة	وافيا	١٣٨	معبد	الأبايل